

فهد المارك

من سيم العرب

الجزء الأول



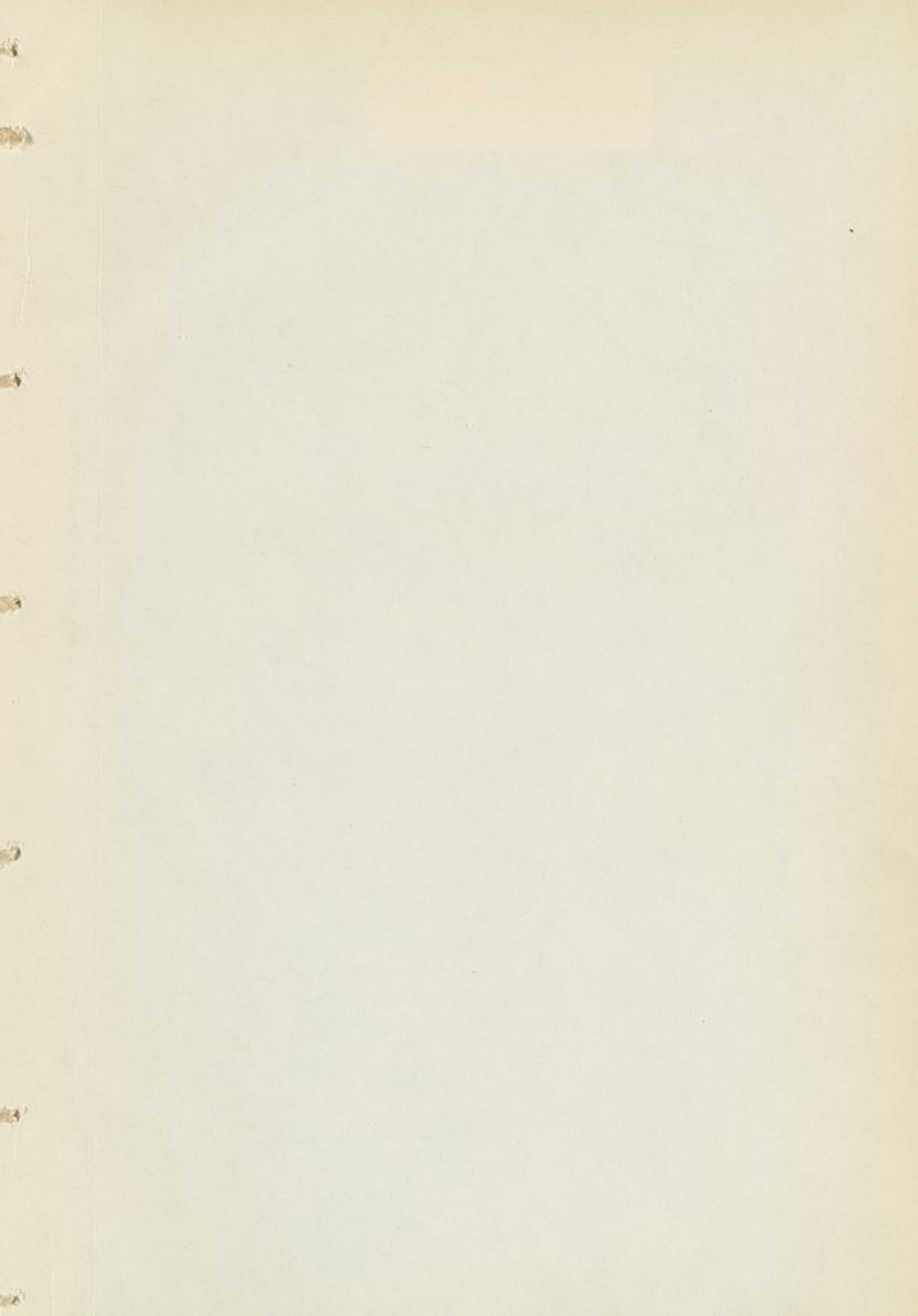
١٣٧٥ هـ

2272
.62199
.364
Y.I

Princeton University Library



32101 059434124



al-Mārik, Fahd

من شيم العرب

Mim shiyam al-ʿArab

الجزء الأول

فهد المارك

حقوق الطبع والترجمة والنشر
محفوظة للمؤلف

~~~~~  
الطبعة الاولى ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م

المطبعة الهاشمية بدمشق

الاهداء

إلى عشاق الفضيحة والمجد  
إلى الطامحين للمفاخر والمكارم  
إلى الجيل العربي الناهض  
أقدم هذه المآثر الخالدة

5-30-56 56L

(RECAP)

2272  
62199  
364  
v.1





# بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

يسعدني أن يرى القارئ بين دفتي هذا الكتاب وما بعده من الأجزاء المتسلسلة قصصاً عربية شاملة لكل معنى من معاني الفضيلة .

ولا عجب من ذلك إذ أن هذه القيم الأخلاقية المثلى ليست إلا صورة ناطقة عن أخلاق ساكني الجزيرة ، ومعبرة أبلغ التعبير عن حياتهم الأدبية والاجتماعية ( وما فطروا عليه ) من وفاء ونجدة وسخاء ومروءة وإباء وشتم .

ولربما يتساءل القراء كيف كان هذا التراث المجيد وهذه القصص الواقعية الرائعة مهمة ومتوارية عن الأعين طيلة هذه المدة ، حتى أوشكت أن تدرس ويمحي أثرها رغم ما فيها من عبر تاريخية جذيرة بإعجاب القارئ ؟ أحب أن أجيب على هذا السؤال :

كانت هذه الدرر النفيسة مكنوزة في صدور الرواة الشعيين  
وينقلها الخلف عن السلف . ومن دواعي الأسف أنه قل أن تجد  
بين الكتاب والمؤرخين الذين كتبوا عن الجزيرة العربية كاتباً  
طرق هذا الباب وحاول أن يكتب كتابة شاملة يعبر بها بوضوح  
وجلاء عن كنه حياة ساكني شبه الجزيرة ، وأن يصل بكتابته  
إلى حد يحلل فيه اخلاق أهلها تحليلاً علمياً من الناحيتين الاجتماعية  
والأدبية . وإن يكن ثمة نفر من المؤرخين كتب شيئاً عنها فإنما  
كانت كتابته ذات طابع محدود لا يتجاوز ناحية معينة كالوقائع  
التاريخية المشهورة وشيء من أنساب القبائل وقسط من تراجم  
الحكام وما إلى ذلك <sup>(١)</sup> .

وإني ممن يقدر جهد اولئك الكتاب من عرب ومشرقين  
لاعتقادي أنهم سدوا فراغاً وبذلوا جهوداً جبارة بخدمتهم لتاريخ  
الجزيرة الحديث خاصة من الناحية السياسية . أما إهمالهم  
للناحيتين الأدبية والاجتماعية فإنهم معذرون بذلك لانهم

(١) نحن نعلم ان الباحثين اليوم يولون النواحي الاجتماعية والفكرية والأدبية في تاريخ  
الأمم عناية كبرى اكثر من الناحية السياسية . وقد نشأ علم جديد يبحث في هذا الموضوع  
بالذات وهو ( تاريخ الحضارة ) ولقد سبق إلى إيجاده ، احد عظمائنا المسلمين ألا وهو  
الناطقة الفذ ( ابن خلدون ) .

وإن في هذا السفر لمادة غنية جداً للباحث في تاريخ الحضارة والفكر في الجزيرة العربية  
في العصر الحديث يستطيع أن يجد طلبته في معرفة النظم الاجتماعية التي كان العرب يقبونها  
والمعادات الاجتماعية والاعراف السائدة مما لا يوجد له مضارع .

لو اجتهدوا وحاولوا ان يكتبوا عن هاتين الناحيتين لأعيانهم الأمر لأن القضية ليست مجرد سرد حوادث وتسجيل أساطير وقصص على أي شكل يكون ، ولكنها تحتاج إلى إقامة طويلة في الجزيرة ليتمكن بها الكاتب من معرفة حياة أهلها الاجتماعية ، كما أنه يحتاج لدراسة عميقة تمكنه من معرفة الشعر الشعبي لأنه فن مستقل بذاته . ولن يستطيع كاتب ما أن يكتب عن الجزيرة الكتابة الوافية مهما أوتي من قوة ملائكة في الكتابة ما لم يكن قد درس الأدب الشعبي دراسة دقيقة تؤهله لفهم نظمه ونثره . وهذا لا يكفي بل يجب أن يكون لديه إلى جانب ذلك من الموهبة الأدبية ما يجعله يتذوق هذا التراث وبالأخص النظم الشعبي النجدي الذي فيه من غرابة الألفاظ ما يعي فهمه بعضاً من أبناء الجزيرة أنفسهم فضلاً عن الأغراب عنها ، وإن كانت معانيه أشبه ما تكون بمعاني الشعر الجاهلي من ناحية، تانتها وقوة مغزاها . وعلى هذا الاعتبار أصبح من المتعذر على المرء أن يجيد تفهم هذا التراث الخالد ما لم يكن من صميم الجزيرة ومجيداً إما لنظم الشعر النبطي<sup>(١)</sup> ، أو معرفة أوزانه واجادة روايته ، ذلك لأن أغلبية

(١) يسمى الشعر الرجزلي الشعبي في الجزيرة « نبط » .



الحوادث الرائعة لا تخلو من قصيدة شعبية يشدوها صاحب الحادثة  
أو شاعر قبيلته .

وإني لو طيد الاعتقاد أن كثيراً من الحوادث القيمة لولا وجود  
القصيدة التي خلدت ذكرى الحادثة لدرست كما درس غيرها من  
القصص النفيسة .

وبما أن كاتب هذه الأسطر من صميم البلاد ، ومن النفر الذين  
وهبهم الله تذوق معاني الشعر الشعبي ورواية طرف منه ، كما أنني  
وهبت أيضاً شدة الشوق والرغبة في حفظ القصص ذات الأهمية منذ  
نعومة أظفاري . هذا كله جعل الأمر علي متيسراً وإن وجدت فيه  
صعوبة ما فإنها ليست كذلك التي يعانيها المرء الغريب عن الوطن  
ومعرفة الفن . ولحسن الحظ أن سنحت لي الفرصة بالاتصال  
بكثير من الرواة القدامى من العرب بدوهم وحضرهم ، وكنت  
أسعى وراء هذه الغاية منذ مدة لا تقل عن ستة عشر عاماً ولكنني  
لم أبشر بالتأليف إلا منذ عامين فقط ، وذلك أنني كنت في شغل  
شاغل عنه .

وبعد أن استقرت بي الحال ، وكان لي الشرف بخدمة حكومة  
وطني وأصبحت موظفاً بالسفارة العربية السعودية بدمشق ، هناك

طاب لي أن أشكر الباري الذي أنعم علي فجعلني أتمكن من كتابة  
« هذه التحف » .

ولرب سائل يقول : إذا كانت هذه الحوادث القيّمة مما لا يستطيع  
الكاتب الغريب عن البلاد أن يكتبها لشدة ما في النظم الشعبي  
من تعقيد ، فلماذا لم يؤلفها أهلها القدامى الجديرون بإتقانها ؟

الجواب على ذلك أنه ثمة أمور حالت دون تدوينها آنذاك ،  
ذلك أن أهل الجزيرة لم يكونوا بحاجة إلى تدوين هذه الحوادث  
وطبعها ، فلو طبعت لما وجدت من يقرأها إلا النزر القليل ،  
لأنهم في غنى عنها إذ أن أغلبهم يحفظ الكثير منها عن ظهر قلب  
ولأنهم كانوا يعيدشون في العصر الذي لم يكن لهم فيه اتصال بالعالم  
الخارجي ، فهم بحكم ظروفهم وزمانهم ومجتمعهم يتداولون هذه  
الحوادث بأنديتهم ومسامراتهم ، فلا يشغلهم عنها استماع إذاعة  
ولا قراءة صحف ولا اتخاذ أي حرفة من الحرف .

وبعد فإني لست بحاجة أن أؤكد أن هذه القصص فيها من  
الروعة ما يدهش القارئ حتى ليخيل له أنها وليد خيال مصطنع ،  
ولكنها حقائق ثابتة لا مجال للشك في صحتها ، إذ أن العرب  
وخاصة البادية منهم أبعد ما يكونون عن تصوير الخيال الوهمي ،

فهم واقعيون ، وليس للخيالات المختلفة أي رواج عندهم ، والمرء  
الذي يعرف عندهم باصطناع الأحاديث يحقرونه ويستهزئون به .  
لهذا تجدهم لا يفخرون إلا بالحوادث الواقعية .

وبما أن القراء بهذا العهد يضيعون قسطاً من حياتهم بقراءة  
قصص بنيت على الخيال ، لهذا أرجو أن أكون موفقاً بتقديمي  
هذه التحفة التي فيها من الحوادث والقصص الواقعية ما يعني عن  
الخيال المختلق .

وإنه لمن الخطأ أن نشغل القراء بالقصص الخيالية الوهمية  
ولدينا من تراثنا المجيد الواقعي ما هو أجدى عليهم من أحاديث  
الخيال .

ولماذا نترنم بوفاء السموءل ونفخر بكرم حاتم وشجاعة  
عنتره وحلم الاحنف ابن قيس كأن مجد العرب الزاهر التليد ذهب  
وانطمس أثره بذهاب أولئك القوم ؟ هلم معي اقرأ هذا الكتاب  
تجد في حقله ما يفوق وفاء السموءل ويعلو على كرم حاتم ويسمو  
على شجاعة عنتره ، ويزيد على حلم الأحنف .

ولقد حرصت الا أضع في كتابي هذا إلا القصة التي أومن  
بصحتها فمن قصة تشفع لها قصيدتها الشعبية وتكون القصة



أثخذ شاهدة من نفسها على نفسها بالصحة . ومن قصة مشهورة  
رويتها عن رواة كثيرين ولا حاجة لأن أسرد اسم كل فرد رويتها عنه  
بل سأكتفي بتعليق أوضح به أنها مشهورة ومتواترة . وأما  
القصة التي رويتها عن مصدر واحد فقط فإنني سأذكر الشخص  
الذي رويتها عنه مع اليقين أنني لم أضع قصة رويتها عن شخص  
واحد إلا بعد إيماني واعتقادي أنه ثقة ويروي الحادثة عن ثقة  
من مثله :

ولو شئت أن أسجل كل ما سمعته من الرواة لطلال علي الطريق  
ولكنني ضربت صفحاً عن ذلك وحرصت جيداً على أن أقصر  
كتابتي على الأحاديث والقصص الأكيدة الذائعة الصيت التي  
أستند على البراهين المنطقية والأدلة المقنعة في اثبات صحتها .

وإني إذ أسير على هذا المنهاج الصريح فإنني أسير بدافع  
غرامي الأكيد ورغبتي الملحة في قول الصدق ، تلك الرغبة التي  
تأصلت جذورها في جبلي واينعت فروعها في كياني إلى أن  
أصبحت سجية راسخة في معتقدي أو من بها إيماناً وطيداً  
لا أستطيع التخلي عنه ، حتى ولو حكمت علي ظروف واضطرتني  
الحال على أن أقول خلاف الصدق والواقع وعكس ما أعتقد لما



استطعت ، وتلك ظاهرة يشعر بتأثيرها الفعال كل ذي ضمير  
صادق حر . ولقد عبر عن هذه الحقيقة الشاعر محمود سامي  
البارودي فقال :

تعودت صدق القول حتى لو أني تكلفت قولا غيره لا أجيده

\* \* \*

ولما كان الوفاء هو انفس القيم الأخلاقية وأنبأها لهذا طاب  
لي أن أجعله الفصل المقدم من هذا الكتاب ، وبما ان قصة  
المهادي هي أطول القصص ، ومن انفس الحوادث وأروعها ،  
لما فيها من الوفاء المتناهي بين الصديقين لهذا جعلتها في طليعة  
فصل الوفاء .

\* \* \*

هذا وأنا أعقد أنه ما من قبيلة من قبائل العرب الا وسيجد  
القارئ في هذا الكتاب لأفرادها من المآثر الخالدة الحية ما يرفع  
الرأس من شتى القيم الأخلاقية .

وثمة قبائل ربما كان لبعض رجالها القسط الأوفر من هذا  
التراث ، وليس معنى ذلك أن القبائل الاخرى أقل حوادث من  
تلك ، بل ربما لدى أفرادها من القصص النبيلة والحوادث النفيسة

ما يضارع أو يفوق حوادث تلك القبائل . وإنما الأمر يرجع إلى  
سببين رئيسيين :

الأول : وهو الأساسي في نظري ، ان اتصالي المباشر المستمر  
برواة وأفراد بعض القبائل كان أكثر وأيسر علي بحكم  
ظروفي القاهرة :

والثاني : هو أن الرواة توفروا في هذه القبائل أكثر من  
توفرهم في القبائل الأخرى .

وكم كنت شديد الحرص على أن احصي أنفس الحوادث  
لكل قبيلة من قبائل العرب ، لهذا كنت أسعى جاهداً وراء  
هذه الغاية ، ولا زلت أنقب عن كل راوية من رواة القبائل ، فإذا  
ذكر لي فرد منهم وتأكدت من صحة نقله أهرع إليه مسرعاً  
ملتصماً منه الوصول إلى هذه الأمنية .

ولئن فاتني شيء من حوادث بعض القبائل ، فأرجو الله أن  
يسر لي الفرصة لأجول جولة أخرى كي أستوفي ما فاتني من  
الحوادث التي لا تزال مكنوزة في صدور الرواة الذين لم تتح لي  
الفرصة بالاتصال بهم ، ومن ثم سأنشر ما استدركه في الجزء  
الأخير بحول الله ومشيتته .

\* \* \*

ولما كانت كتابتي هذه، أستوعب بها ما استطعت من تخليد  
الفضيلة لأي فرد أسداها سواء كان عالماً أو نكرة، لهذا أرى من  
واجبي أن أبتهل إلى الله وأدعوه أن يقدس ثرى المرحوم الملك  
عبد العزيز آل سعود ، ذلك العبقري الفذ الذي وحد كلمة عرب  
الجزيرة بعد أن كانوا أعداء متفرقين .

وإني أعلن هذه الحقيقة لا ترفلاً ولا تعلقاً وإنما هي حقيقة  
أؤمن بها، ومن أمانة كاتب التاريخ وإنصافه أن يعلن رأيه بما  
يراه صواباً، أما إذا جبن الكاتب عن حقيقة يديها خشية أن يتهم  
بالنفاق ، فهو حري أيضاً أن يطمس حقيقة ويخفيها خشية من  
العقاب .

ومذهبي الذي أؤمن به أن كاتب التاريخ يجب أن يكتب  
للتاريخ لا رغبة بكسب ثقة الحاكم فلان ولا خشية منه .

أجل إن الحاكم مخلوق فان سيذهب وحكمه ، لا محالة، ولكن  
التاريخ سيبقى خالداً أبداً، فإما أن يكون شاهداً للكاتب على  
صدقه وأمانته وصراحته، أو أن يكون عكس ذلك ، ورحم الله  
الشاعر القائل :

وما من كاتب إلا سيفنى      ويبقى الدهر ما كتبت يداهُ

فلا تكتب بكفك غير شيء يُسرك في القيامة أن تراه

\* \* \*

هذا وإني اذ أقدم هذه التحفة ، أقدمها غيرة على تراثنا القومي الأدبي الذي كاد أن يفنى ويضمحل ، هذا من ناحية والناحية الأخرى الأساسية هي رغبتى الأكيدة ان يتخذ الناشئة من هذه القيم المثلى قدوة صالحة ولتكون نبراساً سامياً يقتدى به في شتى مناهج حياتنا الأدبية والاجتماعية .

وبعد فانه لا ريب عندي أنني انسان معرض للخطأ وانما أود أن يعاملني قراء كتابي هذا بالحكمة التي تدرع بها ابن سيرين غفر الله له ، حيث كان اذا ذكر عنده أحد بسوء ذكره بأحسن ما يعلمه عنه من سجية حسنة ، وهذه السجية ، ان دلت على شيء فانما تدل على سمو نفس صاحبها ومثانة خلقه وبالعكس ، والله ولي التوفيق .

فهد المارك



## فصل الوفاء

|                          |                          |
|--------------------------|--------------------------|
| وتجري بالسعادة والشقاء   | هي الأيام تكلمنا وتأسو   |
| ولا يأتي به طولُ البقاء  | فلا طول الثواء يرد رزقاً |
| كذلك يعزُّ قوماً بالمطاء | كما إن السؤال يذل قوماً  |
| بنا عقبُ الشدائد والرخاء | حلبنا الدهر أشطره ومرت   |
| فلا شيء أعز من الوفاء    | وجربنا وجرب أولونا       |

للشاعر العربي

علي بن المهزم

## « القصة المالكية »

كل ما أعتقد أن هذه القصة واقعة في القرن الثاني عشر للهجرة ويغلب على ظني أنها في أول ذلك القرن ، وكثيراً ما حرصت على أن أجد المصدر الأكيد الذي أثق بصحة روايته لهذه الحادثة من الناحية التاريخية فلم أوفق إلى ذلك رغم حرصني الشديد ، أما الحادثة من الناحية الواقعية فلا مجال للشك في صحتها من وجوه شتى منها أنها مشهورة ومتواترة فيندر أن نجد عربياً له أقل إلمام برواية الحوادث لا يعرف هذه القصة ولا يسردها حسب ما رواها ، الرواية التي لا تحيد عن الجوهر الأساسي وقد يكون ثمة نقص في نوع الرواية لا في الأصل والشيء الثاني الذي أعتقد أنه هو السبب في خلود هذه القصة وفي صحتها أيضاً ليس إلا انشودة بطل القصة المسمى مهمل المهادي الذي أصبحت شهرته في عالم الجزيرة العربية أشهر من نار على علم ، وخاصة عند أهالي نجد بدوها وحضرها ، وإني أعتقد جازماً أن هذه الحادثة على ما فيها من الروعة لولا أنشودتها المحفوظة في صدور الرواة

والمسجلة في دواوين الأدباء الشعبيين ، فلولا هذا السجل الخالد  
لدرست هذه القصة الرائعة كما درس كثير من أمثالها من القصص  
الجوهرية ولكن وجود تلك الأنشودة التي سنوافي بها القارئ  
موضحة في آخر هذه الأسطر ، كان هو العامل الأساسي الذي  
بفضله بقيت هذه القصة وستبقى أبداً بمشيئة الله خالدة أبدية في  
صفحات التاريخ العربي المجيد .

مهمل المهادي هو قحطاني من عبدة<sup>(١)</sup> أما رفيقه في الحادثة  
فهو من قبيلة (سبيع<sup>(٢)</sup>) ومن الفخذ المسمى ببني عامر المتفرع  
من هذه القبيلة ذاتها ، والقصة تعطينا دلالة واضحة بأن المهادي  
ليس هو بالشخص العادي بل هو من رؤساء عشيرته وذو مقام  
مرموق<sup>(٣)</sup> بين عربيه وشاعر مطبوع كما أنه ثري بلاريب ، وأما  
« مفرج » فليس لدينا من الأدلة ما يهديننا الى أنه رئيس وكل  
ما في القصة من دلالة لا تزيد عن أنه من قبيلة « سبيع » ومن  
« بني عامر » كما أسلفنا هذا غاية ما وصلنا إليه في مجهودنا ، أما من  
ناحية القيم الأخلاقية فلا شك أن الإثنين كليهما فرسا رهان بالوفاء

---

« ١ » فخذ مشهور من قبيلة قحطان .

« ٢ » هم بدو مدينة الرياض .

« ٣ » ولمرور الزمن الطويل الذي سحّب أذياله على هذه القصة ما استطعت أن

أجد من يدلني عن مدى رئاسة المهادي هل هو رئيس « العبدة » كلها أم لبعض منها .

والمثل العليا ، والمهادي أعظم شهرة وأذيع صيتاً في أندية العرب وذلك بأسباب قصيدته التي هي من أشهر القصائد الشعبية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بحكم منزلته الاجتماعية فهو قد رزق موهبة الشعر كما حباه الله سعة من المال وجاهاً رفيعاً في مجتمعه فتوفرت له الأسباب الأدبية والمادية والاجتماعية ، وهذه العوامل الفعالة اذا توفرت لفرد ما خلقت له ذكر أجيالاً في التاريخ ولا سيما إذا وفق إلى أن يسخر هذه الأشياء في سبيل المجد والخير ، وعلى ضوء هذه الحقيقة ليس بالغريب أن يطغى اسم المهادي على صديقه السبيعي ويكون أشهر منه صيتاً وأنبه منه ذكراً عند عرب الجزيرة ، حتى أن هذه الحادثة لا تعرف عند العرب إلا إذا قلت قصة المهادي ، وفي رأيي أن السبيعي فعل من المروءة والوفاء الشيء الذي يضارع المهادي بفعله بل ربما يسمو عليه ، ولو كنت حكماً في الموضوع لقلت أن « مفرج السبيعي » جدير أن يكون أحق بنباهة الذكر من « المهادي » مع احترامي لشخصية المهادي كل الإحترام وتقديري لمعدنه الطيب وأخلاقه المثلى ، ولكن هذا لا يمنعنا من أن ننصف « مفرج السبيعي » ونقول : كان هو الأسبق بفعله للجميل وهو الأخير أيضاً بعمليته التي ختمها مع



رفيقه « المهادي » وكان ذلك الختام منتهى التضحية .

إنها لمن أبلغ الحوادث وأروعها حادثة الشخصين اللذين ابتلي كل منهما بأعظم المصائب وأدهى الملمات وثبتا أمام هذه الرزايا جميعاً ثبوت الجبال الراسيات .

سار المهادي مسافراً للغزو ومعه فئة من عرب عشيرته ، وفي رحلته هذه ساقه القدر إلى قبيلة « سبيع » وهم بنو عامر إلى أن توسط بيوتهم وصدفة اعترضت أمامه فتاة من فتيات هؤلاء العرب ذات جمال فائق يأسر القلب ، ويستهوِي الفؤاد « هيفاء دعباء » استولت على لب المهادي بلحظة حتى أنه لم يعد يستطيع أن يفارق هؤلاء العرب ولا يقوى على أن يسير خطوة ، أوقف راحلته كالمصاب بسهم وأي سهم أمضى من سهم الغرام ولا سيما إذا كان مفاجأة لأن المهاجم لا يستطيع أن يدافع عن نفسه بل ولا يتمكن أن يجعل لنفسه سبيلاً للفرار كما أنه لا يقدر أن يحتج بلجأ يقيه بطش هذا العدو المفاجيء فكذلك مفاجأة الغرام للقلب الذي لم يستعد لصولته وهجومه وما أصدق قول الشاعر الذي يعبر عن حالة المهادي الواقعية <sup>(١)</sup> .

---

(١) حسناء أي فتى رأت تصد قتل الهوى بها بلا عدد

عندما رأى المهادي نفسه أنه أصيب بهذا الجرح الخطير هناك استرد قوته وشجاعته وضغط على أعصابه بقدر ما استطاع بحيث لا يشعر رفاقه بشيء من هذا الأمر الذي ابتلي به ، ولكن مصيبتة الكبرى أنه لو استطاع أن يخفي عن قومه هذه المصيبة التي ألمت به فهو لا يستطيع بوجه من الوجوه أن يجاري قومه ويسير معهم إلى السبيل الذي كانوا قاصدين له ، لأن عقله وحواسه وشعوره وجميع مواهبه أصبحت ملكاً لهذه الفتاة فهو آلة مسخرة تديره إرادة الله ثم إرادة هذه الساحرة التي خلبت لبه بجمالها الباهر .

عندما رأى المهادي نفسه أنها كبلت بهذه الأغلال ، هناك وفق لتدبير الطريقة التي يتخلص بها من قومه ليبقى عند هؤلاء العرب حتى يتسع له الوقت الذي يـأل فيه عن هذه الحسنة هل هي ثيب ؟ أم بكر ؟ وهل هي متزوجة أم لا ؟ وهل هي من بيت عريق في نسبه وحسبه فيما إذا شاء أن يخطبها من أهلها ؟ وكل ما تصبو إليه أمنيته هو أن تكون هذه الفتاة بكراً لا قرين لها ولا خطيب وأن تكون من أسرة يتلاءم نسب أسرتها مع نسبه :

هذا وقد بقي المهادي عند قبيلة سبيع<sup>(١)</sup> واختار أكبر بيوت

---

« ١ » لقد بقي المهادي عند عرب البت بعد ما أبدى عنده لقومه وأقربهم بأنه ألم به مرض شديد لا يستطيع أن يتمكن من ركوب الراحلة وأكد لهم أنه سيبقى عند هؤلاء -

هؤلاء العرب ونزل ضيفاً عند صاحب البيت الذي اكرمه إكراماً يليق بمقامه ، وإنما المشكلة التي بقي المهادي حيران كل الحيرة في حلها هي رسم الطريقة التي توصله بسهولة وخفاء الى معرفة هذه الفتاة المعرفة الكافية التي أشرنا إليها آنفاً ، فكر ملياً والحاجة كما يقال — (ام الاختراع) وأمل عليه رشده بعد تفكير طويل بما يلي :  
 الإبيدي سره لواحد من هؤلاء العرب الا المرء الذي يؤمن بأنه من شخصيات الرجال الأبطال الأفذاذ ، لقد صمم المهادي أن ينفذ عملياً هذه الحكمة الرشيدة التي أوحاها إليه عقله السليم ، ولكنه وقع في مشكلة عويصة أخرى وهي معرفة هذا النوع من الرجال فكيف يهتدي إلى تشخيص الرجل الذي تتوفر فيه القيم الأخلاقية الكاملة ، مع العلم ان هذه الشيمة من أخفى وأدق سجايا الرجال فهي من الأسرار الكامنة في جوهر الإنسان ولا تعرف ولا تبرز إلا في الشدائد كما قال الشاعر :

إذا الرزايا أقبلت ولم تقف هناك أخلاق الرجال تختلف

— العرب الى ان يشفيه الله من هذا المرض وعين لهم مكاناً معروفاً ينظرونه به حتى يبرأ ويلحق بهم ، وقد أرادوا ان يتأخروا جميعاً عنده ولكنه الح عليهم ان يذهبوا ومن ثم يلحق بهم ، فرغبة منهم لرضاء زعيمهم ذهبوا وهم كارهون والذي يهون عليهم الامر أنهم تركوه عند عرب كرام ولم يتركوه في الصحراء الخالية من الانس ، كما انه حتى يبقى عنده شخص أو شخصان من عشيرته الاقربين .



فن أين « للمهادي » الغريب ان يعرف الرجل الذي يتصف  
بصفات الكمال كما يريد والمدة التي قضاها وجيزة لا يتمكن بها  
من معرفة القوم ؟ وهذا شيء يحتاج إلى مجالسة طويلة لهؤلاء  
العرب وخبرة وتجربة لأخلاق أفذاذهم فرداً فرداً . ولكن مع  
هذا كله لم ييأس المهادي في معرفة السبيل الذي يوصله الى غايته  
المنشودة ، وسرعان ما خطر على ذهنه المثل القائل « اذا جهات  
أخلاق امرئ فاختر صبره وحياءه » وهاتان الخلتان هما بلا ريب  
محك جوهر الرجال بل هما عماد الأخلاق .

استطاع المهادي أن يصل الى ضالته بواسطة الرجل الذي تمثلت  
في طباعه هاتان الخصلتان .

بأشر صاحبنا المهادي عمليته التي يختبر بها متانة أخلاق البعض  
من أفراد هؤلاء العرب الذين هم قبيلة سبيع وكان امتحانه استجابا  
أفراد هؤلاء القوم مبنياً على أساس وطيد من الحكمة ، ذلك إنه  
تظاهر أمام هؤلاء العرب الذين حل عندهم ضيفاً بأنه مصاب  
بشيء من تشنج الأعصاب الذي كثيراً ما يطرح صاحبه أرضاً  
ويفقده شعوره .

وبفضل هذه الحيلة تمكن بسهولة سرية من معرفة أخلاق



الرجل الذي يبين له سبيل الانصال بهذه الفتاة التي أخذت عقله  
وسلبته رجولته ولا عجب ان يصل المهادي الى مراده وذلك يعود  
الى ذكائه وبعد نظره وسعة أفقه فهو عندما نظاهر بتشجيع الأعصاب  
كان اذا جلس في المجلس الحاشد من مجالس هؤلاء العرب اختار  
أفضل القوم الذي يتحرى فيه كمال الرجولة والوقار ومن ثم يجلس  
بجانبه فيطرح نفسه على هذا الرجل ويتكىء عليه بشدة فتمكن  
بمعلمته هذه ان يصل الى الرجل صاحب الصبر والحياء اللذين هما  
عماد الرجولة ، فالمهادي عندما يطرح نفسه على هذا الرجل يشدد  
باتكائه عليه فالرجل المتكأ عليه لا يقابل هذا الضيف المبتلى بهذا  
المرض الا بالتجلد والصبر واذا شاء احد من القوم ان يزيحه عنه  
رفض وقال هذا ضيف عزيز علينا وغريب عندنا فلا يمكن ان  
يزاح عن المكان الذي اختاره وجلس فيه وهو في شعوره وعقله <sup>(١)</sup>.

---

(١) لا شك ان المهادي كان حكيما بمعلمته هذه . والحق ان العرب لديهم فراسة  
قوية فان الحياء والصبر من أوضاع الأدلة على كمال خلق المرء ، وقد شاهدت بنفسي حادثة  
وقعت معي وفيها شاهد لصحة هذه القصة اعني من ناجية امتحان المهادي لصاحبه الذي اتكأ  
عليه ، لقد كنت مسافراً من مدينة الرياض إلى مدينة حائل وذلك في سنة ١٣٥٨ هـ وكانت  
السيارة سيارة بريد تضم اكثر من عشرة ركاب ومن بين هؤلاء الركاب صبي لا يتجاوز  
الثلاثة عشرة من عمره وقد قيل عنه انه « ابن دفعس » الساكن بلدة حائل كما انه كان  
يوجد بين الركاب شيخ كبير يدعى « بسلطان الفقير » من رؤساء بادية عترة وهو شخصية -

أما المهادي فقد ارتاح ضميره لحديث هــذا الشاب الذي عبر  
عن عمق رجولته وجلده واحتماله للمشاق وقد اعتقد المهادي أن  
هذا الفتى هو خير من يثق به ويطمئن له فيما إذا أبدى له سره  
السكان في نفسه الذي لا يعلم به إلا الله .

فعندما صحى المهادي من إغمائه المختلق ، أشار لصاحبه الذي  
توسم به النجابة واتكأ عليه ، وأخذ بيده الى محل ناء عن مجتمع  
القوم فعند ذلك صارحه بالحقيقة كما هي وزاده صراحة بأنه لم يتأخر  
عن قومه من أجل المرض الذي ألم به كما هو ظاهر أمره وأفاده

— مبهمة ومشهورة في رجولته ويبلغ من العمر آنذاك ما يقارب السبعين سنة هذا وقد نزلنا من  
السيارة في مكان ما لترتاح قليلاً ونقنات وعندما حللنا جميعاً بهذا الموضع وجلس بعضنا بجانب  
بعض ، قام من بيننا الصبي ليضي حاجة له فبعد ان بعد عنا بعداً يجعله لا يستطيع أن يسمع  
كلام المتكلم الذي في مجلسنا افتتح الحديث الشيخ سلطان الفقير وكان حديثه كله مدحاً  
وإطراء لهذا الصبي واستمر الشيخ بمدحه للصبي إلى ان قال : إن هذا الصبي صاحب مروءة  
وذو اخلاق كريمة ومطبوعة في معدته عموم السجايا المثلى ، لقد استغرب الحاضرون من  
إطراء الشيخ لهذا الصبي الذي هو حديث في سنه ولم يعرف شيء عن أخلاقه ، فلم يعني إلا  
ان جابهت الشيخ وقلت له ما هو دليلك على نجابة هذا الصبي فقال « إنه صبور وحبي ،  
والصبر والحياء من اصدق الأدلة على نجابة المرء ورجولته » فقلت له ما هي الأدلة التي  
عرفت بها صبر هذا الفتى وحيائه ؟ فأجابني الشيخ بقوله : لقد عرفت ذلك عندما رتد أحد  
الرفاق من راكبي السيارة وطرح نفسه على فخذه هذا الصبي فأردت ان أوقف هذا النائم  
الذي رمى جسده على هذا الغلام الحديث السن ولكن الغلام رفض ذلك وقال « لا يمكن  
ان يوظفه احد من مرقده خشية ان يزعج »

يقول الشيخ قلت للصبي أنت متألماً من اتكائه عليك ؟ اجاب الصبي بلى ولكن الذي  
يؤن علي الألم ان رفيقي مرتاح برقاده هذا

بوضوح بأن مرضه الحقيقي هو غرام تلك الفتاة التي أصابته في  
 صميم مهجته بسهمها القاتل ، هذا ، وكان الفتى يحسن الاستماع  
 لضيفه بكل بشاشة ورزاقه وهدوء فلم يزل الفتى يحسن الاستماع  
 حتى أنهى المهادي كلامه الذي نعت به الفتاة وشخص جسمها  
 تشخيصاً كافياً كما وصف لباسها وأشار الى البيت الذي دخلته ، عند  
 ذلك أجاب الفتى ضيفه المهادي بقوله « هل تستطيع أن تؤكد  
 معرفتك لهذه الفتاة فيما لو رأيتهما ثانية ؟ أم أنك نظرتها نظرة  
 عابرة ونسيت أوصافها ؟ » أجاب المهادي بقوله « لا يمكن أن  
 أنكرها لو أتت ماشية بين مائة النسوة لأن صورتها مسجلة في  
 سواد عيني ومودتها توطدت في دمي ولحمي ، فما وسع الفتى بعد  
 ذلك إلا أن يأخذ بيد المهادي ودخلا معاً الى البيت الذي أشار اليه  
 المهادي وذكر بأن الفتاة دخلت اليه ، فلما دنا الفتى من البيت نادى  
 بصوته العالي « فلانة احضري لدي » فعلى الفور خرجت من  
 خدرها تهتز كما تهتز الرمح بيد الفارس المغوار ، فلما نظرت الى  
 هذا الأجنبي الذي لم يسبق لها أن رآته عادت هاربة كما يهرب الغزال  
 إذا رماها الصياد ونجت ، أما صاحبنا المهادي فكاد أن يخر مغشياً  
 عليه من لوعة الغرام الذي استولى على عقله ، وأما الفتى فهو عندما



رأى ضيفه قد أوشك أن يفقد رشده حين نظر هذه الحسنة الفاتنة ، عندئذ لم يخامر ذهنه الشك قطعياً بأن هذه الفتاة معشوقة الضيف ، ولكنه شاء أن يتأكد فقال للمهادي « لعلها تكون هذه هي » أجاب المهادي بقوله « نعم هي بالذات » فقال الفتى « أطمئنك أولاً أنها أختي كما أني أطمئنك بأنني قد قبلت أن تكون لك زوجة شرعية » كاد المهادي أن يفقد عقله من هذا الخبر المفاجيء الذي هو ألد ما يكون على نفسه .

أما الفتى فقد ذهب فوراً الى والده وقص عليه القصة كما حدثت وأعلمه بما تم وكان والده من أفذاذ الرجال البارزين ، لهذا شكر ابنه على هذه العملية وقال له يجب ان لاتأخر لحظة عن فعل السبب الذي يمكنك من عقد النكاح لضيفنا العزيز على هذه الفتاة بقدر ما يمكن من السرعة لئلا يفتك به داء الغرام ، وفي الليلة الثانية تزوج بها ، وكانت تلك الليلة أسعد الليالي عند المهادي ، أجل إنها ساعة مملوءة بالسرور والسعادة المتناهية ، هذا بالنسبة للمهادي ، أما بالنسبة للفتاة فإنها ترى ان هذه الليلة اتس ليل الي حياتها وأشقائها ، بل تعتبر نفسها دخلت في سجن مؤبد وفي نكد عيش جديد ، ولا عجب من ذلك فهي المسكينة ادخلت على قرين



سيشاركها في حياتها ويقطف ثمرة شبابها ذلك الشباب الذي ترى أنه لا يدانيه أي شباب من فتيات عربها بل ربما أنها تعتبر ملكة الجمال في عصرها على بنات عرب الجزيرة قاطبة ومما يضاعف حزنها وآلامها أن هذا الشاب الذي ادخلت عليه لم يسبق لها به أي معرفة من قبل وهذه اللحظة هي أول مرة ترى فيها شخص هذا الرجل الذي سيكون مصيرها ومستقبلها قبضة بيده مدة حياتها<sup>(١)</sup> وفي الحين الذي خلا كل منهما بصاحبه عند ذلك قرّب الزوج العاشق الى زوجته المعشوقة وبدأ في الحديث ليعلم عن سروره واغتيباطه بها وكان حديثه مليثاً بالمداعبة والمرح ، ولسكن زوجته بعيدة كل البعد عن استماع حديثه فإن يكن هو عند نفسه في جو من البهجة والغبطة والسرور ، فإنها تعتبر نفسها في قفص من حديد مع أنها حاولت المسكينة أن تخفي حزنها

---

(١) اعتقد ان اهل الفتنة اي عمها والمزعوم انه اخوها قد تغافلا تغافلاً فيه شيء من المبالغة والاسراف في إكرامهم لهذا الضيف العزيز لديهم سلامة صحتهم ، وهذا الشيء ليس بالغريب على شيم العرب واخلاقهم ولكنني ارى ان زواجهم لهذه الفتاة بدون ان ترى زوجها وبدون ان يأخذ رأيها اعتقد ان تنفيذ الزواج بهذا الشكل امر يخالف القوانين الاسلامية مخالفة صريحة ، لأن الدستور الاسلامي يأمر ان تنظر لآله كما تنظر لآلها . هذا ولأنه ليس لدينا من الأدلة ما يؤكد لنا ان اهل المعشوقة لم يأخذوا رأي فتاتهم في إنكاحها لهذا الزوج ولكن نطلق القصة ببرهن لنا بوضوح ان ولها الذي هو عمها على اتفاق هو وابنته بأنها سينكحانها « الهادي » سواء قبلت الفتاة ام لم تقبل .

وتكبت مصيبتها وتواري غرامها بمعشوقها الأول ولكن فضحتها  
عواطفها وخانتها عيناها بالدمع الذي يفيض من مقلتها ويسكب  
كما يسكب الواابل من السحاب الغزير المنهمر والعين اكبر دليل  
يعبر بدقة وصدق عن حقيقة المرء .

كما قال الشاعر

عينك قد دلتا عيني منك على أشياء لولاها ما كنت أدريها  
والعين تعلم من عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديها  
فالمحب يستطيع مثلاً أن يستر جميع علامات المودة والحب  
ويتجلد بقدر ما يمكنه ويتصبر أمام الشامتين أو العاذلين ولكن  
هيهات ماذا يكون موقفه تجاه العين ، والحقيقة إن واقع هذه الفتاة  
المنكوبة قد عبر عنه الشاعر الشعبي كاتب هذه الحروف أمثل  
التعبير بقوله :

أَلْحَبُّ لَوْ تُخْفِيهِ خَانَتْ بِكَ الْعَيْنُ

تَكْذِبُ الْجِلْدَ وَالصَّبْرُ بِدَعَجِ تَجِي<sup>(١)</sup> بِهِ

(١) هذه الأبيات من قصيدة لنا قلناها في مناسبة لو نظرنا اشرحها طال بنا الطربق  
ولخرجنا عن بحثنا الذي نحن بصدده والقصيدة تبلغ عشرة ابيات وهذا مطلقها :  
ما في البلاوي والرزايا من الزين امر نين حكمتها وانحكي به  
إلا انها تكشف سجايا الوفيين وتعلن سريرة من يحب الحبيبة  
اعتقد ان هذه الابيات واضحة في لفظها ومعناها وليست كالكصائد الشعبية الغامضة  
التي نضطر لشرحها .

هذا وقد كان المهادي مرهف الاحساس سريع  
 الفهم لهذا شعر أن هذه العروس ليست مطمئنة إليه فظن  
 انها تجهل سمو منزلته الاجتماعية بين قومه كما تبادل ذهنه ايضاً  
 أن هذه العروس تفكر انه فقير الحال ، لهذا دنا منها ثانية  
 وأفهمها بانها ليس بالرجل النكرة في عشيرته بل انه رئيس قومه  
 وانه فلان المشهور ببطواته والثري بماداته والشاعر الموهوب بأدبه،  
 فهو بعد أن شرح لعروسه هذه العوامل الإيجابية المغرية التي  
 تنصف بها حقيقته ، لم يكن عنده بعد ذلك ادنى شك بعدم قبولها  
 له لأن الأمور التي تطلبها الزوجة من الزوج كلها قد توفرت به  
 من عموم الوجوه الاجتماعية والمعنوية والمادية ، فلم يبق الآن أمام  
 هذه العروس شيء من الأمور المغرية لها إلا توفرت به وزيادة على  
 ذلك فإن المهادي شاب وسيم الطاعة جميل الصورة عذب المنطق،  
 ولكن هذه العوامل كلها وإن كانت ذات أثر فعال في نفسية  
 الزوجة ولكنها لا أثر لها في نفسية هذه الفتاة قطعياً بل ازدادت بكاء  
 ولم يكن بين العروسين أي تجاوب سوى هذا الدمع الفياض هذا  
 هو الترجمان الوحيد المعبر خير تعبير عن خواطرها ، فبعد ذلك  
 أدرك « المهادي » أن قضية عروسه هذه ليست قضية مظهر تهواه



من مظاهر الحياة المعنوية أو المادية بل ولا الأدبية ، وإنما ثبت  
عنده ثبوتاً جازماً أن الفتاة مصابة بأمر نفسي فعلي هذا الأساس  
دنا منها المرة الثالثة وخطبها بكل صراحة بأنه الآن لا يريد منها  
شيئاً سوى أن تصارحه بإيضاح وتبين له العلة النفسانية التي  
استولت على شعورها .

وبعد أن ألح عليها وأكدها أنه سوف يمكنها من رغبتها  
ويبلغها أمنيتها مهما كلفه الأمر ، عند ذلك رجعت الفتاة الفرج  
وتوسمت في زوجها المروءة وقالت في نفسها إن كان هذا الرجل  
هو « المهادي » الذي عرف بالرجولة ومكارم الأخلاق والشمم ،  
فلا بد من أن نفسه الأبية ستعزف عني فيما اذا شرحت له أمري  
من أوله الى آخره .

ولقد وثقت الفتاة ببعلمها وصارحته بما هوأت : « إنني فتاة  
يتيمة توفي والدي قبل أن أبلغ سن التمييز وكان وكيلي عمي الذي  
عقد لك النكاح وهو شقيق والدي ولقد كان بيني وبين ابن عمي  
« مفرج » إلفة زائدة من أيام الصغر فلما كبرنا جميعاً انقابت إلفة  
الصبا الى غرام وعشق ووصل بنا الشوق الى حد أنه لا يسلو عني  
لحظة واحدة وأنا بالمثل وقد كان عمي يعلم ذلك وهو عازم أن ينكحني



ابنه ولـسكن ابن عمي عندما تأكد من رغبتك بزواجي وحرصك على الاقتران بي عند ذلك آثرك على نفسه بصفتك ضيفاً عزيزاً عليه فتركني لك وأنا أعلم أن حياته أصبحت مهددة بما عرفه عنه من المودة المتبادلة بيننا وأن حياتي أنا أيضاً مهددة كل التهديد إذا لم يسعدني الحظ بإطلاق حريتي وعودتي الى ابن عمي وإني أرجو أن يكون لي من إباء نفسك وكرم خلقك ما يشفع لي ويجعلك تترك سبيلي وأنت أيها الشاب الأمير باستطاعتك أن تجد من بنات العرب من هي خير مني وأما أنا فلا يمكن أن أجد من هو خير من ابن عمي مفرج .

فبعد أن انتهت الفتاة من حديثها أجابها المهادي فوراً فقال : « ابشري إني سأتركك لابن عمك وكوني أمينة ومطمئنة إني لن أباشر جسدي ولن تمسك يدي فأنت حرام علي كحرمة والدتي علي وإنا الذي أريده منك أن تخفي الأمر حتى أذهب الى قومي ومن ثم أبعث لك طلاقك بصراحة وأشرح لابن عمك هذا السبب الذي تركتك من أجله » .

لقد باتت الفتاة وهي هادئة البال فسيحة الآمال ، كما بات المهادي وهو مرتاح الضمير أيضاً ولقد كان شديد الغرام فيما سبق

لهذه الفتاة ، أما بعد أن وصل إليها وأصبحت زوجة له شرعية ومن ثم اتضح له غرامها بابن عمها ومودتها المتبادلة معه . فقد رأى أن الإقدام عليها وزواجه منها شيء يخالف الشيمة العربية . فلا يسعه إلا العزوف عنها وتركها وشأنها لهذا الشاب الكريم الذي بلغ به الكرم لضيفه أقصى حد من حدود المروءة .

لقد مكث المهادي عند العروس الجديدة أياماً قليلة ليستترفها أمره أمام الناس ، وبعد ذلك ذهب إلى قومه فلما وصل إليهم اتدب رسولاً من عربيه ليبلغ مفرج طلاقه لهذه الفتاة ويشرح له الأسباب التي دفعته إلى طلاقها ويشكره بالغ الشكر على معروفه الذي صنعه له ويؤكد له إنه أصبح أسيراً لفضله وإنه لا ينسى هذا الجليل مدى الدهر ويزيده تأكيذاً أنه لم يطلق الفتاة وبنفسه لها أدنى غرام ويوضح له أن الغرام والمودة قد امحى أثرهما من نفسه خمسين بالمائة وذلك عندما تم عقد النكاح عليها وأصبحت بقبضته كزوجة شرعية<sup>(١)</sup> وأكد لصاحبه أيضاً قائلاً أنني بعدما علمت

---

(١) فالمهادي يريد ان يقنع ابن عم الفتاة في الحكمة الصريحة القائلة ان لذة المراء بالشيء قبل الوصول إليه اما اذا وصل إليه الانسان وملكه فقد انتهت اللذة بمجرد وصول المراء الى الغاية وهذا المنطق معقول كثيراً والمثل القرني يؤيد صحة هذه الحكمة واعتقد ان هناك مثلاً فرنسياً يقول « ما ألتذ الجمهورية في أيام الملكية » اي ما ألتذ الاماني والشوق إلى الشيء قبل الوصول إليه اما إذا وصل الانسان الى الغاية التي كان يحلم ببعثتها فقد انتهت -

أن هذه الفتاة مرشحة لتكون زوجة لك يا مفرج، أصبح عزوفي عنها لا مائه بالمائه فحسب بل أمسى أمراً ضرورياً يتحتم علي تنفيذه هذا وقد عادت الى أهلها ونكحها ابن عمها ومضت أيام وسنون ومفرج وزوجته في رغد من العيش وبسرور وهناء ليس بعده سرور. استمر هذا النعيم على مفرج وابنة عمه مدة من الزمن وأخيراً مال عليهم الدهر وهلك ما شيتهم وتشتت شمله وذهب ماله وبقي أجوف خالية يده من جميع متاع الدنيا ، والبدوي إذا افتقر ليست حالته كحالة الحضري فالحضري يستطيع أن يستتر في بيته ويقفل بابه ويلتمس اسباب المعيشة في المدينة ، أما البدوي فليس لبيته باب يُقفل ولم يكن ثمة مجال فسيح في البادية لالتماس الرزق

---

- هذه الذة وهذا منطق يؤيده كثير من الفلاسفة والمباصرة الطاعين الى المجد فخذ مثلاً : عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي الذي كان يقول إن نفسي لتوافة الى عشق بنت عبد الملك بن مروان حتى وصلت إليها وادركتها ، فلما استوليت عليها زهدت بها وثافت نفسي ثانية الى الخلافة الاسلامية فاهدأت حتى نلتها ثم زهدت بها فتناقت نفسي الى الجنة الخ ... وهذا كله يعطينا دليلاً واضحاً على ان المهادي إذا قال ان الفتاة ذهب غرامها وعشقتها من قلبه بعد ان وصل إليها واصبحت له زوجة شرعية فهو يكون محقاً بدعواه هذه ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى وهي الناحية الاساسية والرئيسية فانه سوف يأثف منها ويزهدها حتى بعد ان تحقق من امرها فليس من الشبهة ان يتخذها زوجة له بعد ان عرف انها مخطوبة لصاحبه الكريم الذي توسم فيه الرجولة وكان طبق ما تخيله بل جاء اكثر من ظنه به ، فعلى ذلك من الخطأ الكبير ان يتزوج مخطوبة هذا الكريم بعد ان علم بها هذا امر لا يقبله من هو اقل من المهادي مروءة ، فضلاً عن المهادي الذي اشتهر عند العرب بمروءته المتناهية .



وكل اسباب المعيشة في البادية محدودة فاذا يفعل المسكين إذا ضافه ضيف وهو فقير فقراً يجعله يبيت الطوى<sup>(١)</sup> هو وأهله كما أنه ماذا يفعل التعميس إذا رحل العرب وتر كوه في المنزل لا يستطيع أن يباريهم لعدم وجود الراحة التي تقله<sup>(٢)</sup> فهذه الفساقة الشديدة والضرورة الماسة أوجدت في نفس مفرج عاملاً قوياً يحدوه على أن يلتمس السبيل السهل الذي يلتجئ إليه لينقذ نفسه من قيود الفقر الذي هو أثقل القيود على نفوس بني البشر وخاصة النفس الكريمة الأبية ، فبعد أن ضاقت الدنيا بوجهه وتعذرت عليه شتى الأسباب الإيجابية فلم ير الآن بداً إلا أن يذهب الى صاحبه « المهادي » الذي يجزم أنه في بحبوحة من العيش وحياة مزدهرة وسرور ليس بعده سرور ، هذا وقد ذهب « مفرج » الى ضيفه السابق المهادي ونزل بضيافته ليلاً هو وعائلته وبنأؤه الثلاثة فلم ير المهادي ساعة أبرك عليه وأسعد بل ولا أشرف وألد من زيارة مفرج له لاسيما

(١) أي يبيت ليلة بدون طعام من فراغ ذات اليد .

(٢) يظهر ان القحط كان شاملاً لقبيلة « مفرج » بصورة عامة لان طبيعة العرب تميل إلى مذهب الاشتراكية فالمرء إذا افتقر بينهم ، خاصة إذا كان شخصية كريمة كمفرج فانهم يساهمون بدفع ما يستطيع كل واحد منهم من ماله بقدر الامكان وتكون هذه الهبة كسلفة يعيدها صاحبها متى اغناه الله اما إذا كانت السنة مجدبة بصورة عامة على القبيلة جميعها هناك لا يستطيعون معاونة بعضهم لأن الفقر شملهم جميعا وهكذا اعتقد بقبيلة مفرج .



بعد ما رأى أثر الفقر على وجهه ووجوه أبنائه المجمعة الشاحبة  
وكان المهادي يعتبر مجيء مفرج له من دلائل سعادته ومن  
علامات توفيقه في الحياة وطيب حظه واكبر ما يتمناه المهادي  
أيضاً ان صاحبه أتاه من فاقة شديدة حتى يشاركه في ما يملك وينفق  
عليه من الدنيا لينسيه الفقر ويدخل على قلبه السرور ، وظاهر  
أمر مفرج يعطي المهادي دليلاً واضحاً على فاقته ، لهذا بادر المهادي  
مسرعاً بأمره لإحدى زوجتيه وهي صاحبة البيت الكبير أن تخلي  
البيت بما فيه من فرش وأثاث وتتركه لضيفه وصديقه مفرج  
ليسكنه هو وعائلته وقد نفدت زوجته أوامره فوراً وسلمت  
البيت وما فيه لزوجة ضيفهم وخرجت بنفسها ولم تحمل معها من  
البيت قليلاً ولا كثيراً ، وقبل أن تبارح بيتها تذكرت أن ابنها  
يسهر مع فتیان العرب ولا يعود الى مضجعه الا بعد منتصف الليل ،  
وعادة إذا عاد يبيت على طرف الفراش الذي تبيت عليه والدته .  
لذلك نهت والدته الفتى التي هي زوجة المهادي زوجة  
ضيفهم وأعلمتها أن ابنها الآن يرحل مع الصبيان في مكان بعيد عن  
منازل العرب وبعد منتصف الليل سوف يعود هذا الصبي الى البيت  
واكدت عليها ان لا تنام حتى يأتي ابنها وتشعره بأن والدته بارحت

البيت وذهبت إلى بيت أهلها والصبي إذا علم ذلك يدبر نفسه مكاناً  
يبست فيه هذا وقد تعهدت الضيفة لأم الصبي أنها ستظل يقظة  
حتى يأتي الصبي وترشده بالأمر الواقع ، وقد كانت الضيفة صادقة  
بتعهداتها ، ولكن النوم كما يقول المثل سلطان جائر ، فقليلة التوفيق  
سهرت قليلاً ثم غلب عليها النوم فنامت نوماً ثقيلاً وذلك لطول  
السفر والمسير البعيد فأهملت وصية أم الفتى ، فأنى الشاب كالمعتاد  
ورفع طرف فراش والدته ونام عليه وبقي نائماً في طرف الفراش  
والضيفة على طرفه وكلاهما متحفان في غطاء واحد وفراش واحد  
هذا وقد كان « مفرج » يسمر مع صاحبه « المهادي » صديقه  
القديم ، والمهادي حريص على أن يؤنسه ويسليه ويدخل على قلبه  
السرور والمرح بقدر ما يمكنه ، وبعد أن مضى أكثر من نصف  
الليل استاذن الضيف من صاحبه المهادي ليذهب وينام فأذن له  
صاحبه وسار يشيمه حتى أدخله على بيته الذي وهبه له ، فلما كشف  
الفراش وجد زوجته نائمة وبجانها فتى يناهز العشرين فاندھش  
من هذا المنظر الشاذ فخبط برجله على قلب الشاب خبطة قوية  
بغير شعوره فشقق الفتى شهقة فارق بها الدنيا ، فاستيقظت زوجته  
فوجدت هذا الفتى مصروعاً بجانبها ونظرت الى زوجها وإذا غيرته

وحماسته طاغيتان على عقله فصاحت بوجه زوجها « ويليك قتلت ابن الأمير » عندها استعداد الزوج رشده واستفسر من زوجته وهو لا يزال في ثورة الغضب « من هو ابن الأمير ؟ ما الذي يجعل ابن الأمير يأتي الى فراشي ؟ ومتى عرفت ابن الأمير ؟ »

الزوجة « هذا ابن المهادي أخبرني عنه أمه بأنه يأتي الى بيت امه ويرقد على طرف الفراش وقد نهتني امه بذلك ولاكن استولى على النوم ورقدت »

مفرج : « يالها من مصيبة كبرى فكيف المخرج من هذا المأزق الحرج »

الزوجة : « مالك إلا أن تذهب الى المهادي وتخبره بما قدر الله وقضاه » .

مفرج : « لا محيص لي من ذلك » .

ذهب مسرعاً قاصداً المهادي فوجده جالساً في الموضع الذي كانا فيه سوياً فدنا منه وقص عليه الحادثة ، وكان مفرج مرتبكاً عندما قص عليه القصة ، فأدرك المهادي شدة انزعاج صديقه فقال في نفسه : يجب أن نهون على صاحبنا الأمر وألا أظهار أمامه بأي عاطفة أبوية حتى لا تقع في مصيبة ثانية غير المصيبة التي



وقعت وهو يشير الى أنه يخشى على صديقه مفرج من أن يحصل معه صدمة نفسية يحدث له من أثرها مرض عصبي لهذا فعل كل ما أمكنه من أطمين مفرج وأن الحادثة لا قيمة لها عنده وأنه أمر قدره الله وطلب من مفرج ألا يعلم أحد قطعياً وأن يحذر زوجته ألا تبدي هذه القضية لأي شخص كان حتى ولا لأولادها وهب مسرعاً وحمل ابنه على ظهر فرسه وألقاه في الموضع الذي يمرح به الصبيان ويلعبون به في ليلهم ، وعاد راجعاً كأن لم يكن شيء من ذلك كله ، فلما تجلى النهار وجد الناس ابن المهادي ميتاً في ملعب الفتیان فكل من رآه سكت خشية أن يتهم ابنه به حتى ارتفع الضجى وشاع الخبر عند العرب جميعاً وتسرب الى والد المقتول الذي هو أمير القوم ، الآن أنفعل المهادي واستعمل غضبه المصطنع وصاح على عربيه وطالبهم جميعاً بدم ابنه أو أن يخبروه بالشخص القاتل ، ولكنه لم يجد من يجيبه على كلامه ، وأخيراً عقد جلسة حضرها عموم الشخصيات من كبار قومه ودار الحديث فيما بينه وبين هؤلاء الكبار وآخر الأمر تم البحث على تنفيذ ما يلي :

أن تحصى نفوس العرب جميعاً وخاصة الأغنياء منهم ويجعل

على كل فرد منهم ناقة من أطيب الإبل . وافق القوم على ذلك ، فما غابت شمس ذلك النهار إلا وقد اجتمع ما يقارب ثلاثمائة ناقة من خيرة الإبل عند بيته فساقها القوم وسلموها لأمرهم المهادي كدية لابنه ، استلمها المهادي وذهب إلى الضيف الصديق وأشعره بأن هذه الإبل هي ملك له وإنما تبقى الآن مبدئياً بين إبل المهادي حتى تنقشع هذه السحابة المصطنعة . أما أم الفتى التي هي زوجة المهادي فإن المهادي ساق لها عدداً من الإبل كدية منه لإبنها وبعد مضي مدة من الوقت ادخل المهادي هذه الإبل على صديقه القديم وأصبح مفرج من كبار أثرياء البادية ولم يزل مفرج في جوار صاحبه المهادي وبقي الاثنان كالأخوين لا يفترقان ، وإذا جلس المهادي ومفرج في مجلس يضم الإثنين كان صدر المجلس والحديث لمفرج هو صاحب المكان والمهادي كأنه غريب ، مضت سنوات غير قليلة وهما خيلان صادقان .

فاذا أردنا ان نبحث عن أساس الصلة التي بنيت على أساسها صداقة المهادي ومفرج فإننا نجد ذلك ناشئاً عن غرام المهادي بتلك الفتاة وعلى ضوء تلك الحادثة الغرامية توطدت أواصر

المودة والولاء بين كل من المهادي القحطاني « ومفرج السبيعي »  
لأنها ولا شك كانت محكاً لأخلاق الشخصين ولقد عبرت عن  
عمرارة أصل وشيم كلا الصديقين ومما لا جدال فيه أن أخلاق  
مفرج السبيعي تعتبر في الحادثة المشار إليها أكثر سمواً من صاحبه  
المهادي <sup>(١)</sup> كما أنه لا يفوتنا قول الحق أن المهادي تحمل من الغيظ  
وفعل من الجميل مع صديقه مفرج بعد أن زاره الشيء الذي يعتبر  
منتهى الحلم والكرم والتسامح .

أقول إذا عدنا إلى البحث عن أسباب الصداقة الأولى نجد  
السبب هو نظرة المهادي لتلك الفتاة التي خلبت لبه بجمالها  
الساحر .

لهذا يجدر بنا أن نقول : إن تفرقة هذين الصديقين  
مستكون بسبب النساء أيضاً كما كانت الصداقة بسببهن .  
إلا أن الأولى أي علاقة المهادي وغرامه بتلك الفتاة كانت علاقة  
شريفة . وقد التمس المهادي الوصول إليها من طريق شريف  
لأن جوهر المهادي ومعدنه كان مبنياً على أساس متين من الفضيلة

---

(١) يخالفني الرأي بعض الاصحاب حيث يفضل المهادي على صاحبه مفرج ولكني  
أرى مفرجاً هو البادئ بالمعروف كما أنه هو الخاتم له واعتقد أن القارئ الحكيم النصف  
يشاركني الرأي عندما يقرأ القصة من أولها إلى آخرها .



والعفة . فهو عندما شغف حباً بالفتاة ذهب ينقب عنها طامعاً بالحصول عليها من سبيل شرعي . كما انه عزفت نفسه الأية عنها عزوفاً كلياً عندما ثبت لديه غرامها بابن عمها .

ولكن الحادثة الغرامية الآتي ذكرها ، تختلف كل الاختلاف عن حادثة المهادي ، وان تشابهت الأسباب والوسائل فإن غاية الاثنين متباينة تبايناً كلياً :

وإليك شرح الثانية الوخيمة القذرة :

كان للمهادي فتاة جميلة الصورة ابتلى بحبها أحد أبناء « مفرج » فذهب يلتمس الوصول إليها بغير السبيل الشرعي<sup>(١)</sup> فلا يترك فرصة من الفرص التي تكون فيها الفتاة آمنة مطمئنة

---

(١) لا أعلم لماذا حرص هذا الشاب على الوصول إلى هذه الفتاة عن طريق السفاح ؟ ولم يحاول ذلك عن طريق النكاح المشروع . لا بد من ان يكون هناك عوامل اساسية تحول دون الوصول إليها بالزواج الشرعي فقد تكون هذه الفتاة ( بحيرة ) لابن عمها ومعنى ( الحيرة ) هو ان ابن عمها الأدنى يقول « إني بحير ابنة عمي فلانة » معناه انه منعها منعاً باتاً ان تنكح رجلاً غيره . فعند ذلك لا يستطيع عمه ان ينكح ابنته من اجني إلا برضى ابن اخيه . فان زوجها من غيره بدون إذن منه يصبح مهدداً بالقتل من قبل ابن اخيه ، كما ان الزوج نفسه يصبح عرضة للتنكيل . وهذه العادات لازال لها بعض الأثر في البادية وهي في طريقها إلى التلاشي . المقصود ان ابن مفرج ماسمى وراء هذه الفتاة وحاول الوصول إليها من طريق الفاحشة إلا والسبيل المؤدي إليها بطريقة شرعية غير متمسر . ولا ندري ايضاً فيما إذا كانت الفتاة غير بحيرة وكان بإمكان الشاب ان يطلبها من والدها بكل سهولة ولكن نفسه الحينة لا ترى لذتها إلا من طريق الحرام .

ونحن نغفل إلى الرأي الأخير لما يظهر لنا من دناءة نفسة الفتى ونجده اقرب قصواب .

وفي خلوة من الناس : إلا اغتنم هذه الفرصة مع الفتاة وبدأ يغازلها ويداعبها ويحاول أن ينال من عرضها بقدر ما يمكنه .

هذا والفتاة تخبر والدتها بالواقع من أول الأمر إلى أن تمادى السفيه في جهله وشقاوته . وكانت والدته الفتاة أيضاً تخبر والد الفتاة ، وقد كان يوصي زوجته بأن تحرص ابنتها على ألا تفشي هذا السر لأي أحد كان . وأن تحرص أيضاً على أن تباعد عن الشاب بقدر ما تستطيع ، وقد كانت الفتاة منفذة لأوامر والدها ومطبعة لوصيته عملياً قبل أن يأمرها بذلك ، فزادت بوصيته حرصاً فوق حرص . ولكن حرصها لم يفدها شيئاً امام الشقي فكان يزداد تمادياً في سفاهته وضلاله .

مضت مدة طويلة وعفة الفتاة مهددة بخطر من هذا الشاب الفاسق . وأخيراً تقلص صبر الفتاة وبكت امام والديها واعلنت لهما بصريح العبارة أن الشاب أصبح منها قاب قوسين أو أدنى ، وأوضحت لهما أنه على استعداد كامل أن يفترسها عند أول خلوة يخلو بها ، وبصفتها انثى بطبيعتها ضعيفة امام الرجل فلا تستطيع أن تدافع عن نفسها إذا هم هذا الفاجر بها وإن مقاومتها لا تثمر شيئاً .

هذا وقد كان والدهما على أحر من الجمر فلا يعلم ماذا يفعل ؟ وماذا يتخذ من الحيلة لحل مشكلته ؟ فهو إن صرح لصديقه والد الشاب بالجرعة التي ينتوي ابنه تنفيذها فإن صديقه سيعاقب ابنه أشد العقاب لا محالة ؛ والمهادي لا يريد أن يصاب ابن صديقه بسوء بسببه ولا بغير سببه لأنه يعتبر ابن صديقه كأنه ابنه بل ربما يرى له من حرمة الجوار ووفاء الصداقة الشيء الذي يفوق حرمة الابن عند والده ، واسكن المصيبة الكبرى أن الشاب لا يراعي للجوار حرمة فهو لا يضع نصب عينيه إلا الفرصة التي تمكنه من هذه الفتاة ، لهجم عليها ويستبيح عرضها بأية وسيلة كانت ، هذه هي أمنية الفاجر التي كان يحلم بها . والمفهوم أن والد الفتاة علم من طريق ابنته العلم اليقين بنية المجرم التي يحكيها لابنته لهذا اضطر أن يحجب ابنته عن الخروج ، وإن خرجت لطريق ما تولى حراستها بنفسه . ومضى وقت غير قصير والحالة مستمرة على ذلك والشاب المعتدي ليس له شغل يشغله إلا مراقبة الفرصة السانحة التي يثب عليها على الفتاة ووالدها يلاحظ حركات المجرم بعينه فما يزيده ذلك إلا حرصاً على حراسة ابنته .

ومضى وقت غير قليل والحالة متواترة على هذا الشكل ،



وأخيراً فرغ صبر الشيخ وطالت عليه ليالي الحراسة من هذا المعتدي الغشوم<sup>(١)</sup> فهب يلتمس أنجمع الوسائل والأسباب التي يأمن بها على عرض ابنته . فرأى أن أيسر الطرق وأهداها هو إما أن يرحل عن جاره « مفرج » ويتركه هو وابنه المسيء أو أن يرحل جاره عنه ويبعد عنه الخطر المهدد لعرض ابنته . هذا هو المخرج الوحيد الذي ينجو به من آفة هذا الطـأش الذي سعى بافساد ما أصلحه الصديقان سنين عديدة .

أصبح المهادي يرى أن فراقه لصديقه أمر لا يحصى منه فهب يلتمس حيلة يلصق بها لصاحبه بالرحيل عنه لأنه شق عليه أن يصرح له بذلك فوجد أن هناك لعبة تسمى عند البادية « البيه » وهي المسماة عند الحضر « الدامة » فطلب المهادي من جاره أن يتسلى وإياه ويلعبا هذه اللعبة . فلبى مفرج طلب صاحبه ولعبا معاً . وعندما كان ينقل المهادي إحدى آلات هذه اللعبة من موضع إلى

---

(١) للقارئ ان يقول ولم ينكح المهادي ابنته هذا الفتى ويحسم دابر الاشكال ?? وهذا هو الرأي الصواب : ولكن ربما كان هناك مانع كما اسلفنا ولا نعلم ايضاً لو ان « المهادي » اراد ذلك ولكن الفتى رفض ومن يعلم فيا إذا كان هذا الشاب قد انكحه المهادي ابنته الأخرى شقيقة هذي : فمئذ ذلك لا يصح له من الوجهة الشرعية ان يجمع بين الاختين .

موضع كان يقول لمفرج « ارحل وإلا رحلنا »<sup>(١)</sup>.

انتبه جاره لهذه العبارة لأن المهادي أعادها عدة مرات  
واندهش دهشة عظيمة لأن المهادي لا يمكن أن يصرح بمثل هذه  
العبارات الا أن يكون هناك دافع قوي ألجأه إلى ذلك ، ومفرج  
لا يذمى أنه أراد في أول الأمر أن يستأذن من المهادي ويذهب  
إلى عشيرته (السبيع) أراد ذلك بعد أن وهبه المهادي الابل التي  
دفعتمها عشيرته دية لابنه . ولكن المهادي أبى ورفض ذلك وأصر  
كل الاصرار على أن يبقى بجواره حتى يفرقهما الموت . فكأنني  
بلسان حال مفرج يقول : ما هذا الانتكاس الذي جعل المهادي  
يكرر عبارته « ارحل وإلا رحلنا » ولقد أيقن مفرج اليقين القاطع  
أن هناك حادثاً خطيراً اضطر المهادي إلى ان يقول تلك العبارة .

ولما كان مفرج غريباً بين عشيرة المهادي لهذا لم يستطع  
أن يسر لأحد أمره ويشكو إليه مصيبته التي المت به وهي رغبة  
المهادي بفراقه ، لم يجد مفرج أحداً يشكو إليه ذلك إلا زوجته

---

(١) رويت لنا هذه العبارة من عدة وجوه . ولا شك ان هذه العبارة تعتبر في  
متى الراحة ، وليس فيها من التلميح والاشارة شيء . والذي يبدو لنا ان المهادي سبق  
ان لمح لصديقه بالرحيل وصديقه ذاهل عن ذلك لا ينتبه لاشاراته وتلميحاته . لهذا اضطر  
المهادي ان يلجأ لتلميحاً يسترعي انتباه السامع .

التي تبادل معها الرأي فاضطر إلى أن يخبرها بكلمة المهادي له « ارحل وإلا رحلنا » فاجتمع رأي الزوجين على أن هناك أمراً عظيماً شعر المهادي بضرره فرغب بالفراق حسماً للخطر .

وقد قرر رأيهما على أن يذهب مفرج إلى المهادي ويستأذن منه بأن يرحل إلى قبيلته، فذهب إليه وقال له : إني مشتاق إلى زيارة أهلي الذين مضى على مفارقتي لهم عدد من السنين . فقال المهادي : حسن لك ما تشاء . فلما سمع مفرج جواب صاحبه الذي يدل على عدم الاكتراث بفراقه بل رآه يستقبل النبأ بكل فتور ولا يبدي أي أسف أيقن يقيناً لا ريب فيه أن صاحبه يكتم في صدره أمراً خطيراً وأنه يرغب في الفراق رغبة أكيدة .

ذهب مفرج وهو يحس بحرارة الألم وأعد رواحله فوراً ورحل . وفي طريقه مر على صديقه المهادي فودعه ثم واصل سيره مولياً وجهه شطر قبيلته ، وكل ما يتمناه هو ان يعرف الاسباب التي أثرت على عواطف صديقه الحميم فجعلته ينفر من جواره بعد أن كان يعز عليه فراقه . فكر طويلاً ليعرف هذا السر الغامض . فتكاثر عليه الظنون وقال في نفسه ربما يكون بعض الاعداء قد وشى بي عند صاحبي ، ولكنه يعرف أن صديقه رجل رزين



لا يمكن أن تؤثر عليه وشاية الواشين ، فحصر تفكيره بناحية واحدة ، واتجهت ظنونه نحو اولاده الثلاثة ، ورسخ في ذهنه أنه لا بد أن واحداً من هؤلاء الفتيان سولت له نفسه بانتهاك حرمة صديقه المهادي . وقد اختمرت في ذهن مفرج هذه الفكرة ولكنه أحب أن يستوثق منها .

وكان مفرج يعرف أن المهادي شاعر مطبوع فقال في نفسه لا بد من أن المهادي ستنفتح قريحته ويعزف على ربابته<sup>(١)</sup> القصيدة التي تعبر عن حقيقة أمره وواقعه الحالي وعلى ضوء هذا التفكير سار مفرج بنفسه وترك زوجته وأولاده وقصد منزل صديقه المهادي حيث وصله ليلاً فبقي متوارياً من خلف رواق البيت ، فلما انتصف الليل وأيقن المهادي أن العرب ناموا جميعاً

---

(١) الرابطة : آلة موسيقية عند البادية وهي ابلغ شيء يطرب من نغماتها العربي فلما إذا كانت القصيدة قصيدة طرب وتغزل . اما إذا كانت القصيدة ينطق معناها إلى حزن وشكوى وآلام فلا يمكن ان يسمع العربي او يرى ما يثير شجونه وآلامه مثل الرابطة والحقيقة ان لها اثراً عظيماً في نفسية العربي ، خاصة إذا كانت القصيدة محزنة . ولا يمكن ان يعرف احد ما للرابطة من تأثير في شعور العربي وعواطفه إلا من يتذوق نغماتها ويعرف معاني القصيدة الشعبية التي تلحن على اوتارها .

وحذار ان يظن الفارسي ان الرابطة التي يحملها (النور) المنحطون هي نفس تلك ، ليس كذلك لأن الأولى لا يترنم بها إلا الأبطال او من يحذو حذوهم في اندية العرب ومجتمعاتهم ، وتنطق إلى معان جمة في عموم حياة البادية الاجتماعية والحربية والأدبية مع انها الآن لا اثر لها خاصة في بادية نجد . اما الثانية فهي آلة هزلية تحترف بها فئة سافلة من حثالة البشر .

هناك تناول ربابته وأنشد هذه الايات :

(١) يَقُولُ الْمَهَادِي وَالْمَهَادِي مُهْمِلٌ<sup>(١)</sup> لَوَى عَلْتِي جَمِيعُ الْوَرَى مَا دَرَاهَا

(٢) « أَنَا إِنِّي يَنْتَهَا بِأَنْتِ لِرِمَاقَةِ الْعَدَا

وَأِنْ كُنْتُهَا ضَاقَ الْحَشَا بِأَنْتَاهَا

(٣) ثَمَانِ سِنِينَ وَجَارَنَا مُجْرِمٌ بِنَا وَهُوَ كَمَا وَاطِي جَمْرَةٍ مَا دَرَاهَا

(٤) رَحَلَ جَارَنَا مَا جَاءَ مِنَّا رَزِيَّةٌ وَلَوْ جَتْنَا مِنْهُ مَا جَاءَ مِنَّا عَتَابَهَا

(٥) نَفُوحَ خَمَالٍ الْجَارِ إِلَى دَاسِ زَلَّةٍ<sup>(٢)</sup> كَمَا تَرَفُو بِيضَ الْعَذَارَى ثِيَابَهَا

(٦) تَرَى جَارَنَا الْقَالِطَ عَلَى كُلِّ طَلْبَةٍ<sup>(٣)</sup> وَلَوْ كَانَ مَا يَلْقَى شُهُودٍ غَدَاهَا

(٧) أَلَّا جَوَادُ إِذَا قَارَبَتْهُمْ مَا تَمَلَّهْمُ وَالْأَنْذَالُ إِذَا قَارَبَتْهُمْ عَفَتْ مَا بَهَا<sup>(٤)</sup>

(٨) أَلَّا جَوَادٌ مِثْلُ الْعَدَا مِنْ وَرْدِهِ ارْتَوَى<sup>(٥)</sup>

وَالْأَنْذَالُ لَا تَسْقِي وَلَا يَنْسَقِي بِهَا

---

(١) عرف عند عموم رواة العرب بأن اسمه ( مهمل ) لا محمد ولكنني أرجح ان

اسمه محمد لأنه إذا كان ( مهملًا ) فلا معنى لاسمه ، واعتقد انه قلب من محمد إلى مهمل .

(٢) الخمال : العيب .

(٣) القالط : الفائز . طلبه : دعوه .

(٤) ما بها : ما بهم .

(٥) العد : البثر .

(٩) الاجواد مثل البدر في ليلة الدُّجَا

والانذال ظلما ضايع من سرى بها

(١٠) الاجواد مثل الزمل للشيل ترتكي<sup>(٥)</sup>

والانذال مثل الحشو كثير الرغا بها

(١١) ولي عجوز من سبيع العامر مضيعت غرَّانها في شبابها<sup>(٦)</sup>

(١٢) أقسمت يا ارض خلَّت من مُفرِّج

ما أبغها لو هو زعفران تُرابها<sup>(٧)</sup>



---

(٥) الزمل : الجمال القوية . الحشو : اولاد الجمال الصغيرة . الرغا بها : الصباح .  
أي كثيرة الصباح والمثل .

(٦) ولي : ابتمدي . غرَّانها : اطفالها .

(٧) ما أبغها : لا اريدها .



## شرح الابيات

(١) « يَقُولُ الْمُهَادِي وَالْمُهَادِي مُهْمَل

لَوْ لِي عَلَيَّ جَمِيعَ الْمَلَأَ مَا دَرَا بِهَا »

يقول انني انا المهادي ابتليت بمصيبة عظيمة وقد طويت عليها نفسي ولم يطلع عليها أحد من بني البشر . ومن المسلم به أن أعظم المصائب أثرًا في النفس هي المصيبة المكتومة التي لا يجد صاحبها من يديها له

(٢) « أَنَا إِنِّي بَيْنَتْهَا بَأَنْتَ لِرِمَاقَةٍ <sup>(١)</sup> الْعِدَا

وإِنْ كُنْتُهَا ضَاقَ الْحُشَا بِأَلْتِهَابِهَا »

يشير صاحبنا الى البلية التي ابتلي بها وهي مراودة ابن جاره لفتاته من ناحية ومفارقتها لصديقه العزيز عليه من ناحية اخرى ويقول : إنها علي من أدهى الملمات والرزايا ويعطينا دلالة على شدة تأثره بها فيقول إنه لا يستطيع أن يفشيها فيشمت به أعداؤه كما

(١) الأعداء الشامتون .

أنه فرغ صبره من تحفظه وكتماه لها .

(٣) « ثَمَانُ سِنِينَ وَجَارِنَا مُجْرِمٌ بِنَا

وَهُوَ كَمَا وَاطِي جَرَّةٍ مَا دَرَاهَا »

يؤكد الشاعر أن هذه الإساءة التي صدرت من ابن مفرج ليست قضية أيام أو أشهر ولا إساءة سنة أو سنتين بل إنها ثمانية سنوات والإساءة مستمرة بشكل عنيف ورغم هذه المدة الطويلة يؤكد لنا المهادي أنه لا زال يتجلد ويصبر ، ويقول من المصيبة أن والد المجرم أي صديقه مفرج لا يعلم شيئاً عن المصيبة التي ابتلي بها بسبب ابنه والعار الذي أراد أن يلبسه الابن أباه . ويصف لنا حالة صديقه مفرج أنه أشبه ما يكون بالمرء الذي وضع قدمه على نار متوارية عن نظره وهو لا يراها ولا يحس بحرّها لسبب ، إما أنه ينتعل نعلاً يقيه أذاها أو بسبب موت جلد قدمه فأصبح لا يتألم وإن كانت النار تأكل لحمه وذلك على رأي أبي الطيب المتنبي في الشطر الثاني من هذا البيت :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بعيت إِيـــــلام

وهو إذ يصف مفرجاً بهذا الوصف يعتقد أنه لو علم بالجرمة التي يحاول ابنه ارتكابها لكانت المصيبة على مفرج أكبر وأعظم

مما هي على المهادي لهذا يقول :

( وَهُوَ مِثْلُ وَاطِي جَمْرَةٍ مَا دَرَا بِهَا )

(٤) « رَحَلَ جَارِنَا مَا جَاهُ مِنَّا رَزِيَّةٌ

وَلَوْ جَتْنَا مِنْهُ مَا جَاهُ مِنَّا عِتَابَهَا »

يقول إن جاره رحل من عنده بدون أن تأتيه أذية منه بل يقول ولو فعل جارنا بنا الدنيئة وأساء إلينا بجيرته لنا فلا يمكن أن نعاتبه على إساءته لنا بل نتسامح ، ونغض الطرف عن جريمته مهما عظمت وكبرت .

(٥) « تَرْفُو خَمَالُ الْجَبَارِ إِلَى دَاسٍ <sup>(١)</sup> زَلَّةٌ <sup>(٢)</sup> »

كَمَا تَرْفُو بِيضُ الْعَذَارَى ثِيَابَهَا »

يزيد تأكيداً في هذا البيت بأن حرمة الجار في نفسه عظيمة عظيمة بالغة ويوضح لنا أن جاره لو تمادى في إساءته فإنه يقابله بأحسن منها ويحاول أن يستر هذه الإساءة حتى لا يطلع عليها الناس لهذا قال « تَرْفُو كَمَا تَرْفُو بِيضُ الْعَذَارَى ثِيَابَهَا » أي كما أن المرأة إذا انشقت ثوبها الذي يستر عورتها وتجمل به تحرص

(١) داس : بمعنى إذا فعل .

(٢) زلة : بمعنى خطيئة .



كل الحرص على أن ترفو هذا المكان حرصاً على تجماعها وسترأ  
لعورتها، وكذلك يقول نحن نفعل ما استطعنا لنستر جريمة  
جارنا فيما : إذا أخطأ وتجاوز الحد بخطيئته وضرره

(٦) « ترى جارنا القاطن<sup>(١)</sup> عَلَى كُلِّ طَلَبَةٍ<sup>(٢)</sup> »

وَلَوْ كَانَ مَا يَلْقَى شُهُودٌ غَدَا بِهَا «

يقول لنا المهادي إن الجار مقدس عنده وإنه إذا ادعى بقضية  
ما وطالب بها فإنه يحكم له بصحة ما يدعيه ويعتبر أن دعواه هذه  
قضية مسلم بها حتى ولو أنه لم يستطع أن يأتي بالبينة التي تثبت  
دعواه، ولا بالشاهد الذي يشهد له بثبوت حجته. ومنطق المهادي  
يقول : إنه لا يطالب جاره بشيء بل يتركه له وهو راض  
ومطمئن الضمير .

(٧) « الْأَجَوَادُ إِذَا قَارَبَتْهُمْ مَا تَمْلِكُهُمْ

وَالْأَنْذَالُ إِذَا قَارَبَتْهُمْ عَفَتْ مَا بَهَا

يمتدح الشاعر نفسه دون أن يصرح بذلك فيقول : إن الرجل  
الطيب المعدن تجذبك خصاله إليه فكلما اقتربت منه ازدادت رغبة

(١) القاطن : أي المقدم .

(٢) طلبية : أي دعوة .

فيه ومحبة له وإعجاباً به . ويمطينا دليلاً صادقاً بأنّ الأبحاد والأجواد لا يشعر صديقهم ولا جارهم بأيّ ساءم ولا ملل مهما طالّت اقامته عندهم وفي الشطر الثاني يفيدنا أن الانذال إذا قرب منهم المرء عافهم ورأى أن سلامة عرضه منهم هي الكسب الوحيد لهذا تراه أشار بقوله : ( وَالْأَنْذَالُ إِذَا قَارَبْتَهُمْ عَفَتَ مَا بَهَا ) والا صبح أن يقول « عفت ما بهم » واسكن ضرورة الشعر ألبأته إلى ذلك .

(٨) « الْأَجْوَادُ مِثْلُ الْعِدِّ (١) مِنْ وَرَدِهِ أُرْتَوَى

وَالْأَنْذَالُ لَا تُسْقَى وَلَا يُنْسَقَى بِهَا »

معنى هذا البيت منسجم تماماً مع معنى البيت الذي قبله . إلا أنه يوضح أن الأخيار أقرب ما يكونون شبيهاً بالبئر الفزيرة الماء التي لا ينقص ماؤها من كثرة الواردين منه مهما زاد عددهم وأما الانذال فهم على عكس ذلك .

(٩) « الْأَجْوَادُ مِثْلُ الْبَدْرِ فِي لَيْلَةِ الدُّجَى

وَالْأَنْذَالُ ظُلُمَاتُهَا مِنْ سَرَى بِهَا »

(١) العد : البئر الفزيرة ماؤه .

وهذا أيضاً قريب المعنى من البيتين الأوليين . فهنا يصف لنا مدى فضل الأخيار على الأندال ويهدينا إلى التباين البعيد بين الطرفين فيقول : إن الأخيار لهم علامة فارقة تميزهم عن غيرهم من سائر الناس وأنهم أشبه ما يكونون بالبدر في كمال غوه . ثم يعود ويصف الأندال فيقول أنهم كالليل المدهم الذي لا يستطيع أحد أن يسير فيه . وإن سافر فيه مسافر للضرورة فإنه سيخطئ الطريق لشدة ظلمته وقلة العلامات التي يهتدي بها المسافر .

(١٠) « الْأَجْوَادُ مِثْلَ الزَّمَلِ <sup>(١)</sup> لِأَشْيَلِ تَرْتَكِي

وَالْأَنْدَالُ مِثْلَ الْحَشْوِ كَثِيرَ الرَغَابِهَا

في رأي الشاعر أن الأخيار مهما تكن المصائب بهم جليلة وخطيرة فإنهم يتحملون صعوبتها كما تتحمل الجمال « الزمل » الجمولة الثقيلة . ثم يذهب بنا الشاعر إلى نفسية الأندال ويقول : إنها منحطة إلى آخر ما يعبر عنها فكما أنه وصف الأخيار بالجمال لاحتمالهم المشاق فكذلك وصف الأندال « بالحشو » والحشو هي أبناء الابل الصغار التي لا تستطيع أن تتحمل من الجمولة ما تتحمله الجمال القوية .

(١) الزمل : الجمال الشديدة القوية .



(١١) « وَلِيٌّ <sup>(٢)</sup> عَجُوزٍ مِنْ سَبِيْعِ الْعَامِرِ

مُضِيْعَتٍ غِرَّانَهَا فِي شَبَابِهَا ————— »

أرى أن هذا البيت أبلغ ما في القصيدة إذ أن فيه حكمة  
وبياناً قوياً . فالمهادي هنا يريد أن يوضح لنا أن السر الذي جعل  
ابن جاره فاسد الأخلاق إلى حد أنه يحاول فعل الفاحشة بابنته  
وهو يعلم أن المهادي عند والده بمنزلة أعظم من منزلة الاخ  
الشقيق ورغم هذه الأخوة الصافية الصادقة المتبادلة بين  
الطرفين لم يرتدع عن مراودته لابنته . فالمهادي يؤكد أن  
السر الوحيد الذي أفقد هذا الصبي المناعة الخلقية هو عدم  
تربية والدته له فهو يعتقد أن والدته لو أحسنت تربيته أولاً  
وهذبت أخلاقه وأفهمته ماللجار والصديق من حرمة وحقوق  
في نفوس العرب ، لو أرشدته إلى ذلك منذ نعومة أظفاره لما  
انحطت نفسه إلى هذا الحد <sup>(١)</sup> .

وهو يقصد بقوله « وليّ عجوز » أي قبحك الله من عجوز

---

(٢) ولي : اي ابتعدي .

(١) لقد حمل المهادي المسؤولية كلها على والدته الفتى لاعتبارها الام ، والام بلاشك  
هي مدرسة الحياة الاساسية فان صلت صلب الابن وبالعكس وهذا ما ذهب إليه الشاعر  
حافظ ابراهيم بقوله :

الأم مدرسة إذا اعددتها اعددت شعباً طيب الاعراق

عندما كنت شابة أهتمات توجيه ابنك حتى كانت أخلاقه سيئة  
 بهذا الشكل <sup>(١)</sup> وفي هذا البيت دلالة واضحة على أن هذه العجوز  
 من عرب سبيع العامر يعني بذلك أنها من قبيلة بني عامر الفخذ  
 المعروف المتفرع من سبيع بادية مدينة الرياض  
 (١٣) « أَقْسَمْتُ يَا أَرْضِ خَلْتِ مِنْ مُفَرِّجٍ

ما أبغها لو هو زعفران ترابها »

يقسم بطل الحادثة على نفسه بأنه لا يمكن أن يسكن في  
 الأرض التي رحل عنها صديقه مفرج لأنه لا يرى المكان الذي  
 كان يسكنه جاره مفرج إلا ويزداد حزنه وشوقه إلى صاحبه .  
 لهذا يقول إن الأرض التي أرى فيها آثار جاري وصديقي يتحتم  
 عليّ هجرانها والنزوح عنها حتى ولو كان ترابها زعفران والزعفران  
 أشبه ما يكون بالورد رائحة وهو أصفر اللون .

والقصيدة أكثر من هذه الايات وانما تركنا البقية  
 واخذنا ما فيه شاهد ودليل على صحة الحادثة

لقد ترنم الشاعر في قصيدته ، وانتهى منها وصديقه مفرج

(١) لم أجد المصدر الذي يفيدني عن هذه العجوز التي يشير إليها هل هي تلك  
 الفتاة التي اغرته إبان صباها واستولت على لبه . أم هي غيرها وبذلك تكون تلك الحناء  
 قد فارقت زوجها مفرج بموت أو طلاق ، انني أجهل الأمر .

خلف بيته يستمتع لهذه القصيدة ولم يفته شيء من أولها إلى آخرها ،  
فعاد مسرعاً إلى أهله ، ولم تذق عينه النوم حتى اسفر الصبح .

لقد اتضح له بأن أحد أولاده أساء إلى عرض صديقه المهادي  
اتضح له ذلك من معنى البيت الثاني عشر الذي يلوم فيه العجوز  
على عدم تربيتها لأبنائها . وإنما الذي أشكل على « مفرج » الآن  
هو معرفة المجرم من أبنائه وهل هو فرد منهم أم أثنان أم جميعهم  
ولكنه دبر حيلة استطاع بها أن يعرف المجرم منهم ، وذلك أنه  
ينفرد بكل واحد منهم على حده ويداعبه مداعبة القرين قرينه  
حتى يجرئه على نفسه بحيث يصبح الولد لا يهاب والده ثم بعد  
ذلك يقول : « إنني يابني لأتغنى أن أكون شاباً في شبابك وقوتك  
لكي أستطيع أن أغري بعض الفتيات بشبابي ، ثم يستطرد  
ويقول : « كم كنت أتجرع الغبن والحسرات عندما أرى بنت  
المهادي تلك الفتاة الجميلة التي لا أتغنى في الدنيا إلا أن أكون شاباً  
مثلك حتى أتمكن من أن أمتع بها بأي شكل كان .

بهذا المعنى كان الشيخ يتحدث مع أبنائه كل واحد منهم على  
حده . فأما البريء من أولاده فكان يؤنب والده ويلومه بقوله :  
« هذا يا والدي عيب عليك أن تحكيه كما أنه عيب علينا أن



تحدثنا أنفسنا بارتكاب الفاحشة ، فلو حدثتنا أنفسنا بعملية كهذه لما فعلناها مع ابنة صديقك الذي نرى له من الولاء والاخلاص والحق والواجب ما نراه لك يا والدنا .

هكذا كان جواب كل برىء من أبنائه ، عندما يختلي به ، فلما وصل إلى صاحب الجريمة وداعبه كما كان يفعل مع الآخرين عند ذلك قفز المسيء وقال : « والله يا والدي لو أقمنا عندهم ليلة واحدة لأزلت بكارتها » .

فقال : الوالد وهو يتسم ابتساماً مصطنعاً : وهل كان ذلك عن رضا منها ؟ قال الابن : لا بل كنت ناوياً أن اغتصبها »  
قال الشيخ وهو يكظم غيظه : « ما هي الطريقة التي كنت ناوياً تنفيذها لاغتصابك هذه الفتاة ؟ »

قال الابن : « كنت أترصد الفرصة التي أغتصبها ومن ثم اهجم عليها والخنجر بيدي اليمنى والجلال التي أشدها بها بيدي اليسرى ، وهي بطبيعة الحال سوف تخاف وتسلم نفسها وبهذه العملية أستطيع أن أقضي وطري منها بكل سهولة » .

عندما انتهى الشاب من قصته الدينية قفز الشيخ وذهب مدبراً عن ابنة ثم استدأر من خلفه وفي غفلة من الابن جرد سيفه

وضرب عنق ابنه المجرم ثم أدرج رأسه في قميصه ، وترك جثمان  
ابنه في مسافة بعيدة عن أهله .

عندما وصل « مفرج » الى أهله نادى بهم أن احضروا لديّ  
فحضر الولدان وامهما ، فسألهم عن عدم وجود الفتى المقتول  
متجاهلاً عنه

فأجابه أحد ابناؤه بقوله : آخر عهدنا به حينما ذهب بصحبتك  
فقال : وهو لا زال بصحبتى الآن . ثم صمت قليلاً فغشي  
الجميع جو من الهدوء ومن بعد افتتح الشيخ الحديث مع زوجته  
وأولاده وقص عليهم أسباب صداقته مع المهادي وتاريخها إلى أن  
وصل إلى الأمر الذي أوشك أن يكون سبباً لانقسام  
عرى الصداقة

فقال : إنها لصداقة متينة الأساس راسخة الاصل سامية  
الفرع بعيدة المدى ولكن شاء أن يكدر صفوها ويقضي على  
كيانها عضو من أعضائي وهو لاشك عضو فاسد إن تركته سري  
فساده إلى الجسد كله فأفسده لهذا استسغت قطع هذا العضو كي  
لا يسري فساده إلى بقية الجسد<sup>(١)</sup> .

(١) ربما اني تصرفت بشيء من لفظ مفرج ولكنني لم اخرج عن جوهر المعنى الذي  
يرمي إليه .

فبعد ذلك صرح لزوجته وولديه بالأمر الكائن . ثم انتدب  
أحد ولديه وكلفه أن يحمل رأس أخيه ويذهب به إلى المهادي  
ويضعه بين يديه . فلبى الفتى كلام أبيه وحمل رأس أخيه حتى  
وصل المهادي فوجده جالساً في بيته فسلم عليه ثم طرح رأس أخيه  
بين يديه ثم انصرف حسب ارشادات وتعاليم أبيه .  
لقد دهش المهادي من هذه العملية وشعر آنذاك أن  
صاحبه أدرك السر الذي جعله يلمح له بتلك الجملة « ارحل وإلا  
رحلنا » .

الآن ازدادت آلام المهادي وعظمت مصيبتة عما كانت ،  
وإني أجهل كما يجهل كثير من الرواة ما فعل المهادي بعد ذلك .  
هل هو ذهب إلى صاحبه وأقسم عليه أن يمود إلى جواره أم أنه  
لحق به وبقي جارا له كما كان مفرج جارا له بالأمس ؟ .

هذا وإني لأستبعد أن يكون عند القراء شيء من الشك في  
صحة هذه القصة لما فيها من الروعة والتفاني في التضحية ولكن  
ليطمئن القراء ان هذه القصة قد بلغت أقصى ما يعبر عنه من  
الشهرة والتواتر عند ساكني الجزيرة وخاصة عند البادية .  
وعرب البادية بعيدون كل البعد عن التزوير والإختلاق .



## بئر قديم صديقه وفاء بهمه

وقعت بين عام ١١٩٠ و ١٢٠٠ هـ

كانت أواصر الصلة بين كل من « ماجد الحثري<sup>(١)</sup> وصديقه مفوز التجفيف » وطيدة الاساس وثيقة العرى إلى أقصى حد . فكانا متحابين محبة لا تشوبها شائبة من المطامع الفردية ، وكل فرد يرى لصاحبه من الاحترام والتقدير ما يراه لنفسه ، ويود له من الخير ما يوده لذاته فهما كنفس واحدة لا يفرقهما إلا النوم ، تجمعهما الفطرة العربية . كما ألفت بينهما رابطة الفتوة والفضيلة ، وكان ثمة تبادل وتجاذب بين شعور كل منهما من الطموح والقيم الأخلاقية المثلى ، فكانت صداقتهما صداقة عفيفة شريفة بريئة ، ليست كمثل صداقة بعض الشباب المائعين . وقد كان بينهما انسجام كلي بالأخلاق والتربية الأدبية والاجتماعية ، اللهم إلا أن ماجداً يفوق مفوزاً بقريحة نظم الشعر فقط .

ولما كانت الحوادث الطارئة في ذلك العهد تدهم البادية بين

---

(١) كلاهما من قبيلة شمر .

عشية وضعها ، لذلك فقد انصبت غارة أحد الغزاة على قبيلة شمر التي هي عرب ماجد ومفوز . فركب الفارسان جواديهما قاصدين طلب الإبل وقد كان فرس ماجد أسرع جرياً من فرس صاحبه فوصل العدو قبل أن يصل خليله . وعندما سمع الغزاة صوت ماجد تركوا الإبل وولوا هاربين . فواصل غارته مقتفياً أثر العدو ، ولازال يقاتل ويناضل حتى ظفر بفرد من هؤلاء الغزاة «منعه»<sup>(١)</sup> وأعطاه إشارة منه إما عقاله أو شيئاً من ملابسه . وهذه العلامة تكون شعاراً تقي هذا الأسير شر (عرب ماجد) فإنهم عندما يرون الأسير متدرعاً بعقال أو عباءة أو ما أشبه ذلك من ألبسة ماجد فلا يتمكن أحد أن يؤذيه قطعياً لأنه أصبح بجوار هذا البطل ، هذا وكان ماجد قد أجار من هؤلاء القوم الغزاة شجاعاً مشهوراً كان فيما سبق قتل أبا مفوز أي صديق ماجد الحميم . وقد كان مفوز يسأل الله يالحاح أن يهب له غريمه بين يديه . وقد ساق القدر مفوزاً إلى غريمه وهو هذا الشجاع الذي أجاره صديقه ماجد . فما أن نظر مفوز غريمه وتأكد منه حتى أخذته سكرة الغضب التي دفعته إلى أن يقتله بدون أن ينظر إلى عقال صاحبه

(١) منعه : أي اعطاه عهداً بالله ان لا يمسّه احد بسوء .

الذي كان متدرعاً به ، وغاية ما في الأمر أنه طعنه برمح ، وتركه  
ومضى في سبيله ليدرك العدو ويناضل في جنب رفيقه ماجد . أما  
هذا القتيل فإنه لم يفارق الحياة ولم يفقد حواسه ولا زال  
على آخر رمق من الحياة . وقد كان حينما طعنه مفوز قريباً من  
بيوت العرب بحيث أتاه الصبيان والنساء ومن بين هؤلاء النسوة  
أم ماجد التي رأت عقال ابنها على صدر هذا الجريح المخطر ،  
فحملته إلى بيت ابنها ، وأعطاه الجريح الإفادة بأن قاتله مفوز  
وبعد مضي دقائق سلم نفسه لباريها .

هذا وقد عاد ماجد من الغزوة منتصراً عليهم ولكنه لم  
يرجع إلا بعد العشاء الأخير . وذهب إلى محل بيته فلم ير ذلك  
البيت المشيد وإنما رأى بيتاً مقطّعة أطنا به ومكسرة أعمدته ،  
وعلى جانبه عجوز تنوح وتندب بالويل والنبور . أصغى قليلاً  
ليستعلم عن صوت هذه العجوز وإذا به صوت أمه الذي لا ينكره .  
أقبل عليها منحنياً يقبل رأسها : ( لا يا أماه ابشري إني حي شديد  
منتصر بحمد الله ولم أصب بأي أذى ، من الذي افترى عليك  
الكذب وأزعجك قبحه الله ؟ )



— ام ماجد : إني أتمنى أنك ميت حتى يكون ذلك أهون علي مصيبة<sup>(١)</sup> .

— ماجد ماهو الخبر يا أماه ؟

— ام ماجد : الخبر هو خبر السوء الذي لا يفوقه سوء . لقد هتك صديقك مفوز حرمتك والبسك العار الخالد .

— ماجد : ماذا فعل مفوز يا والدني ؟

— أم ماجد : فعل العملية الشنعاء لقد قتل منيعك<sup>(٢)</sup> وها هو ذا مجندل تحت رواق البيت .

— ماجد : لا يا والدتي اتقي الله لا يمكن أن يكون مفوز قد هتك حرمة أخيه الحميم ولكن الذي أخشاه أنها مؤامرة من شباب عربنا الذين حسدوني ومفوز أعلى مانحن عليه من أخوة صادقة وقتلوا ( منيعي ) ليوقعوا بيننا العداوة .

— أم ماجد : لا يا بني ليست القضية قضية مؤامرة كما تظن وإعما هي قضية صدق وفي ذلك شهود .

---

(١) إن الفتى الذي يكون له ام كهذه المعجزة تبث في اعماقه روح الشجاعة ، وتغلق في نفسه اسمي معاني المجد ، وتدفعه إلى النبل ونحته على الاعتزاز بالكرامة خالق ألا يكون للهوان عليه سبيل ، ولا للخمول عليه منفذ ، بل جدير ان ينشط السحاب بهيمته . ويقل الحديد بعزيمته .

(٢) اي الذي عاهدته وأخذ منك الأمان وأجرته بجوارك .

— ماجد: من هؤلاء الشهود؟ أنا لا أَرْضَى شهادة كل العرب  
ولا أصدقهم ابداً إن قالوا إن أخي مفوزاً ينتهك حرمتي .  
— أم ماجد: يا بني يجب أن تكون أوفر عقلاً من ذلك  
وتصغي لقولي .

— ماجد: سمماً وطاعة يا والدتي . هاتي ما عندك .  
— أم ماجد: بينما نحن نساء العرب وصبيانهم نسير على  
إثركم حاملين الماء لنسقي عطشاكم ونسعف جرحاكم ، لقينا هذا  
القتيل مطعوناً طعنة أدت إلى ما ترى . فظننا أنه من عربنا لامن  
أعدائنا فحرصنا على أن نعرفه فلم يعرفه منا أحد . ولكن روحه  
لم تكن قد فارقت جسده ، كما أنه لم يفقد عقله فحدثنا وهو بحالة  
الزراع قائلاً : أنا فلان <sup>(١)</sup> وقد (منعني) ماجد الحثري في وجهه  
وأعطاني أمان الله ، كما أنه قلدني بعقاله وأمرني أن أذهب  
إلى بيته . فأتيت قاصداً أهله ولكن قاباني « مفوز التجفيف »  
الذي لا أنكره فوثب عليّ عند ما نظرتني وطعنني برمح ، ولم  
يبرح من عندي إلا وهو يعتقد أنني ميت . وهأنذا ميت لا محالة

---

(١) لم أجد أحداً يفيدني عن معرفة اسم الشخص القاتل ولا قبيلته وذلك لطول  
العهد الذي أسبل أذياله على هذه الحادثة حتى كادت أن تدرس لولا تناقل الأحفاد لها عن  
الأجداد وقد كانت القصيدة الآتية خير ضامن لخلود هذه القصة .

ولكن أحملكن يا نساء الحي شهادتي هذه لتبلغن ما جداً الذي  
أنزلني بأمانه وبعهده ولا زلت بذمته .

كان ماجد يستمع لحديث أمه ترويّه عن مستجيرها والدينا تسود  
في وجهه وبقي صامتاً مدة كأنه مغشى عليه . ثم أفاق فأصغى  
إلى أمه وتكلم بصوت منخفض وقال : يا والدتي إن المرء عندما  
يكون في حالة النزاع وسكرات الموت لا يملك من عقله وشعوره  
شيئاً فهو يهذي بالشيء الذي يمليه عليه خياله هذا من ناحية  
ومن ناحية ثانية فاني لا أستبعد أن يكون المرء الذي طعمه قد  
قال له انني مفوز بالتجفيف مضللاً إياه حتى يوقع بيني وبين أخي  
مفوز الشر ، ثم برهن ماجد على صدق نظريته فقال لأمه :  
إن الشيء الذي يجعلني لا أصدق بصحة الخبر هو أن الذي طعمه  
تركه حياً حتى يلتبس عليكم الخبر فلو كان مفوز هو الذي طعمه  
لحز عنقه عن جسده وتركه ميتاً .

صرخت أم ماجد في وجه ابنها وقالت : إنك جبنيت  
عن لقاء مفوز ولن تستطيع أن تقتص منه بإساءته اليك فبقيت  
تلمس الأعذار المنجية من لقائه . ولكنني آسفة على اللبن الذي  
أرضعتك إياه وعلى حضائتي التي أوليتك إياها<sup>(١)</sup> .

(١) تذكرنا أم ماجد بالحديث الطويل الحماسي الذي تكلمته أسماء ابنة أبي بكر  
مع ابنها عبد الله بن الزبير ابان محاصرة الحجاج له بمكة .



— ماجد : لا يا والدتي أنا ابنك النجيب الذي تعهدين  
والبطل الذي لا يتسلل إلى قلبه خوف من مخلوق مهما بلغت شجاعته  
وإقدامه ، ولكن القضية وقعت في مفوز الذي هو كما تعلمين  
أنه روح من روحي وقطعة من فؤادي ، ومفوز يا والدتي  
مستعد أن أفتديه بنفسي وبما أملك من المال والعيال ولكني  
لا أرضى أن أفتديه بدرهم من شرفي وحرمتي وكرامتي .

— أم ماجد : وأنا هذا الذي أعده منك يا بني كما أنني أزيدك  
تأكيداً أن لمفوز عندي من الولاء والمحبة مكانة لا تقتصر عن  
منزلتك ولكن الأمر أصبح ماساً بالكرامة ومنتهكاً للحرمة ،  
و كثيراً ما يضحى العربي بابنه وفاء بعهده دون كرامته <sup>(١)</sup>

— ماجد : أنا يا أماء الآن أحادثك وأنا أشعر بالخلل يدب  
في شعوري وعقلي وذلك لعظم الخطب فاهديني برأيك الذي  
يجعلني أثق ثقة لاشك فيها بأن ( منيعي ) قد قتله مفوز .

---

( ١ ) هذا قبل حادثة فلسطين اما الآن فلم يبق لهم من المجد عدا الخطب الرنانة  
والنفثي بمجد الاسلاف الغابرين والتزلف والتماق والنفاق والاطراء لزعماهم الحاكمين مدة  
بقائهم على العرش ، اما إذا دهمت عروشهم كارتة فرعان ما ينقلب هذا التزلف عشواً  
وذاك النفاق صراحة بل وقاحة وذلك الاطراء قذفاً ولماً . ولقد اعطينا هذه التقلبات  
العربية صورة سيئة عن انحطاط اخلاق بعض افراد امتنا العربية ولكننا لم نقطع الرجاء  
ولم نبأس . فأرجو ان تكون هذه الكوارث قد اعطينا عبرة وعظة فنعمل على استرداد  
مجدنا الغابر وما ذلك على الله بعزيز .

— أم ماجد : الوصول الى حقيقة الأمر سهل جداً .

— ماجد : كيف يكون ذلك ؟

— ام ماجد : أأست تشاركني الرأي بأن مفوز أفتى صريح صدوق لا يمكن أن ينكر ويكذب فيما إذا سألته عن الحادثة وتحرّيت منه الافادة الصادقة ؟

— ماجد : بلى انه لا يمكن أن يكذب حتى ولو علم أنه ينقاد إلى الموت أو يخسر صداقتي التي اعتقد أنها تعادل عنده حياته .  
— أم ماجد : إذن فأبعث له من قبلك رجلاً يتحقق عن الأمر وإني أرجو الله يا بني ألا يكون هو القاتل لمنيعنا والهاتك لحرمتنا .

— ماجد : سليه أنت يا أماء .

— ام ماجد : هانذا ذاهبة إليه .

ذهبت أم ماجد تهرول إلى مفوز فلما دنت من بيته نادته فلهاها بقوله : من المنادي ؟ فأجابته : أنا أم ماجد . فقال : أهلاً وسهلاً بوالدتي . تفضلي حفظك الله .

— أم ماجد : أحب يا بني أن تتفضل إلى هنا لقضاء أمر ما .

— مفوز : ابشري يا والدتي خيراً يكون إن شاء الله .

— أم ماجد : أخوك ماجد يا بني أوكل إلي أن أناشدك  
الله عن « منيعه » فلان هل أنت قاتله أم لا ؟  
صمت مفوز قليلاً ثم قال : أود أن أذهب إلى أخي ماجد  
لأفهمه الأمر .

— أم ماجد : لا يا بني لا حاجة لذهابك إلى ماجد فأنا  
وكيلته فأخبرني بالأمر كما كان .

— مفوز : أصر على أن أقابل ماجداً لأفهمه القضية .  
— أم ماجد : انتظر هنا يا بني حتى اخبر أخاك ماجداً بطلبك  
لللقاء .

عادت ام ماجد إلى ابنها وأخبرته قائلة : يا بني أن مفوزاً يود  
أن يقابلك ويخبرك بما تم في القضية .

— ماجد : هل اعترف لك يا والدتي أم لم يعترف ؟  
— ام ماجد : لم ينكرو ولم يثبت وهو يا بني إلى الاعتراف أقرب .  
— ماجد : أرجو أن تعود إليّ يا والدتي ولاتأتيني منه إلا  
بالخبر اليقين النهائي وإذا اعترف أنه هو القاتل فأحرصي على ألا  
يأتيني وأن لا أراه أبداً لأنني لا أستطيع أن أملك نفسي عن  
الفتك به فيما إذا اعترف أنه القاتل .



عادت أم ماجد مسرعة إلى مفوز فوجدته ينتظرها بفارغ

الصبر .

— أم ماجد : يا بني إن أخاك ماجداً يقرئك السلام ويرجو  
منك ألا تقدم إليه وكل ما يناشدك الله به هو أن تخبره بالحقيقة  
عن منيعه فلان هل أنت قاتله أم لا ؟

— مفوز : يا والدتي إن فلاناً هذا هو قاتل أبي وما زلت  
مدة حياتي وأنا أنتهز الفرص لأخذ ثأري منه . ولما قاده القدر  
هذا اليوم إلي ورأت عيني عين قاتل والدي عند ذلك أصابني شيء  
أفقدني عقلي ولم أملك من نفسي شيئاً ، فدنوت منه فطعمته  
برمحي ولم أعلم في تلك اللحظة هل هو ( منيع ) لأخي ماجد أم لا ،  
وكل ما في نفسي أنني أخذت ثأري من قاتل أبي ولم أذهب من  
عنده إلا وقد تركته ميتاً حسب اعتقادي . ولكن بعد أن عدنا  
من المعركة سمعت عند قومنا شيئاً من الهمس والهيمنة . التي  
جعلتني أتوقع خطورة أمر مبهم لم يتضح لي كنهه إلا الآن ،  
وهكذا يا أم ماجد شاءت الأقدار . وكل ما أرجوه منك أن تبليني  
أخي ماجداً وتعودي إلي بالأمر الذي يأمرني به أخي فإني  
مستعد لتنفيذه على نفسي مهما يكن .

عادت أم ماجد إلى ابنها وقصت عليه القصة كما كانت .  
هناك تشنجت أعصاب ماجد وانتفخت أوداجه  
وبقي ساعة وهو يكظم الغيظ ثم زار كما زار الليث في غابته ،  
ثم هدأ بعد ذلك شيئاً فشيئاً ونادى شخصاً من عربيه صديقاً  
للأثنين أو هو صديق لمفوز أكثر منه لماجد فقال له : اذهب  
إلى مفوز وقل له : يقول لك ماجد أرجو أن ترحل حالاً واحرص  
على ألا تبين بين عرب اجتمع بك عندهم في مناخ واحد . وأعلمه  
أنه إن لم يمثل لهذه الأوامر فلن يأمن صوتي .  
تبلغ مفوز هذه الأوامر فرحل فوراً بلياته ، أما ( ماجد )  
فبقي بين عربيه تعس الحياة كاسف البال مكسور الخاطر .

ولا عجب أن يكون ماجد على هذه الحالة فلقد فارق صديقه  
الجميل الذي كان يشاطره حياته في بؤسه ونعيمه . والمصيبة الكبرى  
التي حلت بـ ماجد هي أن الأمر ليس فراق صديقه فقط ولكنه  
( قطع وجهه )<sup>(١)</sup> وقطع الوجه عند العرب أكبر شيء يعاب عليه  
الرجل فهي عندهم تبقى وصمة عاراً أبدية حتى يغسلها الرجل بأخذ  
الثأر من المرء الذي ارتكب هذه الجريمة وسود وجهه بين عربيه .

(١) اي : خفر ذمة . وذلك لأن ماجداً اعطى ذلك الرجل عهداً بالامان فجاء  
وخفر ذمة ماجد وهذا يطلق العرف عليه اسم ( قطع وجه ) .

بقي ماجد يتجرع الغبن مدة طويلة ، وإنما الشيء الذي يعزي نفسه هو أنه قد فرض إرادته على غريمه وأبعده عن وجهه ونبذه عن عربه .

هذا وقد حكمت إرادة الله أن تأتي ظروف تجمعهما سوياً في منزل واحد ومشرب ومرعى واحد ، لقد وقع ذلك بدون اختيار الطرفين .

والسبب الداعي لجمعهما هو أن أراضي شمال نجد أجربت بوجه عام ماعدا موضع فسيح معين يسمى : ( فيضة الاديان ) هذا المكان هو أخصب الأراضي مزدهر « قحويانه » عذب ماؤه مرعى ومرعاه . ولكن هناك علة تحول دون أن يتمتع برعيه قبيلة من القبائل وهي آمنة مطمئنة وذلك أنها تخشى غارات هجوم القبائل الأخرى . لهذا بقي هذا النبات وافر متراكم ، ذلك أنه حماه بعضهم من بعض .

هذا وقد عظم الأمر على عموم رؤساء عشائر شمال نجد جميعاً ورأوا أنه لا بد أن يلجأوا إلى طريقة محمودة تمكنهم من رعي مواشهم في هذه الأراضي الخصبة . لهذا أوفد كل رئيس قبيلة رسولا من عنده إلى رئيس العشيرة الأخرى . وتم الاتفاق على

(١) سمي بفيضة الاديان من ذلك العهد ( والاديان ) معناه الاحلاف اي مكان

المهادن .



أن يعقدوا مؤتمرًا يحضره كل من رئيس عشيرة « غزده » ورئيس « شمر » ورئيس « الضفير ». هذا وقد عقدوا المؤتمر في الوقت المعين وأسفرت نتيجته عما يلي :

المادة الأولى : عقد صلح فيما بينهم .

« الثانية : كل قبيلة يكفلها رئيسها على ألاّ يبدر من أفرادها أي حادث من الحوادث المخلة بالأمن .

المادة الثالثة : أن ينتخب هؤلاء الرؤساء واحداً منهم ليكون كفيلاً لعموم رؤساء العشائر على ألاّ يحدث من أفرادهم ولا من زعمائهم أمر يخل بالاتفاقية <sup>(١)</sup> .

المادة الرابعة : أنه لا يمكن بوجه من الوجوه أن يجبر المستجير واحد منهم أي لا يصح ذلك لا لكفيل العام ولا لرؤساء العشائر ولا لأفرادهم .

إن هذه المعاهدة فيها فوائد جمة منها : أنها جعلت مجالاً فسيحاً لمواثي هؤلاء العشائر لترعى في هذا المرعى الخصب

---

(١) لقد انتخب هؤلاء الرؤساء رئيساً لهم امير قبيلة شمر الشيخ « مطلق الجرباء » الفارس المشهور المتوفى سنة ١٢١٢ هـ وثمة رواية تفيد ان كل رئيس عشيرة يكفل افراد قبيلته ولم يكن مطلق كفيلاً لرؤساء العشائر كما ذكرنا ، وإنما الرواية الاولى التي تفيد ان مطلقاً كفيل لهم هي الأشهر والمتواترة .

والغدير العذب ، كما أن فيها من الضمان ما يقي بعضهم شر بعض ،  
بحيث لا يستطيع أي فرد منهم أن يعتدي على الآخر حتى ولو  
رأى قاتل أبيه فإنه لا يتمكن أن يمسه بسوء .

كان مجمع هؤلاء العشائر بطبيعته يجمع ماجداً ومفوزاً في صعيد  
واحد ولا يكن مفوزاً لا يهيمه ذلك لأنه أصبح في ضمانه شيخه  
«مطلق الجربا» الذي هو المسؤول عن قبيلته ولا يكن الذي ابتلي ووقع  
في البؤس هو ماجد الذي كان من الأصل لا يهدأ له بال ولا يطيب له  
عيش . أما الآن بعد أن علم أن مفوزاً سيجتمع به في مكان محدود فلا  
شك أنه ستتضاعف حسراته أو ربما أنه سيفتك به داء السمل الذي  
كثيراً ما يتولد من القهر وضعف البنية . والواقع أن حالة هذا  
التعس قد وصلت إلى حد يؤسف له فقد أصبح هيكلاً أجوف  
عظماً وجلداً وأعصاباً ترتعش .

لقد احتارت أسرته وأبناء عمه في أمره الذي أدى به إلى  
انحطاط جسمه ؛ فبقوا يضربون أخماساً بأسداس يتحرون  
معرفة السر الذي أنهك صحته فتاه . والمشكل الذي زاد أسرته  
حيرة في أمره هو أن ماجداً هذا صامت لا يعاشرهم ولا يبادلهم  
الحديث ولا يشكي لهم شيئاً من الأمور التي من أسبابها يرون

صحته تنقص يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة .

فكر عميد أسرته المسمى « عمرو » وقال في نفسه : ربما ان  
ابن عمي هذا عاشق احدى فتياتنا الجميلات وفنك به الغرام وهو  
خجلان من أسرته ومستحي لا يستطيع أن يفشي لنا سره هذا .  
هكذا كان ظن ابن عمه . لقد اختمرت في ذهنه هذه الفكرة  
وكان له اخت من أجل فتيات العرب فاستدعاها وأوصاها أن  
تتجمل وتلبس أحسن ما عندها من ألبسة والزمها ألاّ تدخر  
وسعاً من إغرائها لما جدد يحملها ومداعبتها إياه كي تكشف سر  
نفسيته الكامن ليصل « عمرو » إلى النتيجة التي يعلم منها عن آفة  
ابن عمه ، فان كانت الآفة آفة غرام بنساء فهذا عنده شيء  
يسير إدراكه وباستطاعته أن ينكحه أجل بنت يريد لها من عرب  
قبيلته . هذا وقد كان ماجد يميل إلى الخلوة بنفسه دائماً فهو  
كثيراً ما يذهب إلى الصحراء حاملاً ( ربابته )<sup>(١)</sup> معه فيفتش عن  
كهف أو رأس جبل يتسلى هناك وهو حريص على أن يبعد كل  
البعد عن مجتمعه ليتبادل الآلام هو ونفسه ويتجاوب الألمان  
مع صوت ربابته التي أصبحت نديمه الوحيد وأنيسه الفذ في حين  
لا يرى أحداً من عربيه ولا من أسرته يفشي إليه شكواه لأن نفسيته

(١) راجع شرحنا للربابة (٥٢)



العظيمة وإبائه وشمه وكبريائه وحياءه ، ذلك كله ينمعه من أن  
يبيدي شكواه لفرد من البشر فترى شخصيته الفذة كثيرًا ما تصور  
لنا واقعها بل تنفذ عملياً قول الشاعر السوري ( بدوي الجبل ) :  
وأسر الشكوى حياء وكبراً      رب شكوى أسرارها اعلان

هذا وقد ذهبت الفتاة تقتفي أثر ماجد حينما خرج من عند  
عربه قبيل طلوع الشمس يحمل ربابته قاصداً مأواه الذي يقضي  
فيه نهاره إلى الليل كما جرت به العادة ، فلما استقر بمكانه المعتاد  
هناك أقبلت عليه هذه الفتاة الغنوج تبختر وتمايل كما يتمايل  
غصن البان إذا حر كته الريح فألقت عليه تحيتها الرقيقة ، فصمت  
قليلاً ثم نهرها قائلاً : ما الذي أتى بك إلى هذا المكان ؟  
شاءت أن تداعبه وتجيبه برقة وغنج وهي واقفة تهيأ للجلوس  
عنده ؛ ولكنه لم يتركها تتحدث كما أنه لم يتركها تجاس فطردها  
من عنده حالا ورجعها بالحجارة .

عادت الجميلة من عند ماجد ولم تتوفق في استكنائه الخبر الذي  
يصل به أخوها إلى نتيجة .

أما ماجد فقد أخذ ساعة وهو يفكر يتمجن تفكيره وعقله

محاولا أن يعرف قصد هذه الفتاة بمجيئها اليه إلى هذا المكان النائي  
عن « قطين »<sup>(١)</sup> العرب .

وبعد أن أجهد تفكيره وحكم العقل والمنطق بات عنده مئة  
بالمئة أن هذه الفتاة لم تأت به إلا بدافع قوي وإنما الذي يهيمه الآن  
هو معرفة كنه هذا الدافع : لبت يحلل أسرارها الإيجابية : ناقشه  
من الجهة الغرامية كما هو ظاهر الفتاة فلم يجد له سبيلاً معقولاً  
لأنه يعرفها معرفة جيدة فهي بعيدة كل البعد من أن تبذل نفسها  
وترخص عرضها له بهذه الصفة التي شاءت أن تتظاهر بها لولا  
أنه زجرها . فهو لا يشك بنزاهة عرضها وعفتها ومثانة أخلاقها  
كما أنه لا يخامر الشك أبداً بأن للفتاة رجالاً ذوي غيرة على  
أعراضهم ومحارمهم ، فلو قدر أن الفتاة أخلفت ظنه بها من قبل  
عفتها الصادرة عن نفسها فلا يمكن أن تخاف ظنه من قبل رزانه  
عقلها الذي يمنعها من ارتكاب العار لأنها تعقل أن خلفها رجالاً  
يضحون بأنفسهم وأولادهم وما يملكونه من المال دون دنس العار،  
اذن انحصر تفكيره بجهة معينة فقال لنفسه : لا شك أن عميد  
أسرتي « عمرو » أشفق على صحتي التي يراها تنقص اليوم بعد

( ١ ) القطاين : بيوت الشعر التي يسكنها العرب العرب .

اليوم فشاء ان يدفع هذه الفتاة ظاناً أنني مصاب بداء الغرام  
والعشق الخفي .

لا ريب أنه أصاب عين الحقيقة بفراسته هذه . لهذا تراء  
تفجرت قريحته وفاض شعوره بهذه القصيدة :

(١) « يا عمرو يا مدلّاة يا نازل الخوف

أوذيتني وائتت تشد من العام »<sup>(١)</sup>

(٢) « يا خوفيد اللّي بك الطيب موصوف

يا زين مضرود لجا ليك منضام »<sup>(٢)</sup>

(٣) « لوزينوالي هافي الخصر بشنوف<sup>(٣)</sup>

ما أبغيه لو إنه على النفس عزام »

(٤) « والله لو انه يؤمن من الخوف

في سهلة ما فيها كفر ولا أسلام »

(٥) « وما كل ولوزين لي الزاد بالخوف

لو به فقار وسيح الرز بايدام »

---

(١) المدلّاة : الفتى الغانك . تشد : تسأل .

(٢) زين : مأوى . مضرود : مغلوب على امره . لجا : التجأ .

(٣) الشنوف : قصب تزين به العبادة .

(٥) الخوف : العناية . الفقار : السنام . سايح : الايدام : يقصد السمن .



- (٦) « لو حنطة البلقاء وتمرّة أهل الجوف  
 ما تقبله نفس عليها الطناً زام »
- (٧) « ماتشوف حالي كتّها حال أباالعوف  
 أوحال محبوبٍ عن الزاد صوام »
- (٨) « شفي مفوز نقوة الغوش منقوف  
 خيالهن من بين عثمت ورضام »
- (٩) « أقلط عليه والنزل طوفٍ ورا طوف  
 اقلط عليه بربرة البيت قدّام »
- (١٠) « ثم اضربه بسلة تلّهب الجوف  
 ما زينت عند الصّنائع بلحام »
- (١١) « إمّا عليه البيض يصفّقن بكفوف

(٦) الطنا : الشمم . زام : زاد وتجاوز الحد .

(٧) اباالعوف : دويبة اكبر من النملة . ماتشوف : أمارى . حالي : جسمي .

(٨) شفي : قصدي . نقوة : صفوة . الغوش : الفتية . منقوف : أني النفس .

بين عثمت ورضام : بين السهل والوعر .

(٩) اقلط : أقدم . النزل : البيوت . طوف وطوف : صف ورا . صف .

(١٠) السلة : نصل الخنجر . الصنائع : الحدادين .

(١١) البيض : الندوة .

وإن عاش ما يمشي على كل الأقدام »

(١٢) « إلهي كساني ثوب أسود وأنا شوف

خله يقع في سهر عيني وانا نام »

(١٣) « من عقب ماني قنب حطني صوف

خلان للحضر المقيمين فحام »

واليك شرح المعاني :

(١) « يا عمرو يا مدلاة يا نازل الخوف

أوذيتي وأنته أتشد من العام »

يوجه بطل الحادثة مسؤوليته وكلامه على ابن عمه « عمرو » فهو يقول يا عمرو يا مدلاة يا نازل الخوف، (المدلاة) هو الشجاع المغوار المبالغ في اقدامه الذي لا يتقدمه بفروسيته احد ويقال (المدلاه) ايضاً بدون التاء المربوطة يقصد بها الرجل المؤنس للقوم أي الشخص الاجتماعي الذي لا يمل حديثه ولا يتكلم الا عن حكمة هذا معنى ولكن المعنى الأول بقصد الشاعر أقرب وذلك بدلالة نعتة له بقوله (يا نازل الخوف) أي أيها الشجاع الذي تختار المنزل

---

(١٣) من عقب : من بعد . ماني : ما انا . حطاني : صيرني . خلان : جماني .

الخصب لماشيتك حتى ولو كان هذا المنزل بطبيعة حاله خفيفاً  
ومرهوباً من قبل صولة العدو الجاثم لك بعدته ورجاله ولكنك  
يا عمرو تقطن هذا المكان المخيف ولا يتخلل الى قلبك الخوف من  
هذا العدو القوي .

وفي المصراع يقول :

أذيتني يا عمرو بالحاحك علي وكثرة سؤالك لي وذلك من  
العام الماضي وأنت تبحث عن أسباب ضعف صحتي .

(٢) « يَا خَوْفِيذُ اللَّيِّ بَكَ الطَّيِّبُ مَوْصُوفٌ

يَا زَبْنَ مَضْهُودٍ لَجَا لِيكَ مِنْضَامٌ »

يكرر الشاعر المدح بعمرو ويكنيه باخيه فهيذ ( يلي بك  
الطيب موصوف ) ( الآي ) دائماً تكون بمعنى الذي  
فهو اسم موصول وقوله ( بك الطيب موصوف ) أي انك مثال  
أعلى متصف بجميع القيم الأخلاقية ( والطيب ) معنى شامل  
لجميع السجايا الحميدة فإذا قال قائل بلغتهم الشعبية ان فلاناً طيب  
من فلان معناه ان مجموع سجايا الأول الجميلة اكثر من الثاني .

( يازبن مضهود لجأ إليك منضام ) ، ( زبن ) بمعنى مأوى  
( مضهود ) أي مقهور ( لجأ إليك ) استجار بك يمدح عمرواً ويقول



يا أيها البطل الذي تأوَّى وتجير الرجل المستجير بحماك ولا  
يستطيع أحد أن يخفر ذمتك مهما كانت جريمة مستجيرك  
(٣) «لَوْ زَيْنُوا لِي هَافِي الْخَصْرُ بِشَنُوفٍ

ما أبغيه لو أنه على النفس عزّام»  
يشير الشاعر إلى الفتاة التي بعثها «عمرو» إليه ويقول :  
لاتظن أنكم إذا زينتكم لي هذه الفتاة الناعمة الخصر (المجملة بلبس  
الشنوف) والشنوف نسيج حرير ينسج على ثياب وعبي نساء  
العرب فهو يؤكد لعمره بأنه ليس في نفسه أقل شيء من الميول  
إلى ما يظنه به من الغرام بالنساء فتراه يزيد تأكيده بقوله :  
« مَا أَبْغِيهِ لَوْ أَنَّهُ عَلَى النَّفْسِ عَزَّامٌ » أي انني لا أريد  
هذه الفتاة الحسنة قطعياً حتى ولو انها رمت نفسها عليّ وراودتني  
عن نفسي فلا يمكن ان تستفزني مهما فعلت من مداعبتها لي  
ومهما يبلغ بها الجمال فإنها لا تستطيع ان تصرف همتي عن مغزاها  
الأسمى .

(٤) «وَلَا أَكُلْ وَلَوْ زَيْنَ لِي الزَّادَ بِالْحَوْفِ

وَلَوْ بِهِ فَقَارٌ أَوْ سَيْحُ الزَّادِ بِإِيدَامٍ

يفيدنا انه لم يكن لديه رغبة بالأكل ولو كان الأكل معني به

عناية كاملة وهنا يوضح لنا الشاعر ان لحوم الإبل هي من ألد  
 مأكولات البادية ولا سيما ظهر الناقة السمين خاصة اذا طبخ مع  
 الرز وصب عليه السمن كما وصفه لنا بقوله (لوبه فقار) اي لوفي  
 الأكل ظهر ناقة ثم قال: (لوسيح الزاد بإيدام) أي صب على الرز  
 والخبز السمن والمرق فهو يقول: لو أتيتني بالطعام من هذا النوع  
 فلا يمكن ان آكل منه شيئاً.

(٥) «لو حنطة البلقاء وتمرة أهل الجوف»

ما تقبله نفس عليها الطنا زام»

بهذا البيت يعطينا الرجل صورة صادقة عن أجود وألد  
 ما يقتات به رجال البادية وهي كما قال: (حنطة البلقاء) والبلقاء  
 هذه هي الأرض التي بحدود شرقي الأردن وهي اراضي زراعية  
 من جملة زراعتها الحنطة الطيبة كما قال الشاعر. ثم يقول: «وتمرة  
 أهل الجوف» الجوف: بلاد قديمة مجاورة لدومة الجندل التي هي  
 إحدى أسواق العرب في الجاهلية تقع بين الشمال والغرب عن  
 نجد وهي مشهورة بحسن وجودة التمر لهذا ترى الشاعر يقول:  
 لو قدم له مع ظهر الناقة المطبوخ على الرز والسمن ايضاً حنطة  
 البلقاء وتمرة الجوف لا يمكن ان تقبله نفسه الآية كما وصف حاله

بقوله : ( ما تقبله نفس عليها الطنا زام ) ( الطنا ) الشمم والإباء والغضب ( وزام ) : بمعنى طاف وتمدى الحد فهو يقول أن نفسه بلغت من الهم والغضب الشيء الذي تجاوزت به الحد المعتدل حتى انها أصبحت ترى هذه المآكل الشهية اللذيذة الطعم في طبيعتها : امر من الحنظل على نفسه الجبارة الأبية

( ٩ ) « مَا تَشُوفُ حَالِي كَأَنَّهَا حَالُ أَبَا الْعُوفِ »

أَوْ حَالِ مُحْجُوبٍ عَنْ الزَّادِ صَوَّامٍ »

يعود الشاعر يخاطب ابن عمه عمرو بقوله : ( ما تشوف حالي كأنها حال أبا العوف ) ( العوف ) هو : دويبة صغيرة اكبر من النملة قليلاً وهو يشبه النملة كثيراً ويقال له في جنوب نجد « القعس » فالشاعر يشبه رقة حاله ونحول جسمه بهذه الدويبة التي هي من انحل الدواب ( او حال محجوب عن الزاد صوام ) يقصد ان جسمه وصل من الهزال الى حد لا يصل إليه الا الرجل الذي أصيب بمرض مزمن ومنعه الطبيب من أكل الطعام قطعياً فلا يأكل من القوت الا ما يمنعه عن الموت فقط والمقصود انه يخاطب ابن عمه « عمرو » ويقول له انك حينما رأيته بهذه الحالة الصحية السيئة ظننت أن نحولي هذا من اسباب مرضية أو بات عندك بالأكثر ان



ذلك من دافع عشق وغرام بالنساء ولكن نحول جسمي هذا  
بعيد جداً عما تتصوره وتظنه فيّ يا ابن عمي الذي أخطأت  
نظريتك فيّ خطأ عظيماً .

وهذا المعنى من الشاعر ماجد الحزبي هو طبق الأصل  
لآيات محمد بن مقرب الأحسائي القائل :

يظن نحولي ذو السفاهة والغبا      غراماً بهند واشتياقاً الى دعد  
لعمرك ما هند بهمي وان دنت      ولا لي بدعد من غرام ولا وجد  
ولكن وجدي بالعلا وصباي      بعارفة اسدى ومكرمة اجدى  
(١٠) « شَفِي مَفُوز نَقْوَةَ الْغُوشِ مَنْقُوف

خِيَالِهِنَّ مِنْ بَيْنِ عَثَمَتْ وَرَضَامْ »

الآن الشاعر أعلن وصرح بالسر الذي جملة يهجر اجمل  
الفتيات ولا يلتفت إليها وتعاف نفسه الذلّ المآكل واشههاها اليه  
والذي جعل جسمه يفتك به الهم والالام حتى بقي هيكلًا أجوف  
وعظاماً عارية من اللحم وعروقاً خالية من الدم ، ينبئنا الشاعر ان  
هذا كله من أسباب قهر ( مفوز ) له أما تراهم يقول : ( شفي مفوز  
نقوة الغوش منقوف ) ، اي قصدي وغاية ما تتمناه نفسي هو القضاء  
على ( مفوز ) وقوله : ( نقوة ) اي صفوة و ( الغوش ) الفتيان

الباسلون (أما قوله منقوف) فـ « المنقوف » هو منتهى ما تبلغ به  
 نفسية المرء من الإباء والشمم أي السميزع الذي لاتلين له قنـاة  
 ولا يستطيع احد أن يخفر له ذمة وكل هذا الاطراء صادر من ماجد  
 لصديقه السابق (مفوز) فهو يثني على (مفوز) بالشيء الذي يعلمه  
 منه ويشيد بما يعتقد أنه موجود فيه من السجايا الحميدة وهذا من  
 شيمة العربي فلا يمكن ان ينكر ما لخصمه من الفضائل والمزايا  
 الحميدة مهما بلغت العداوة بينهما حتى ولو وصلت الى حد سفك  
 الدم، وها هو ذا يؤكد لنا عصراع البيت ثناءه على شجاعة (مفوز)  
 وفروسيته ايضاً. (خيالهن ما بين عشمت ورضام) (خيالهن)  
 اي فارس الخيل العظيم (ما بين عشمت ورضام) اي انه متدرب  
 على ركوب الخيل سواء كانت الخيل تجري بأرض رملية سهلة  
 او بأرض صخرية خشنة فهو لايهمه ذلك بحكم فروسيته ومهارته  
 وممارسته لركوب الخيل .

(١١) «أقلط عليه والنزل طوفٍ ورا طُوفُ

أقلط عليه في ربة البيت قدامُ»

هنا يوضح لنا الشاعر البطل قوة ارادة نفسه التنفيذية  
 ويرسم لنا العملية التي سوف ينتقم بها من (مفوز) (أقلط عليه

والنزل طوف وراء طوف) أي أني سوف اقدم على مفوز وان كانت بيوت البادية مطوقة بيته ومتراكماً بعضها فوق بعض فهذا بزعمه لا يجعله يخشى من الأقدام على (مفوز) والفتك به (اقاط عليه بربعة البيت قدام) هذا زيادة تأكيد لما سبق من عجز البيت الأول .

(١٢) « ثم أضربه في سلة تلهب الجوف »

مَا زَيْنَتْ عِنْدَ الصَّنَائِعِ بِالْحَامِ «

يصف الشاعر انه سوف يقدم على (مفوز) وسيضربه بسيف او خنجر وهو معنى قوله (سلة تلهب الجوف) أي أن هذا السلاح الذي سوف يضرب به مفوزاً فإنه سيحرق أمعاء كاهيب النار (مازينت عند الصنائع بالحام) أي ان حديدة هذا الخنجر أو هذا السيف ليست بحاجة الى الحداد ليصقلها أو ليسنها فهي بطبيعتها مصقولة مسنونة .

(١٣) « إِمَّا عَلَيْهِ الْبَيْضُ يَصْفِقْنَ بِكَفُوفٍ »

وَإِنْ عَاشَ مَا يَمْشِي عَلَى كُلِّ الْأَقْدَامِ «

يقول انه سوف يضرب (مفوزاً) الضربة القاضية فإما أن يقتله وهذا معنى قوله (إما عليه البيض يصفقن بكفوف) ذلك



أَنْ نساء البادية ينحن ويندبن على الشجاع إذا قتل (والبيض)  
يعني النساء يصفقن بكفوفهن على القتيل . (وإن عاش ما عشي على  
كل الأقدام) يقول (ماجد) أنه سوف يضرب مفوزاً بالضربة  
التي إما أن تقضي على حياته مرة واحدة وإما أن يقطع بها ساقيه  
فلا يستطيع بعدها أن يعيش على رجله سليماً . وهذا معنى قوله  
(وأن عاش ما عشي على كل الأقدام)

(١٤) « اللّٰي كساني ثوب أسودّ وأنا صوف

خله يقع في سهر عيني وأنا نام »

(اللّٰي) أي الذي سود وجهي بين عشيرتي وألبسني العار  
وجعلني أسهر الليل من الهم وهو مع ذلك هاديء ومرتاح ونام  
مطمئناً لا يشغل باله شيء مني (خله يقع في سهر عيني وأنا نام)  
أي سادعه يسهر من الهم والغبن كما كنت ساهراً حزيناً  
بسبب عمله ثم يقول (وإنا نام) أي إني بعد ذلك يطيب لي النوم

(١٥) « من عقب ما أنا قنب صرت أنا صوف

خلان للحضر المتمين فحام »

يقول أن (مفوزاً) أراد بعمله هذه أن يغير مجرى حياتي،  
فتراه يقول : (من عقب ما أنا قنب صرت أنا صوف) أي

جعلاني أسود بعد أن كنت أبيض ويعبر عن ذلك بطريق  
التمثيل فالقنب هو الحبل الأبيض والصوف أسود وهو يريد أن  
مفوزا نال من شرفه وصيره أسوداً بعد ما كان أبيض ( خَلَّانُ  
لِلْحَضَرِ الْمُقِيمِينَ فَحَامٌ ) ولما كان رجال البادية يزدرون كل  
الازدراء الرجل الذي يبيع الفحم منهم لهذا ترى الشاعر يقول :  
إن مفوزاً جعلني بمثابة الرجل الذي يبيع الفحم لأهالي المدن .  
لقد سمع عمرو هذه القصيدة بأذنه وذلك أنه بعد ما فشلت  
سياسته بدفعه للفتاة هناك قال في نفسه : إن ماجداً شاعر سريع  
البديهة ولا بد من أن تجود قريحته بقصيدة يترنم بها ويفنيها  
على ( ربابته ) .

ولقد أصاب عمرو بظنه هذا حيث هب من الصباح الباكر  
يقتفي أثر ماجد حتى دنا من مكانه الذي يختلي به عن الناس وهناك  
بقي مختفياً بالموضع الذي لا يتمكن ماجد من رؤيته عند ذلك  
قام البطل الشاعر ياحن قصيدته على ربابته ولقد سمعها عمرو  
بأذن واعية ولكن ماذا يفعل ؟

هذا وقد كان ماجد راسماً خطته التي سيقضي بها على صاحبه  
( مفوز ) . وبينما كان ( مفوز ) يسقي فرسه من الغدير أتاه ماجد

من الأمام وطعنه بسيفه طعنة بتر بها إحدى ساقيه فوراً ، ثم امتطى فرسه والتجأ إلى بيت آل هذال الذين هم شيوخ قبيلة عنزة فسرعان ما هب ( مطلق الجرباء ) ورؤساء العشائر معه يطالبون ابن هذال بتسليم هذا المجرم الذي خرق اتفاقية المعاهدة بعمليته هذه .

لقد أخرج موقف ابن هذال بهذا الملتجئ ؛ ذلك أنه إما أن يفعل ما تقتضيه معاهدة المؤتمر التي تنص على تسليم المجرم ، فيسلم مستجيره وهذا عمل يخالف ما تقتضيه شيمة العرب ، وإما أن يمتنع عن تسليمه ويحميه فينكث بذلك العهد وهذا شيء قبيح أيضاً . فبقي ابن هذال لا بد له من ارتكاب أحد الشرين إما نكث العهد أو تسليم مستجيره الذي لم يسبق لأحد من العرب أن سلم مستجيره .

اجتمع رجال اسرة آل هذال عن بكرة أبيهم وتداولوا الرأي ، وكانوا بين رأيين هذا وكان ماجد يسمع كل البحث الذي دار في صدره واتضح له أن رأي الأكثرية القوم يرجح الوفاء بالعهد تنفيذاً لاتفاقية المؤتمر ومعنى ذلك تسليمه ( لمطلق الجرباء ) الذي لا شك أنه سيضرب عنقه وذلك لأمرين : أولاً أنه « شمري » ومطلق هو رئيس عشيرة شمر قاطبة وهو الضامن لها عن مثل



هذه الحوادث . ثانياً : أنه الكفيل العام لعموم القبائل فأصبح  
ماجد بعملية هذه قد خفر ذمة رئيسه مطلق أكثر من غيره  
من رؤساء العشائر . وماجد يعلم هذا لأنه ما التجأ إلى ابن هذال  
شيخ قبيلة عنزة إلا خوفاً من شر (مطلق الجرباء) .

هذا وقد رأى ماجد أن ابن هذال سيفي بعهدده ويتخلى  
عنه ، لذلك مال إلى رئيس آل هذال وقال يظهر لي أنكم ستوفون  
بعهدكم ولكن أريد منكم أن تتركوا سبيلي حتى التجيء إلى  
غيركم

عندها رأى ابن هذال أن في هذا الرأي خلاصه من المأزق  
الخرج . فقال : لا بأس نخلي سبيلك . قال ماجد إنكم يا آل هذال  
أصحاب رأي وعقل فأريد أن ترشدوني إلى رئيس  
العشيرة الذي باستطاعته أن يحيرني ويخرق الاتفاقية . فأشاروا  
عليه أن يذهب إلى بيت (دغيم<sup>(١)</sup> بن سويط) ويستجير به . فامتطى  
فرسه وهرع إلى بيت ابن سويط مسرعاً . وكان رئيس عشيرة  
آل سويط في ذلك العهد هو الرجل ، الذي نوه الشاعر بذكره  
في قصيدته الآتي شرحها في آخر هذه القصة . هذا وقد علم مطلق

---

(١) دغيم بن سويط هو رئيس عشيرة الظفير .

الجرباء ورؤساء العشائر معه بأن ماجداً استجار بابن سويط .  
 وهناك اجتمع رؤساء القوم من عموم القبائل المتحالفة وذهبوا  
 لبيت ابن سويط مطالبين بإياد بالين تارة وبالغلظة تارة أخرى من أجل  
 ان يسامهم هذا المعتدي ولكن ابن سويط ضرب بكلام القوم  
 عرض الحائط وكانت مطالبتهم بتسليمه ضرباً من العيث رغم ان  
 مطلق الجرباء ورؤساء عشائر البادية كلهم اصبحوا ضده فاتفقت  
 قبيلة عنزة وقبيلة شمر كلتاهما على محاربته فيما اذا رفض تسليم المجرم ،  
 اصف الى ذلك انه سيحرم ماشيته المرعى وذلك حسب الاتفاقية  
 التي ابرمت في المؤتمر . كما انه يعتبر بعمليته هذه ناكثاً بعهده .  
 وكان ابن سويط شجاع لا تلين له قناة ولا يهيمه ان تتفق عليه  
 القبيلتان بل ولو اجتمعت العرب كلهم عليه قاطبة ما أهمه ذلك كما  
 أنه لا يهيمه حرمان ماشيته من المرعى الخصب ولكن هذه  
 العوامل وان كانت مهمة لا يمكن ان تجعله يسلم مستجير حتى  
 ولو تلف هو وعشيرته وماشيته ولكن العقبة الكؤود والمشكلة  
 التي هي ام المشا كل هي قضية العهد تلك المشكلة التي جعلت ابن  
 هذال لا يقبل ان يخير ماجداً ، هذا وقد اجتمعت اسرة آل السويط  
 قاطبة منفردين لوحدهم يحاولون معرفة الطريقة التي يخرجون بها

من تقض العهد وهم حريصون ان يجدوا لهم المنطق الصريح  
والحجة المقنعة أو شبه المقنعة التي اذا احتجوا بها كانت عذراً  
مرضياً موافقاً لقوانين العرب وعاداتهم ويكونون بالتاسمهم لهذه  
الحجة قد انجوا أنفسهم ولم يعتبروا ناكثين للعهد حسب المنطق  
القبلي<sup>(١)</sup> بينما آل السويط يدرسون الأمر ويفحصون بشدة عن  
السبيل الذي يمكنهم من حماية مستجيرهم ولا يجعل للعرب عليهم  
سبيل ملامة في نكث عهدهم ، عندما كانوا ينقبون عن الطريقة  
المنجية دخلت عليهم العجوز التي هي ام شيخ القبيلة ( دغيم بن  
سويط ) وهم في هذه الحالة فصرخت في وجه ابنها وقالت : ( أراك  
حيران في أمرك وكأنني أرى أن لديك من الوهن ما يجعلك تسلم  
مستجيرك والله أن فعلت ذلك لأقطع من الثدي الذي رضعت دره .  
( دغيم ) معاذ الله يا والدتي كيف تظنين بابنك النجيب  
هذه الظنون ؟ وهل من المعقول اني أسلم من استجار بحماي  
ولاذ بجواري ؟ هذا شيء من المستحيل علي فعله وإنما الأمر  
الذي نحن في حيرة منه هو قضية العهد الذي تعاهدنا  
عليه في المؤتمر الذي تنص إحدى مواده على أن لا يجير

(١) لأن اهل البادية لهم انظمة خاصة ودساتير معتبرة ، كما ان لهم قضاء لا يحس  
لهم من تنفيذ الامر الذي يحكم به هؤلاء القضاة .



أحد من رؤساء العشائر احداً من المعتدين هذه القضية يا والدتي هي التي بقيت حجر عثرة في حل مشكلتنا العويصة ولما كنت تعرفين من قوانين العرب أكثر مما نعرفه نحن الشباب كما أنك مشهورة وموفقة دائماً بالرأي السديد لهذا نرغب بأن تهدينا السبيل الرشيد الذي نسير على ضوئه ونصل به إلى الطريقة التي تقينا شر وصمة عار نكت العهد .

— أم دغيم : الامر سهل يا بني ولا يحتاج الى كل هذه الحيرة وهذا العناء .

— دغيم : ليس هو بالسهل بل انه مشكلة المشا كل يا والدتي فإن كنت تعرفين حلاً لمشكلتنا فارشدينا فإننا بأمس ما يكون من الضرورة الى الطريقة المعقولة التي تشفع لنا بهذا الموقف الحرج .  
— أم دغيم : ابشر يا بني سأتيك بالحجة التي تجعلك تحيّر مستجيرك وانت ناصع الجبين ابلغ الوجه مرفوع الرأس .

— دغيم : هات يا أماء فإنه فرغ صبري .  
— أم دغيم : الستم يا بني عقدتم مؤتمركم هذا وتعاهدتم في الوقت الذي كنتم ذاهبة في سبيلي الى الحج وأخذت بويتي<sup>(١)</sup> الصغير هذا معي .

---

(١) تصغير بيت .

— دغيم : بلى يا والدتي حفظك الله .

— أم دغيم : وهل كان هذا البيت وصاحبه حاضرين لمعاهدتكم

تلك ! أم أننا كنا في الحجاز وبعيدين عن هذه المعاهدة كل البعد

— دغيم : بل إنك كنت وبويتك في الحجاز ونحن أبرمنا

معاهدتنا في شمال نجد .

— أم دغيم : وهل كان في المؤتمر المعقود أو معاهدتكم المشؤومة

مادة تنص على أن هذا البويت الغائب تشمله المعاهدة .

— دغيم : لا ليس فيه شيء من ذلك عفا الله عنك .

— أم دغيم : وهل في معاهدتكم مادة تنص على أن المستجير

يسلم فيما إذا استجار ولاذ في أحد بيوت النساء دون الرجال ؟

— دغيم : لم يكن ثمة مادة تنص على ذلك أبداً في المعاهدة .

— أم دغيم : إذن سامني مستجيرك هذا لأدخله في بويتي الصغير

الذي لم يحضر المعاهدة لا هو ولا أنا ، فإذا استلمت المستجير

بيدي فيكون قد تخلى عن بيتك والتجأ إلى بيتي ، فإذا فعلت

ذلك لم تكن نكثت بالعهد وذلك من وجهتين أولاً : أن هذا

البويت وصاحبه لم يحضرا المعاهدة ، ثانياً : أنه لم يكن في معاهدتكم

ما ينص على أن المستجير في بيوت النساء من عجائز وفتيات يسلم .

— دغيم : بارك الله فيك من أم حكيمة رشيدة . لقد حملت الاشكال وهذا هو المستجير فخذيه بيدك وادخله بويتك<sup>(١)</sup> ؛ هرعت العجوز وأخذت ماجداً وادخلته بويتها الذي لم يحضر المعاهدة لاهو ولا صاحبه ومن ثم هرع أمراء القبائل وعلى رأسهم الشيخ مطلق الجرباء الذي كان أشد القوم حرصاً ومطالبة باستلام هذا المجرم الذي خرق القوانين وانتكح حرمة المعاهدة ولكن هذا المجرم التجأ الى حصن شديد البأس صعب المنال فأصبح لديه من الحصانة ما يحميه من استلام (مطلق الجرباء) له .

واشتد النزاع وحاول الجرباء بشتى الوسائل أن يستلم هذا المستجير ولكن محاولاته باءت بالاخفاق الذريع . وأخيراً هدد الجرباء آل (صويط) بسوء ما ينجم من عاقبة سيئة وخيمة نتيجة تقضيم المعاهدة واصرارهم على حماية المجرم ، ولكن آل صويط قوم لا يقع لهم بالشنان ؛ فقد أصرروا على عدم تسليم مستجيرهم واحتجوا بحجة العجوز وتمردوا على مطلق الجرباء ورؤساء العشائر جميعاً .

هذا وقد كان عمل آل صويط هذا سبباً إيجابياً لنقض المعاهدة ، وفعلاً قد انتقضت هذه الاتفاقية بسبب هذه الحادثة .

(١) أخذ آل صويط ميزة خاصة عند العرب بمعايهم هذه فاصبحوا يتعنون باهل البويت من ذلك التاريخ لحتى الآن .



وهاهو ذا بطلها (ماجد الحثري) يمتدح آل صويط بقصيدته  
هذه ويهجو آل هذال الذين لم يحبروه فيقول<sup>(١)</sup> :

(١) « بَلْ عَوْنُ مَا سَرَّوْنَ أَوْلَادَ وَايِلَ . . . . . »

يقول ماجد : أن أولاد وائل الذين هم آل هذال ما أجاروني  
وما أدخلوا على قلبي الأمان والسرور كما فعل آل صويط وهو في  
البيت التالي يوضح هذا المعنى فيقول :

(٢) « مَا ظَلَّ لِي غَيْرَ اصْوَيْطَاتٍ ظَائِلَ

أُدْغِمَ ثَنَىَ بِالسَّيْفِ دُونِي أَوْ سَلَّهَ »

يقول ان الذين أجاروني هم آل صويط ويخص من آل  
صويط أميرهم الشيخ دغيم ويقول انه لم يبق لي من رجال القبائل  
القاطنين على هذا الماء مجبر غير آل صويط فلا شمر ولا غيرهم .

(٣) « صَوَيْطَاتُ يُعْطُونَ الْمَهَارَ الْأَصَائِلَ

وَالْمَعْرِقَةَ وَغَنَانَهَا تَبَعَةً لَهُ »

---

(١) لا اعتقد بان آل صويط باقدر من آل هذال على حماية هذا المستجير  
ولا هم أقل شمر ولا أضف جانباً ولا أقل عشيرة ، وانما الذي جعل آل هذال ان يتحلوا  
عن حمايته هو حرصهم على الوفاء بالعهد والحق انهم لو وفقوا للرأي الذي وفق له تلك  
العجوز ام دغيم ، لفعلوا به بالرغم أن آل هذال عرفوا بسداد الرأي ورجاحة العقل كما  
هو واضح برايمهم الذي اشاروا به لماجد ، وانما القضية قضية صدف وتوفيق .

يمدح الشاعر آل صويط ويقول إنهم علاوة على ما فيهم من  
نجدة وحماية للجار فهم مع هذا كله كرماء استخياء يهبون الخيل  
الجياذ الأصائل والعرب يعتبرون أن الرجل أو الأمير الذي يبلغ  
به الكرم إلى أن يهب الفرس الأصيل فهذا يكون عندهم قد بلغ  
الذروة القصوى في الكرم لأن الفرس في ذلك الوقت ولا سيما  
الأصيل بمثابة الاسطول الجوي في العصر الحاضر . وهنا نأتي  
بالقصيدة كاملة بعد شرحها .

قال ماجد الحثري :

(١) « بالعون مأسرون أولاد وايل . . . . . »

(٢) « ما ظل لي غير اصويطات ظائل

ادغم ثني بالسيوف دوني أو سلّه »

(٣) « صويطات يعطون المهار الأصائل

والمعركة وعنانها تبعة له »



## وفاءه بالمرم

### اضطره أن يقتل أخاه

قصة نهار<sup>(١)</sup> الاحدي مع أخيه صالح وقعت بتاريخ  
١٣٣٠هـ على وجه التقريب

قبل أن يوحد الجزيرة العربية المغفور له البطل عبد العزيز آل سعود ، كان لا يستطيع أن يعيش بالصحراء إلا القوم الكثيرون الأقوياء بعدتهم الحرية ، وإلا فيكون الماشي بها لقمة سائغة لعرب البادية ، ولا سيما طريق مكة والمدينة ، فان ثمة لصوصاً لا معيشة لهم إلا من هذا السبيل ، فهم كما قالوا يمثلهم الذي يعبر لنا عن حياتهم الاجتماعية أمثل تعبير « رزقنا على الحاج ورزق الحاج على الله » . والذي يهون الأمر نسبياً هو أن لهم تقاليد عرفية كان فيها من المناعة ما يتقي بها عابر السبيل شر بعضهم ببعض . مثال ذلك أن المسافر إذا شاء أن يذهب إلى جهة ما يتحتم عليه أن يأخذ شخصاً من هؤلاء العرب الذين

---

(١) نهار من قبيلة حرب .



يمر بسبيله على أرضهم ، ويسمى هذا الشخص (رفيق) ، فهم يعطونه من المال ماجرت العادة به . وهذا (الرفيق) يتحتم عليه أن يحمي دماءهم وأموالهم ولا يستطيع أحد أن يسهم بسوء ، لاسيما إذا كان رفيقهم شجاع قوي الشخصية ، أو عميد أسرة ، أو له إخوان وأبناء هم شجعان منيعوا الجانب ، فإذا توفرت هذه الشروط بالرفيق ، كان المسافرون في أمان لا يزعزع ، وكما كان الرفيق ضعيفاً في شخصيته كان الخطر على المسافر أكثر .

وهذا الرفيق لا يقدر أن يحمي المسافرين إلا من عرب عشيرته فقط . وكثيراً ما يحتاط المسافرون للامر فيكون معهم من كل قبيلة رفيق ، لاسيما إذا كان الطريق بعيداً وتلزمهم ضرورة السفر أن يمروا على عشائر متعددة . وهكذا كانت الجزيرة في الأزمان الغابرة .

هذا وقد كان فريق من أهل نجد وهم من بلدة حائل أدوا فريضة الحج وزاروا المسجد النبوي — على ساكنه أفضل الصلاة والسلام — واستعدوا للعودة إلى أوطانهم ، فاضطروا إلى أن يأخذوا معهم (رفيقاً) من بادية المدينة الذين هم قبيلة حرب . فساقهم القدر إلى شخص يسمى (نهار الأحمدى) . فتم الامر

بينهم وبينه حسب التقاليد المرعية؛ وخرج القوم ورفيقهم من المدينة قاصدين أهلهم . وقبل أن تتوارى عن أعينهم جدران المدينة ، هناك اصطدم القوم ( بصالح الأحمدي ) شقيق رفيقهم (نهار) . فطلب (صالح) هذا من القوم أن يعطوه (حقته) ومعنى ذلك أن له حقاً واجباً على المسافر الذي يعبر هذه الأرض التي يقطنها . فعليه أن يسلم له من المال . وهذا المبلغ حسب الاصطلاحات الجارية فيما بينهم أنه (حق) له يأخذه منهم جبراً . ولكن على شرط ألا يكون معهم رفيق من قبيلة صالح هذا أو من عشيرته ، أما إذا كان أحد من أولئك فلا يكون له حق ، لوجود الرفيق الذي هو متعهد حمايتهم . أما وقد كان رفيق القوم نهار أخو صالح الشقيق فأصبح ليس من واجبهم أن يدفعوا شيئاً كما أنه ليس من حقه أن يطالبهم بشيء . ولكن يظهر أنه شاء أن يتمرّد على القوانين ويأخذ (حقته) كما هو يدعي من هؤلاء القوم سواء رضي أخوه أو لم يرض ، ثم يقول لسان حاله :

ماذا يفعل أخوه إذا هو لم يرض ؟

وفات المغرور أن القوم أخذوا من أخيه عهداً وثيقاً على أن يحميهم من البعيد من عشيرته فضلاً من أخيه ، أو لعل ذلك

لم يخف على صالح . ولكن الذي يتبادر لنا من ظاهر أمره أنه لا يرى للعهد وزناً في نفسه - ودائماً ما يرى المرء الناس بالعين التي يرى بها جبلته - لهذا تراه أعتقد أن أخاه لن يرضى للعهد قيمة . ولكن أخاه أخلف ظنه .

حاول مبدئياً أن يقنع أخاه بالتي هي أحسن ومن طريق المنطق ، مؤكداً له بأن هؤلاء القوم أصبحوا في جواره وبعهده وضمانته ، وانهم لم يخرجوا من المدينة إلا بعد أن أعطاهم عهداً وثيقاً ؛ فعلى هذا الأساس لا يمكنه إلا أن يفي بعهده ويحمي جواره مهما كلفه الأمر . بهذه العبارات الرقيقة كان رفيق القوم يلتمس رضى أخيه ، ويحاول إقناعه . ولكن أخاه لم يقنع .

هَبْ نهار مرة أخرى يلتمس رضاء أخيه قاصداً إغراءه بالمادة فقال له : يا أخي إن كان يرضيك أن أتجرد عن كل ما أملك من المال وأهبه لك بما فيه هذا المبلغ الذي أخذته من القوم مقابل حفظي وحراستي لدمائهم وأموالهم ، إن كان يرضيك ذلك فقد وهبتك إياه رغبة لا رهبة وذلك حرصاً على ألا تسيء إلى رفاقي بالشيء الذي من شأنه أن يمس كرامتي ويخفر ذمتي . فأجابه الباغي بعنف وسخرية قائلاً : أنا لست بحاجة إلى أن تحسن إلي وتصدق



عليّ من مالك ، أنا أغنى منك مالاً ونفساً ، وأنا إن طالبت بشيء  
فلا أطالب إلا بحقي الذي سأخذه رغم أنفك وأنف رفقاءك .  
طفق نهار آخر الأمر يناشد أخاه بالله والرحم فقال : ناشدتك  
الله والرحم على أن تحلي سبيل رفاقي ولا تحزني بين قومي بنقضك  
عهدي ، وهتكك حرمة جواربي . فلم ترد مناشدته هذه أخاه إلا  
تمرداً وطغياناً . فابتلى نهار وامتنح بمخاطبة هذا السفيف الذي عبر  
عن أمثاله المتنبي :

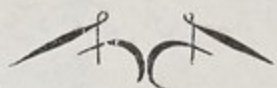
ومن البلية عدل من لا يرعوي      عن غيه وخطاب من لا يفهم  
لقد رأى نهار أنه بذل شتى الوسائل وأنجع الأسباب المجدية  
التي تجعل أخاه يترك سبيل قومه : فقد استعمل معه أولاً الحلم  
والحسن ثم وهبه كل ما يملكه من مال ، كما أنه ناشده الله والرحم  
محاولاً بذلك استثارة عاطفته واستفزاز شعوره ولكنه لم يلن له  
قلب . أذن فستضطره حماقة أخيه أن يقبل نصيحة الشاعر القائل :  
إذا كنت بين الحلم والجهل ناشئاً  
وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل  
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً  
ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

عند ذلك حذر نهار أخاه سوء عاقبة تمرده هذا بطريقة التلميح والإشارة . ولكن الباغي لم يردعه التحذير ولم يأبه له ، لقد فرغ الآن صبر نهار وعمد إلى تنفيذ أمر كان يضره في نفسه حل المشكلة ولكنه أمر ليس باليسير عليه تنفيذه وإما الذي أرغمه على الإقدام عليه هو أخوه الطائش .

الآن خاطب نهار أخاه صالِحاً بالصراحة الجلية فقال : يا ابن أبي وأمي إنه قد فرغ صبري وأنا أرجوك ، ولا شك أنك ستجبرني على ارتكاب أحد أمرين إما أن أترك شأنك لتتقضى عهدي وتهتك حرمة جوارى وهذا شيء مستحيل عليك مادمت حياً سليماً ، الشيء الثاني أنك ستضطرني إلى قطع رحمي وبتر ساعدي الأيمن وتيتيم أبناء أخي وهذا ليس من شيمتي احتماله ولكنه أهون الشرين عندي .

كان نهار يخاطب أخاه وهو في تلك اللحظة شاهر السلاح بوجه أخيه ، وقد كانت رصاصة البندقية في بيت النار ولم يبق سوى التنفيذ . ومع هذا كله لم يرتدع أخوه بل هجم على القوم ليسلب منهم ما لهم بالقوة فلم يسع نهار إلا إطلاق الرصاصة التي

خرقت رأس أخيه فخر ميتاً . أما نهار فهب يوارى جثمانه فوراً ،  
ثم واصل سيره مع رفاقه حامياً لجوارحه وفيماً بعهدده ، حتى أوصلهم  
الجهة التي تم الاتفاق بينه وبين القوم أن يوصلهم إليها .  
ثم عاد إلى أهله لم ينكث عهداً ولم تحقر له ذمة<sup>(١)</sup> .



---

(١) القصة مشهورة .



## وفاء وعزيمة في المال والجاه والاهل

قصة عجمي بن سعدون مع كوكس (١) الانجليزي

وقعت ابان الحرب العالمية الاولى سنة ١٣٣٣ هـ

عندما اندلعت نار الحرب العالمية الأولى كان عجمي (٢) باشا ابن سعدون يحارب بجانب الأتراك وذلك بدافع عقيدته الإسلامية ولم ينخدع بالثورة العربية التي استمدت قوتها من الانكليز كما انخدع غيره من سياسة العرب بل كان عجمي منتبهاً لهذه الناحية وقد ادرك أن الانكليز لا يمكن أن يقدقوا المال على قادة العرب ويدوهم بالعتاد رحمة بهم ومودة لهم ، وإنما أرادوا أن يتخذوهم مطية لهم كما كان الأمر . وقد حاول الماكر الانجليزي كوكس أن يغري عجمياً بالمال ليستغل بطولته وزعامته كما أغرى غيره ، ولكن عجمياً كان وفياً لمبدئه الى أبعد حد من الوفاء ، وليس للمال ولا للجاه قيمة عنده أمام إيمانه بعقيدته ووطنيته ، ولو كان ممن

---

(١) هو الحاكم السياسي للعراق آنذاك .

(٢) يعتبر من اعظم زعماء العرب في العراق ومن الأبطال البارزين بالفروسيّة

واسرته امرة عريقة في مجدها التاريخي وزعامتها العربية .

يشتري ضميره بالأحمر الرنان لاستطاع الحاكم السياسي كوكس أن  
يستولي على كيانه بمئات ألوف الجنيهات التي بذلها له ، فرفضها ،  
ولم يقبل بها بوجه من الوجوه .

لقد كنت من النفر المعجبين بشخصية عجمي السعدون  
لا من ناحية بطولته الخارقة وكرمه المتناهي<sup>(١)</sup> فحسب وإنما من

(١) كان شاعر الحماسة الشعبي محمد العوني المتوفي سنة ١٣٤٣ هـ من المتفانين  
بالولاء والاخلاص لعجمي ومن المعجبين بشخصيته إعجاباً ربما يبلغ بصاحبه حدّاً من  
الاسراف ، وليس ثمة مجال لسرد ما قاله الشاعر من القصائد السرمدية الخافضة بالأطراء والثناء  
العاطر به ، وإنما اغتمت هذه المناسبة لأستشهد بثلاثة أبيات جادت بها فريضة الشاعر عند مناسبة  
اثارت شعوره فقال :

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| الفاطر الزرقاء ترزم مع السوق | حينئذها اودع بقلي هوايا       |
| تبكي ولدها فارقه عاقبا عوق   | وانا ابكي الصنديد ذيب السرايا |
| مدري حذر والا قعد اودهب فوق  | او وين تدوي به ربيع الهفايا   |

هذه الايات الثلاثة فالها الشاعر بصورة ارجالية ولم يزد عليها وذلك عندما كان جالسا  
في الشارع الرئيسي لمدينة حائل ، وفي اثناء جلوسه مر امامه فانة فاطر اي « مسنه » وكانت  
نحن حينئذ شديداً على فراق ابنها ، والشاعر عندما رأى هذه النافذة اهتز شعوره  
وعواطفه ، وذكر صديقه عجمياً وذلك سنة ١٣٣٨ هـ وكان عجمي آنذاك لا يعلم الشاعر  
عنه شيئاً ، إذ ان لا مواصلات بين الاثنين ، والشاعر بالبيت الاول يصف نفسه ويضعها  
بوضع هذه النافذة التي نحن على ابنها ، ويقول انها اثارت حزني الكامن وجرحت فؤادي  
بحينئذها عليه وفي البيت الثاني يقول انها نحن على ابنها « وانا ابكي الصنديد ذيب السرايا »  
الصنديد : البطل المغوار ، ذيب السرايا : اي فائد الجيوش والجحافل . يقصد بذلك انه  
يبكي على فراق عجمي الذي توفرت فيه هذه الشروط .

مدري حذر والا قعد او نهج فوق او وين تدوي به ربيع الهفايا  
يقول الشاعر لست ادري اين ذهبت به الدنيا « ربيع الهفايا » اي مطعم العماجرين  
عن طلب المعيشة من ايتام وارامل .

اجل وفائه الذي أدّى به الى أن بقي بتركيا لاجئاً سياسياً اشبه  
ما يكون بالمشرد وقد فارق أملاكه في العراق وسيادته كل ذلك  
في سبيل الوفاء الذي هو من أفضل سجايا بني الإنسان وأنبليها ،  
هذا وإن إعجابي لا زال يتضاعف بشخصية هذا البطل الوفي ، وكم  
كنت مسروراً عندما ساقه القدر لزيارة « دمشق » وهو في سبيله  
لتأدية فريضة الحج وذلك في ٢٨ / ١١ / ١٣٧٤ هـ وقد أقام في عاصمة  
أمية مدة لا تقل عن اسبوع وكنت كثير الاتصال به وهو  
شخص دمث الخلق كثير الصمت .

وقد حرصت أن أنقل شيئاً عما حدث له من الحوادث التي  
تستحق التسجيل ، ولـكنني لم أجده عنده تلك الرغبة بالاحاديث  
عن نفسه ، وفي جلسة من تلك الجلسات التي قضيتها معه كان  
الحديث بيننا يدور حول الانكليز وما يبذلونه من المال تجاه تنفيذ  
مآربهم ، وأظن اني كنت البادئ بالحديث بهذا الصدد .

وبهذه المناسبة سرد على البطل حادثة وقعت بينه وبين الحاكم  
السياسي في العراق المدعو « كوكس » الذي حاول أن يغري  
عجماً بالمال فأعياه ذلك .

كان رسوله الى عجمي شخصاً عربياً من قبيلة عجمي اشترى



ضميره بالمال يدعى « فرحان ارحمه » حدثني عجمي بأن هذا الرسول  
ابله رسالة الحاكم شفهيًا وهذا نصها :

« ان الحاكم الانكليزي على استعداد أن يدفع ثلاثمائة ألف  
جنيهاً ذهباً انكليزياً لحضرة عجمي باشا على شرط أن يتخلى عن  
ساحة الوغى ويترك محاربته للانجليز » .

لا شك ان العرض مغر لضعفاء النفوس ، ولكن عجمياً اكبر  
نفساً وأعف يداً وأعز جانباً من أن يشتري ضميره بشيء من مظاهر  
الدنيا الفانية مهما حاول المستعمر أن يغريه فإن وفاءه وإبائه  
نفسه ترفض ذلك وفعلاً قد رفض هذا العرض بكل اباء وشتم .

عندما شعر كوكس بأن صاحبه ليس من أولئك النفر الذين  
يصطادهم بغرياته ، هناك هب يلتمس سبيلاً آخر لاصطاده من  
قبله فبعث اليه رسولاً ثانية يدعى « هادي الشنين <sup>(١)</sup> »  
ليأخذ وعداً من عجمي « لكوكس » شريطة أن يكون تعيين  
الزمن والمكان شيئاً متروكاً اختياره لعجمي ، كما أنه اشترط  
« كوكس » على نفسه أن لا يرافقه اي فرد من الجنود الانكليز .  
واليك جواب هذا البطل الوفي للمستعمر المحتال :

(١) هادي من المتنك عرب الشيخ عجمي .

« إن من دواعي شرفي واعتباطي ان يتنازل لي المستر  
« كوكس » الى حد أن يطلب مني تعيين الزمان <sup>(٢)</sup> والمكان الذي  
نجتمع به ، اذ أني وإن كنت زعيماً من زعماء العرب ، ولـكني أرى  
منزلي بسيطة بالنسبة لسمو منزلة المستر كوكس وعلو قدره ، ثم  
استرسل الشيخ بكلامه الى أن قال : ولـكنني أناشد المستر كوكس  
باسم بريطانيا العظمى التي هو قطب من أقطاب ساستها . فهل يقبل  
حضرته أن يجتمع معي او ينظرني بعينه فيما لو كانت الغلبة للعرب  
والاسلام كما كانت بالأمس . ومن ثم أسعدني الجد الى أن اتيت  
غازياً لوطنه لندن كما أتاني غازياً لوطني الآن ؟ وطلبت منه  
الاجتماع كما هو يطلبه مني فسله « يا هادي أيقبل هذا لنفسه ؟ »  
أم يرى أن لا كلام بيني وبينه إلا السيف كما اعتقده الآن ؟  
حفظ هادي هذه العبارات الوجيزة في لفظها المليئة في معناها  
ومن ثم القاها كاملة امام « كوكس »

وقد سألت عجميا وعماداً كان الجواب من صاحبه ، فقال .

---

(٢) يقول الشيخ عجمي اني سألت « هاديا » رسول المستعمر فقلت كيف يثق في  
هذا الانكليزي الى حد انه يأتيني بمفرده « فقال هادي لعجمي : لقد استغربت هذا الأمر  
منه حتى اني صارحته بنفس هذا المعنى الذي كلمتني بصده فأجابني بقوله « اني لا اخشى الغدر  
على نفسي من امثال هذا فيا إذا اعطاني وعداً حتى ولو كنت بمفردي . لأن الوعد من  
الوفي كهذا يقوم مقام العهد . »

انه لم يعد اليه الرسول بجواب ايجابي ، وانما أفاده بأن  
« كوكسا » عندما تبلغ هذه الرسالة الشفوية وجهم قليلاً ، وفي  
هذه الحالة اصفر وجهه واحمر حتى بدت عليه ملامح الكآبة  
جلية ظاهرة .

ماذا يا ترى في وجهه هذه كان يحدث نفسه ؟ اتراه يقول  
لنفسه ان كان زعماء العرب وقادتهم كلهم من نعط هذا الرجل فإن  
سياسته وحكومته سوف تفشل في الاقطار العربية ؟  
هذا وقد كان داهية الأتراك وزعيمهم مصطفى كمال يعرف  
مدى رجولة الشيخ عجمي وبطولته وحاجته اليه لهذا اتجه يخطب  
وده ويلطفه وينعته بما هو له أهل . والى القارئ صورة عن رسالة  
مصطفى كمال التاريخية الموجهة منه الى الشيخ عجمي .







وقد ترجمها لنا بالعربية الدكتور أمين رويحة بما يلي :

حضرة شيخ مشايخ العراق عجمي باشا . استبشرت بتشريفيكم  
الى ديار بكر ، وكنت قد سمعت عن سجاياكم ورجولتكم  
وارتباطكم بمقام الخلافة المقدس ، وانا عندما كنت في الحرب  
المنصرمة في قيادة الجيش الثاني في ديار بكر وقيادة الجيش الرابع  
في حلب مما أحدث لكم في قلبي محبة كبيرة ، ان افتراق الأمتين  
العربية والتركية وهما عيننا العالم الاسلامي اوقع كلا منهما في  
ضعف . وقد أصبح من فرض العين علينا الجهاد في سبيل حرية  
واستقلال أمة محمد <sup>(١)</sup> ، وإنني أعلن أنني بجانبكم في جهادكم للخلاص  
من أثر الكفار والالتفاف حول مقام الخلافة المقدس مع صيانة  
الصفات والعنعنات العنصرية ، وإنني أترك لشخصكم النجيب بيان  
مطالعاكم في هذا الشأن بواسطة قيادة الجيش الثالث عشر لتبادل  
الأفكار وأقدم لكم فائق الاخلاص .

التوقيع  
مفتش الجيش الثالث  
مستطفي كمال

١٥ / حزيران / ١٩٢٥

---

(١) إني لأعجب من هذا الماكر التركي الذي استفز شعور هذا السبيذع بالمقيدة  
الاسلامية كما استفز شعور الكثير من المسلمين وذلك عندما كان ضعيفا في بداية  
أمره . وبعد أن بلغ ما بلغه من العز والنصر أعلن كفره بمحمد وأمة محمد .

والشيخ عجمي الآن يقطن البلاد التركية حيث أدى به وفاؤه  
الى أن ناضل في صف الأتراك الى آخر لحظة ، ولم يقف به وفاؤه  
الى أن قاتل بجانبهم في بلاده العربية فحسب بل ذهب يفاضل  
بجانب الجيوش التركية في قلب بلادها الى أن هجر وطنه العراق  
وهكذا ذهب البطل ضحية لفائه حيث خسر زعامته في  
العراق واملاكه التي لا تحصى وبقي في تركيا لاجئاً ، وقد تجنس  
بالجنسية التركية :

ومما لا جدل فيه أن نفسية عجمي الأبية ترى أنها سعيدة في  
وضعها الراهن ، فهو وإن خسر شيئاً من زعامة وثروة ، فقد ربح  
الحمد الخالد والمجد الأبدي ، وكأني بنفسه الجبارة تالحن قول الشاعر  
عمر بن الاطالبة :

ابت لي شيمتي وأبى وفائي      وأخذي الحمد بالثمن الريح  
واقدمي على المكروه نفسي      وضربي هامة البطل المشيح  
وقولي كلما جشأت وجاشت      مكانك حمدي او تستريح<sup>(١)</sup>

(١) وأعظم المصائب على الشيخ عجمي السعدون ، هو أن الحكومة التركية التي  
كان يقاتل بجانبها بدافع الرابطة الاسلامية قد تجردت عن ذلك المبدأ المقدس ، وذهبت  
بجانب الانجليز الذين يعتبرونه عدواً لهم رقم واحد ، وعلى هذا التقدير أصبح بطل القصة  
منكوباً وغريباً من شق الوجوه ولا غرو فهذا شأن كل من اشترأت نفسه لأنفس المعالي  
واسماها وهذا ما ذهب اليه الشاعر العربي :

غريب عن الاوطان في كل موطن      الا كل من طلب النفيس غريب



## من أروع امثلة الوفاء بالعهد

وقعت عام ١٣٣٥

لاشك أن الوفاء بالعهد عند العرب من أهم المثل العليا ، فنجد العربي يتمسك به حتى مع أشد أعدائه ومن المستحيل أن يغدر وينكث بعده ولو ظفر بقاتل أبيه ومما يؤيد لنا صحة ذلك قصة ( رفاع بن ركب <sup>(١)</sup> ) من قبيلة مطير التي وقعت له مع عدوه اللدود ( جذيل بن لغيصم الأسامي الشمرى ) ذلك أن ( جذيلاً ) غزا قبيلة مطير وحصلت بين الغازي والمغزو ، مقاتلة عنيفة كان من نتائجها أن وقع قتلى بين الطرفين ومن هؤلاء القتلى ( أبو رفاع بن ركب ) وكان ( رفاع ) شجاعاً لا ينام على الضيم . طلب من قبيلته أن تغزو قبيلة شمر خاصة عرب جذيل <sup>(٢)</sup> من أجل أن يأخذ بالثأر وكأن لسان حال ( رفاع ) يحدثنا أنه لا يريد بغزوه هذا اكتساب ابل من قبيلة شمر ولا طمع له إلا برأس ( جذيل ) الفارس الذي اشتهر بقتل أبيه .

(١) رفاع : فارس من مشاهير فرسان قبيلة مطير .

(٢) جذيل : من فرسان قبيلة شمر .

ذهب غزاة مطير برآسة هابس بن عشوان الفارس المشهور<sup>(١)</sup> ومن بينهم (رفاع) الذي كان أحرص القوم على لقاء قبيلة شمر ليأخذ بالتأثر منهم سواء (بجذيل) أو بمن يضارعه أو يفوقه من قبيلته ، لأن العرب ولا سيما أهل البادية كثيراً ما يعملون بالعرف الجاهلي الذي ينافي قوله تعالى : ( ولا تزر وازرة وزر أخرى ) فالبدوي لا يهتم إلا أن يأخذ الثأر بأكبر شخصية في الأسرة فهذا هو كمال الغاية وإن كان ثمة أكبر منه فلا يزال يطلب الثأر وينتظر الفرصة التي يحاول بها قتل هذا الكبير حتى يظفر به ، فإن تعذر ذلك بسبب من الأسباب كان مرجعه على القاتل ، ولقد كان (جذيل) هو عظيم أسرته ، فعلى ذلك توفرت فيه الشروط وأصبح إذا ظفر به عدوه لا نجاة له البتة ، يضاف إلى ذلك أن « رفاعاً » كان شديد الحقد والحرص على أن يقتل جذيلاً بيده ، ذلك أنه طلب بالحاح من كل فرد من قبيلة (مطير) الغازية راجياً منهم جماعة وأفراداً إذا ظفر أحد منهم « بجذيل » أن لا يقتله بل يسلمه له حتى يقتله بيده أسوأ قتلة هذا غاية ما يتمناه رفاع ويطلبه من قومه ولكن قومه ردوا عليه بقولهم : إنا لا نعلم

(١) هابس بن عشوان من زعماء قبيلة مطير ومن فرسانها البارزين الأنداز توفى رحمه الله في معركة وقعت بين قبيلته وقبيلة العوازم عام ١٣٤٨ وكان البطل ضحيتها .

أيكون النصر والغلبة لنا أم للعدو؟؟ ثم إنه لو قدر لنا النصر على  
 العدو فإن « جديلاً » اليس بالرجل الجبان الذي تتمكن من استلامه  
 من دون مكافحة ومناضلة ، بل إنه رجل مشهور بفروسيته فعلى  
 ذلك من المستحيل أن نظفر به إلا بأحد أمرين : إما قتيلاً  
 بعد قتال عنيف ومعركة دامية بيننا وبين قومه ، وإما أن نأخذه  
 (منعاً) أي بعهد فإن أخذه أحد منا بعهد فليس من المعقول أن  
 ينكث بعهده ويسلم لك من أجل أن تأخذ بئارك منه هكذا كان  
 جواب القوم اجمعين ، كان هذا مدار حديثهم وهم في مسيرهم  
 فظلت غزاة مطير تحت السير قاصدة قبيلة شمر ، ولكن قبيلة  
 مطير ما علمت أن قبيلة شمر أيضاً تحت السير قاصدة غزوها حتى  
 انكشف لها الأمر حينما اصطدم الغزاة بالغزاة . وكانت شمر أقل  
 غزاة من مطير . لقد حصل بينهم تبادل حديث ، عند ذلك عرفت  
 كل قبيلة منهما الأخرى وحي الوطيس آنذاك . وبعد أن اشتد  
 الوغى وطالت المعركة كانت الغلبة لقبيلة مطير ولكن هذه الغلبة  
 كانت (منعاً) لا (شلعاً) والفرق بين (المنع) و (الشلع) هو أن  
 الأول بعهد والثاني بدون قيد ولا شرط . كما أن معاهدة المشاة  
 غير معاهدة الفرسان الذين يتقاتلون وهم على صهوات الخيل أو ظهور



الإبل وإن كان الحكم واحداً في منطقته وإنما تختلف المعاهدة الأولى بحكم تجمعهم بحيث تكون المعاهدة معاهدة جماعة لجماعة بينما تكون الأخرى معاهدة أفراد لأفراد ، ويكون وقتئذ لكل فرد من الغالبين أن يمنع الذي أمامه من المغلوبين . ولعل قدرة الله ساقط « جذيلاً » حتى كان ( منيعاً ) ( لرفع ) الذي لا شيء في الدنيا أحب إليه من أن يظفر ( بجذيل ) قاتل أبيه . وأروع ما في هذه القصة هو أن ( جذيلاً ) يعلم أنه وقع في قبضة عدوه ( رفع ) الذي لا رحمة له عنده ولا شافع تقبل شفاعته لديه ، إنه كان يعلم ذلك قبل أن يقع في قبضته . ومن تقاليدهم في هذا الموضوع أن الفارس الغالب عندما يطرد المغلوب ويرى أنه لا يستطيع أن يستولي عليه ( شلماً ) أي بالقوة وبدون قيد ولا شرط يلجأ عند ذلك إلى أن يستولي عليه ( بالمنع ) أي بالمعاهدة ، فيقول الغالب للمغلوب : « انزل بوجه فلان » فيجيبه بقوله : « سمى الله » أي إعطني عهداً الله . فيجأ به الغالب بقوله « عليك الله وأمان الله والخائن ينتقم منه الله » هذا هو المنع عند العرب لفظاً ومعنى وقد يكون ثمة اختلاف باللفظ غير أنه لا يخرج عن هذا المعنى . لهذا نعود فنقول إن « جذيلاً » يعلم أنه وقع في قبضة عدوه رفع ذلك لأن رفعاً خاطبته باسمه

الصريح وقال له : انزل في وجه وأمان رفاع . الذي لا يتمنى شيئاً في الدنيا أعظم من أن يظفر به ليقضي على حياته . ولرب قائل يقول : لم يسلم جذيل نفسه لعدوه رفاع ، ولا يقاتل حتى يقتل حراً عزيزاً لا أسيراً مقهوراً أو ينجو ؟ وكثيراً ما ينجو المقاتل المستميت كما قال أبو بكر رضي الله عنه : أطلب الموت توهب لك الحياة . وجوابنا على ذلك هو أن جذيلاً يعلم أن عدوه لا يستطيع أن يقتله بعد أن أعطاه العهد وذلك لما يعلمه من عظم شأن الوفاء في نفسية العربي ، خاصة كرفاع الشهم الكريم الذي يعلم أنه لو نكث بالعهد وقتل « جذيلاً » لكان أول من ينبذه ويمقته بنو عمه بل ربما أنه لا يستطيع أن يقطن بين كل قبيلة مطير ، كما أنه لا يمكن أن يقبل بالزواج من نساءه رجل من العرب يرى في نفسه أنفة وإباء وشما . فعلى هذا الأساس كيف يرتكب هذه الجريمة الشنعاء ؟ ولو أنه ارتكبها لشفي غليله وأخذ بثأره ولكنه يكون قد وقع بما هو أكبر وأعظم عند العرب وهي وصمة العار الخالدة لا عليه فحسب بل على أبنائه وأحفاده .

لهذا لم يرفع رفاع بدأ من أن ينفذ اتفاقية المعاهدة لا من قوة تجبره وتخضعه على ذلك ولكن قوة إيمانه بقوله تعالى : « وأوفوا

بمهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم  
الله عليكم كفيلاً « إن إيمانه بذلك من ناحية وتأنيب ضميره  
ووجدانه له من ناحية أخرى واحترامه أيضاً لقوانين العرب  
ودساتيرها ، كل هذه العوامل هي التي كانت سداً منيعاً لا يستطيع  
أن يتجاوزه البتة . لهذا ترك « جذيلاً » يرجع إلى أهله شديد  
القوى سليم الجوارح موفور الكرامة وربما يكون جذيل بمنزلة  
الأخ الشقيق لرفاع وذلك حسب الاصطلاحات المرعية فانه  
كثيراً ما يكون الأعداء كالأخوان الأشقاء لاسيما إذا صدف  
حادثه كهذه <sup>(١)</sup> .

---

(١) القصة مشهورة .



## فصل الأمانة

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا  
« قرآن كريم »

لا إيمان لمن لا أمانة له . ولا دين لمن لا عهد له

« حديث صحيح »

تحدث الاستاذ محمد جاد المولى ، في الجزء الرابع من كتابه  
« الخلق الكامل » صفحة ١٥٦ عن أثر الأمانة في اعلاء شأن  
الافراد والأمم وقال : « الأمانة هي ينبوع السعادة ومصدر  
الفلاح » . الخ .

والحق أن كتاب الاستاذ تحفة يجب على الاديب الاتخلو  
مكتبته منه .

لقد حدث الاستاذ جزاء الله خيراً على الاستمسك بالأمانة  
والمحافظة عليها ، الى أن قال : اعتصم الغريون بها ففازوا ،  
واستضاءوا بنورها فاهتدوا ، وترددوا في اسواقها فكسبوا ،  
وجمعوا بها الأموال ، وانفقوا عليها الشركات فأقاموا في بلادهم

الاعمال الجليلة . ووجدوا المستحدثات النافعة حتى صيروها جنة الدنيا وبهجة الناظرين .

ثم استدرك الاستاذ فقال :

« اما الشريون فصفرت منها يدهم<sup>(١)</sup> فباءوا بالخيبة ، فعلينا ان نستمسك بها لنحيا حياة طيبة »

لا شك أن الاستاذ جاد المولى لو اتاحت له الفرصة التي تمكنه من العلم بالحياة العربية على الوجه الصحيح ، لما جاء بعبارته هذه القاسية ، بل لبات عنده على ما اعتقد من الايمان الراسخ والقناعة السكافية ما يجعله يطمئن الى أن نقرأ من ناطقي الضاد ، من بلغت نفوسهم الزكية من التمسك بالامانة والتدرع بها أقصى ما تبلغه نفوس بني الانسان .

ان في فصل الامانة من كتابنا هذا نوارد حدثت من بعض افذاذ العرب وحقائق محسوسة مؤكدة ، ربما أن لا يتصور العقل حدوثها الا من طبقات الانبياء أو من هذا حذوهم .

ولو بلغ هؤلاء الأماناء الاتقياء من العلم بالصناعة الحديثة والثقافة

---

(١) ليس كل الشريين كما يزعم الاستاذ ، ولله يرى في هذا الفصل ما يسره ويجعله يعلم ان الغربيين لم يتقدموا بامانتهم ولكن بسعة اطلاعهم على اسرار العلم الحديث ، وكان الآخري به أن بحث على العلم ويرغب فيه فنحن صفر البدن منه .  
حقاً ، لا من الامانة كما يتخيل الاستاذ

العصرية بشتى فنونها ومعانيها ، ما بلغه رجال الغرب لسادوا  
مشارك الارض ومغاربها ، ولعادوا إلى قيادة الركب من جديد كما  
كانوا بالامس ذلك لأن مواهبهم الكامنة الأصيله وجواهرهم العريق  
ومعدن نفوسهم الطيب الخصب ، صالح للانتاج .

اذن فليس العرب بحاجة الى شيء في الدنيا أكثر من حاجتهم  
الماسة الى العلم الذي يصقل العقول وينير البصائر ويشحذ الهمم ،  
ويذكي شعلة الطموح ويخلق في نفس الفرد والجماعة قوة تؤمن  
بالحرية التي هي أسمى وأنبل وأشرف ما في الحياة .

وهب أن أمة ما ، بلغ أفرادها من الفضيلة والنبيل أقصى  
ما يصفه الواصفون ، ولكنها حرمت من العلم ، فأنى لها ان  
تستوفي مجدها كاملا وتناضل الاستعمار الفكري او الاقتصادي  
بايمان راسخ وعزيمة صادقة الا بقدر ما تستلهمه من نور العلم  
واليقظة والوعي .



## ١ - ضحى بماله دون كرامة رفاقه

قصة عايد التميمي الأولى حدثت عام ١٢٨٨ هـ

يعتبر عايد من أفذاذ شخصيات بلاده وهو كثيراً ما يمارس حرفة التجارة ، فيتاجر تارة بالمجوهرات ، فيذهب بحراً ليشتريها من ذوي الاختصاص بها، ويتاجر طوراً بالابل والغنم فيسافر براً ليلتاعها من البادية .

وقد دعت الحاجة هذه المرة ليشتري ابلًا من بادية سوريا ثم يذهب فيتاجر بها في بلاد مصر . فقصد قبيلة « السبعة »<sup>(١)</sup> حيث حل ضيفاً على رجل يدعى « حمد بن شتيوي » واشترى ما شاء الله أن يشتري من ابل ، ثم رحل من عند مضيفه قاصداً مصر . كان عايد قد ابتعد عن العرب وقطع مسافة غير قصيرة بعد ذلك هب مضيفوه وركبوا خيولهم وساروا خلفه يقتفون أثره . ولما ادركوه رحب بهم عايد ، وقد ادهشه لحاقهم به . ثم ساد الصمت حتى شربوا القهوة<sup>(٢)</sup> .

(١) عايد من ساكني مدينة عنيزة وهو تميمي النسب .

(٢) هي إحدى قبائل عنزة التي تقطن شمال سوريا .

(٣) من العادات المتخذة عند العرب أن المرء أو الجماعة إذا قصدوا شخصاً لغرض ما لا يتحدثون به حتى يشربوا القهوة .

وبعد ذلك أشعروا عايداً أنهم فقدوا خمسمائة ريالاً كانت  
مخبأة في صرة لونها كذا وموجودة في مكان كذا وواصلوا كلامهم  
إلى أن قالوا: وإنه لا يخامرنا الشك في امانة شخصكم الكريم  
وإنما أنت رجل في معيتك عشرات الرجال من الرعاة والمستخدمين  
فنخشى أنها وقعت بيد فرد من هؤلاء السوقة. لهذا نرجوا منك  
أن تسمح لنا فنفتش جميع قومك.

— عايد: « اطمئنكم إن هذا المبلغ محفوظ لدي بكامله ذلك  
أن أحد رعاة ابلي ناولني إياه وهو يزعم أنه وجده بين امتعتي  
فأخذته واحتفظت به وقلت في نفسي امران لا ثالث لهما: إما  
أن يكون هذا المبلغ لأحد عربكم، أو أنه أمانة وضعت معي لفرد  
نسيت أن اسجل اسمه. وقلت إن كان الأمر الأول فلا بد من أن  
يأتي صاحب المال ويسأل عنه. ولكن مضت مدة طويلة ولم  
يأت من قبلكم أحد. عند ذلك نفضت الصرة واحصيت ما فيها  
من الدراهم ثم أضفتها إلى ما عندي من الامانات وقد صبح عندي  
الأمر الآخر<sup>(١)</sup>. أما الآن وقد بان لي خطأ رأيي الأخير  
فتفضلوا باستلامها ».

(١) أي انها امانة مرسلة معه لتكون على سبيل المضاربة .

قام الرجل وسلم المدعين المبلغ كاملاً ثم انصرفوا الى اهلهم ،  
كما ان عايداً أولج قاصداً مصر لينبيع بضاعته فيها .

اما المدعون فقد اتضح لهم خطأ رأيهم بعد مضي مدة قليلة  
من الزمن وذلك انهم وجدوا دراهمهم بصرتها ملقاة في موضعها  
وعندما وجدوها <sup>(١)</sup> هناك شعروا بخطائهم مع ضيفهم كما ادرکوا أن  
الرجل سلم هذا المبلغ من ماله سترأً لعرض حاشيته وحفاظاً على  
كرامتهم أن يفتشوا واحداً واحداً . فضحى الكريم بهذا المبلغ  
صيانة لكرامة النفر الذين في معيته .

وخير وسيلة ركن اليها اولئك الذين ظلموا ضيفهم عن غير  
قصد هو ان اشترى بهذا المبلغ غنماً باسم (عايد) وتولوا رعايتها  
والعناية بها كما لو كانت اموالهم ، وبعد مضي ثلاثة سنوات قدم  
اليهم عايد ليشتري منهم ابلاً . هناك قام مضيفه الاسبق « حمد  
ابن شتيوي » وطرح نفسه بين يدي ضيفه عايد واعتذر عما بدر  
منه ، ثم اكد له ان المال الذي أخذه منه قد اشترى به غنماً وهذه  
الغنم قد طرح الله بها البركة حتى ربت وزادت .

— عايد : أنا لا استلم الغنم كلها وانما استلم رأس مالي فقط .

---

(١) يبدو انهم ما احسنوا التفتيش عنها من الاساس



— حمد : انها ليست ملكا لنا بل هي ملكك وقد بارك  
الله بها بسبب نيتك الطيبة .  
واخيراً كان الوفاق على أن تثنى تلك الاغنام فيطرح منها  
خمسمائة ريال رأس مال عايد فيأخذها وما تبقى يقسم بينهما على  
التساوي وتم الحكم بذلك ورضيه الطرفان (١) .



---

(١) القصة مشهورة .

## وفاء وامانة

### قصة صالح المجراد حدثت عام ١٢٨٩ هـ

(صالح<sup>(١)</sup> المجراد) شخص من حاشية الأمير بندر<sup>(٢)</sup> بن طلال ابن عبد الله بن رشيد . وفي الحين الذي قتل الأمير محمد<sup>(٣)</sup> العبد الله ابن أخيه بندراً كان صالح هذا غير موجود في تلك اللحظة ولكنه عندما بلغه الخبر ذهب فوراً الى قصر الإمارة الذي فيه اخوان بندر المحاصرون وهذا القصر من الأساس فيه بندر<sup>(٤)</sup> وإخوانه باعتباره قصر الحكم ولكنه عندما قتل بندر تخلى عن إخوانه كثير من حاشيتهم لأن الرأي العام الشعبي كانت أصواته مع محمد العبد الله القاتل لبندر .

---

(١) صالح من ساكني مدينة حامل .

(٢) هو الأمير الرابع الذي تولى الإمارة الرشيدية ١٢٨٥ هـ والتاريخ يعتبره اول مسؤول اعتدى على قطع الرحم بين الأسرة الرشيدية .

(٣) محمد تولى الإمارة سنة ١٢٨٩ هـ وتوفي ١٣١٥ هـ وعهده يعتبر هو العهد الذهبي الزاهر بالنسبة لامراء آل الرشيد بل هو البداية والنهاية في تلك الإمارة وهو يقتله لابن أخيه بندر يرى انه مقتصاً منه لأن بندراً قتل متعباً شقيق محمد وذلك سنة ١٢٨٥ هـ وكان مصرع بندر سنة ١٢٨٩ هـ .

(٤) اخوة بندر ستة هم بدر وسلطان ومسلط وعبد الله ونهار وثايف .

أما صالح المجراد فقد أراد اخوته أن يحجزوه لئلا يذهب الى  
اخوة بندر المحاصرين بقصر الامارة ولكنه اصر على أن يذهب  
الى ولاية نعمته وفي رواية أن اخوته عندما رأوا اصراره أرادوا  
أن يستعملوا القوة معه ويمنعوه قهراً ولكنه عندما رأى ذلك  
منهم قابلهم بالمثل وانتضى سيفه وقال : إني سوف اذهب الى  
القوم الذين لازال معروفيهم وفضلهم بعنقي واني عازم على ان اربط  
مصيري بمصيرهم حتى الموت ، فلما رأى اخوته اصراره وشدة عزمه  
تركوا سبيله فذهب للقصر ورفاقه في أشد الحصار : ولما طال عليهم  
الحصار وليس ثمة معين ولا ناصر هناك اضطروا أن يهربوا من  
القصر : وعندما قرروا ذلك قال : لهم صالح ، اذن اكون آخر من  
يفر من القصر من أجل أن أشغل العدو عنكم في المقاومة حتى  
تبلغوا مأمنكم ، فهربوا وبقي الى آخر لحظة في القصر ، ومما تجدر  
الاشارة اليه أنهم عندما يتسوا من المقاومة بل يتسوا من الحياة في  
تلك الحالة الضيقة أحضروا عقد لؤلؤ ثمين وقالوا هذا أمانة عندك  
ليكون لدريتنا من بعدنا فيما اذا أصابتهم الدنيا ، وبقي العقد عند  
هذا الوفي الأمين ، وابتى أن يسلمه لأولادهم عندما كانوا دون  
بلوغ سن الرشد . وشاءت قدرة الله أن يتوفى أولادهم جميعاً وهم



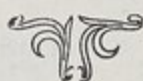
أحداث وكانت النتيجة ان يهلك جميع ورثة بندر ولم يبق لهم  
عاصب يرث تركتهم من الوجهة الشرعية اقرب من الأمير محمد  
العبد الله الذي هو عم لبندر الطلال<sup>(١)</sup> لهذا كان من وفاء صالح المجراد  
وامانته أن اخذ العقد وسامه بيد الأمير محمد واعلمه ان هذه امانة  
عنده وضعها اخوة بندر في تلك الساعة الضيقة عندما أرادوا الفرار  
واستلمت منه الامارة هذا العقد ولكن الأمير محمد كان حاقداً عليه  
من الاساس بصفته موالياً متفانياً بحجة الأمير الأسبق بندر واخوته  
لهذا وصل الحقد والغضب بالأمير محمد الى أن جعله لا يولي<sup>(٢)</sup> صالحاً  
عمالاً من أعمال الامارة مع انه لو ولاه لوجده وفياً أميناً وذلك وفقاً  
لحكمة العربي المشهور « معن بن زائدة » الذي تولى الأعمال في  
خلافة بني أمية كما تولاها من قبل بخلافة العباسيين وقد عاتبه الخليفة

---

(١) ربما يكون محمد من الوجهة الشرعية لا يصح ان يرث ابناء اخيه بصفته القتال  
لهم والقاتل شرعاً يحرم من الارث الا اذا اعتبر ان قتله لبندر ليس الا قصاصاً منه واخوته  
الذين بدأوا بالقتل لعهم متعب شقيق محمد فعلى هذا الاعتبار يكون محمد مقتصاً بقتله له  
ولاخوته ايضاً الذين تأمروا معه ، كما ان هناك وجه شرعي يحمل ابن مجراد يسلم هذا العقد  
لبيت مال المسلمين الذي يتولى رئاسته الامير محمد أي انه في حين تعذر وجود الوارث  
لتركة فرد ما فيكون هذا التراث ملكاً للحالة الاسلامية .

(٢) وقد سمعت من بعض الرواة ان الامير محمد تضاعف حقه عليه وغضبه عندما  
سلمه العقد لأنه ثبت لديه اخلاصه لحصمه وشدة وفائه لأعدائه — فالأمير فهم من احتفاظ  
صالح بالعقد انه كان يؤمل إعادة سلطان ابناء بندر وانما سلم العقد بعد ما ينس من عودتهم .

المنصور العباسي بقوله « انك يامعن اسرفت بوفائك للامويين »  
فقال : يا امير المؤمنين « ان الذي يفني مع الذي لا يرجي احق  
بالوفاء مع الذي يرجي » اما صاحبنا صالح المجراد فقد توفي منبوءاً  
ومبعداً عن الحكم ولم يتولى أي عمل من أعمال الأمير محمد  
ولكنه كان مرتاح الضمير مطمئن القلب فإن استطاع الأمير أن  
يجرده من جاهه ، فان أساطير التاريخ الخالدة ستكسو صالحاً  
حللاً قشبية أبدية لا تزول بزوال اصحاب السلطة الفانية .  
اجل : ان جاه السلطان سينزل يوماً من الدهر سواء طال  
الزمان او قصر ، اما القيم الاخلاقية فإنها ستبقى أبدية خالدة .



## امانة ورباطة جأش

قصة عايد التميمي الثانية حدثت عام ١٢٩٥ هـ

سافر التميمي هذه المرة بحراً قاصداً المتاجرة بالمجوهرات وكان معه نفر من التجار زملائه في المهنة . وقد اشترى كل فرد منهم ما شاء الله له من هذه البضاعة وعادوا جميعاً باحدى السفن البحرية . وفي اثناء مسيرهم هذا ظل كل فرد منهم يتحدث عن طيب بضاعته التي اشتراها وجودتها . وكان التميمي معجباً ببضاعته فجاء بمجوهراته واطلع رفاقه عليها ثم هم أن يعود بها الى حقيقته ولكن خادمه وضع بساط مائدة الطعام أمامه فأخذ التميمي المجوهرات ووضعها فوق الخوان<sup>(١)</sup> ومضى يتغدى ، وبعد أن انتهى من غدائه ذهب لغسل يديه وترك بضاعته كما كانت على طرف الخوان .

وبعد ذلك أتى خادمه وجمع اطراف الخوان وحمله بما فيه من فضلات الطعام والقايا في اليم . عاد التميمي ليأخذ مجوهراته

---

(١) الخوان : ما يؤكل عليه



فلم يجدها فسأل خادمه عنها فقال الخادم : لا اعلم شيئاً سوى انني  
اخذت الخوان والقيت مافيه من فضلات الطعام في البحر .  
— عايد : اذن اكتم الامر ولا يطلع على ذلك أحد .  
— الخادم : امرك يا سيدي

رجع عايد الى زملائه بكل هدوء ورباطة جأش . وبعد أن مضى  
ساعة على الحادث ذهب يسوم بضاعة رفاقه بمكسب ثلاثة بالمئة  
فأطلق الأول عليه البيع فالثاني فالثالث إلى ان اشترى جميع مجوهرات  
رفاقه في السفينة وتسليم الثمن طبعاً سيكون بعد وصوله البلاد  
فـكان بعمليته هذه حجز جميع اصناف المجوهرات عنده . ومن  
حسن حظ التميمي أن حصل للمجوهرات موسم عظيم فـكان  
ربحه بها مئة بالمئة ، وبعد أن كان رأس ماله عشرة آلاف جنيهاً  
ذهباً<sup>(١)</sup> أصبح الآن يملك أربعين ألف جنيهاً . ومما يدلنا على صفاء  
نفس التميمي وحسن نيته ذلك أنه ذهب الى محمد العسافي<sup>(٢)</sup> صاحب  
الالفني جنيه حيث صامه ستة عشر ألف جنيهاً .

دهش العسافي من هذا المكسب الذي لم يحلم به ولا كنهه

---

(١) اغني رأس مال مجوهراته التي القاها خادمه في البحر كان عشرة آلاف ومن  
هذه العشر الفان جنباً لصالح العسافي استلهاها التميمي من العسافي على نية ان يتجر بها  
التميمي والكسب بينها .

(٢) وهو ايضاً من ساكني مدينة عنيزة .

سرعان ما عزفت نفسه الطيبة الطاهرة عنه ، ذلك عندما شرح له التيمي الأمر: هناك رفض قبول المكسب كما رفض أيضاً قبول رأس ماله الأساسي لاعتقاده أن ماله الأسبق هو ضمن المجوهرات التي القاها خادم التيمي في اليم<sup>(١)</sup>

حاول التيمي أن يقنعه ليقبل المال ولكن العسافي رفض ذلك كما أن التيمي أيضاً رفض ابقاء المال عنده . وطفق الاثنان يتنازعان كل منهما يود أن يتجرد من هذا المال . وانتهى الأمر بأن ذهب المتنازعان الى القاضي

ادعى العسافي بدعواه وقال : ان هذا المال لا يحل له منه قليل ولا كثير وأن ماله الاساسي القاه الخادم في البحر . فقال التيمي نعم ان ماله ألقى في البحر ولكنني عندما اشتريت المجوهرات من زملائي التجار اشتريتها على اساس أن مالي باق وعلى هذا الاساس باع التجار بضاعتهم لي . ولو علموا أن رأس مالي القاه الخادم في اليم لا اعتبروني مفلساً ولكن من المستحيل أن يبيعوني من بضاعتهم شيئاً .

حكم القاضي بصحة ما ادعاه التيمي وامر العسافي باستلام المال وهكذا يبلغ سمو النفس والعفة بافذاذ الرجال . ولست أدري ايهما أعف نفساً ؟ وغاية ما اقول انهما فرسا رهان رحمهما الله .

(١) القصة مشهورة .

## أعاد الاقطار الى وريته البيت

حدثت في سنة ١٣٠٧

ذهب علي العبيد<sup>(١)</sup> إلى بيت الله الحرام ليسقط فريضة الحج وهم بالعودة إلى بلاده « حائل » وفي أثناء ذلك وجد في أسواق مكة تركة تباع لشخص من بلاد « طهران » قدم إلى مكة ووافاه أجله فيها ، وتولى مبيع متاعه جماعة من رفاقه الإيرانيين بمحضر من « مطوفه<sup>(٢)</sup> » ساكن مكة الذي أجعل اسمه .

هذا وقد ابتاع علي من حوائج هذا الإيراني متاعاً ، وضمن هذا المتاع كيس طحين . وعندما غادر مكة وشخص الى بلاده حائل ، دعت الحاجة وهو في سبيله أن يخبز من هذا الطحين فلما فتح الكيس سقطت منه صرة ضخمة فيها مبلغ من الدنانير عندما شعر علي بذلك ذهب ونادى جميع رفاقه في هذه السفرة وقال : أشهدكم على نفسي بأني وجدت بهذا الكيس دنانيراً وهذه

---

(١) علي العبيد هو رجل من جبل طي ، اي المدينة المسماة الآن « حائل » .

(٢) المطوف هذا هو شخص يسكن عنده الحجاج ويتولى العناية بهم ، وسكنهم

في مكة وفي منى وعرفات كما يتولى توجيه الحجاج وزياراتهم في المواضع المقدسة .



الدنانير ليست إلا ملكاً لورثة الإيراني صاحب الكيس ، وقد ترك علي هذه الأمانة كما كانت حتى أتى موسم الحج في السنة الثانية ، فذهب إلى مكة واتصل بمطوف الإيراني وأخذ يسأله عن اسم الإيراني وبلده واسرته . وذهب المطوف بدوره يسأل الحجاج الإيرانيين فوجد من يهديه عليه ولست أعلم هل كان بين هؤلاء الحجيج أفراد من أسرة الميت الذين يحق لهم وراثته تركته أم أنهم بعدما عادوا لبلادهم أخبروا أسرة الميت ومن بعد ذلك أتى الوارثون واستلموا الأمانة من علي . هذا أمر يخفاني تفاصيله كما أنه يخفاني أيضاً مقدار المال الموجود بهذه الصرة وإنما الذي عرفته أن المال مبلغ مغري . والمقصود أن علياً سلم هذا الجراب وما فيه لورثة الإيراني <sup>(١)</sup> .

---

(١) رويت هذه القصة من السفير عبد العزيز بن زيد وهي مشهورة خاصة عند أهل بلدة حائل .

## امانة متناهية

وقعت بين عام ١٣٢٨ - ١٣٣٢

قصد حج بيت الله الحرام شخص يدعى ابن جيليدان<sup>(١)</sup> عنزي النسب من الدهامشة ، فرمى به الفال الى ان مر بشخص يقطن قرية صغيرة تسمى « الحليفة »<sup>(٢)</sup> فوجد بها شخصاً يسمى ابن لویشان وهو عنزي النسب ايضاً ومن عرب السبعة ، فاحتاج الاول الى مخيط فاعطاه صاحب الحليفة « مخيطاً بغية أن هذا المخيط (عدولة) معناه أنه سيكون كأمانة عنده يتباعه وينميه وهذه العملية اكثر ما اشتهر بها ونجح هم افراد قبيلة عنزة لأنه امتاز نفر منهم بسلامة النية وشدة الامانة .

اخذ ابن جيليدان المخيط فلما قضى حاجته منه ابتاعه على فرد من عشيرته « بجزة » من الصوف ثم ابتاع الصوف واشترى بثمنه

---

(١) القصة مشهورة وانما لم اوفق لمعرفة اسم الرجل المؤتمن وغاية ما هنالك انه يقال له ابن « جيليدان » .

(٢) « الحليفة » قرية تقع شمال المدينة المنورة وجنوباً عن مدينة حائل .

صخلة فكبرت الصخلة وانجبت صخلة اخرى مثلها الى ان تناسلتا  
وبلغ المجموع رعتان من الغنم<sup>(١)</sup> ثم ابتاع بعضاً من هذه الغنم  
واشترى ابلا فبارك الله بالابل ايضاً الى ان بلغت رعتان ونهاية  
الأمر بلغ مجموع هذه الامانة رعتان من النوق وثلاثون جملاً وخمس  
من الخيل الجياد ورعتان من الغنم . والجدير بالذكر ان هذه  
الأمانة بلغت ما بلغت اليه من البركة ولا احد يعلم عنها شيئاً أبداً  
إلا الرجل الذي آمن عنده الخيط ، وعندما بلغت هذه الامانة  
الضئيلة ما بلغت من النمو والبركة أنذاك جمع المؤمن اولاده ونخبة  
من عشيرته وقال لهم : اني اشهدكم الله على أن هذا المال الذي  
ترونه من ابل وافراس وغنم كله ليس لي منه قليل ولا كثير  
وانما هو ملك لفلان ساكن قرية الحليفة وأصله خيط ابتعته ونميته  
حتى بارك الله به هذه البركة وأردف كلامه الشيخ الى ان قال :  
اني اخشى ان يتوفاني الله قبل أن يستلم صاحب الامانة امانته  
لهذا فاني عازم بعد الاعتماد على الله على أن اذهب بنفسني لأسلم  
الامانة الى اهلها .

\* \* \*

---

(١) الرعية من الغنم من مائة وعشرين وما دون .

(٢) الرعية من الابل هي من ستين ناقة وما فوق .



ولما كانت الحروب بذلك العهد قائمة على قدم وساق بين القبائل بعضها ببعض ، لهذا كان من الصعب أن يؤدي العزبي هذه الأمانة الى أهلها بدون أن يخاطر بنفسه ويعرضها الى المغامرة والتهلكة ، لأنه كان يقطن في الأراضي السورية وصاحب الأمانة في أرض نجد وبينه وبين صاحبه مسافة بعيدة وهناك قبائل معادية لقبيلته ، ولكن رغم هذا كله لم يعقه عائق من أن يرسم لنفسه خطة تدل على منتهى أمانته ووفائه ذلك أنه ترك هذه المواشي عند أهله وذهب بنفسه على ظهر راحلته حيث اخبر أهله بأنه مسافر من اجل أن يتصل بصاحب الأمانة فيخبره بماله ، وأكد لأهله قائلاً : « اني معرض نفسي للتهلكة ولا أعلم هل أتمكن من الاتصال بصاحب الأمانة ، أم اصادف بغزاة تقتلني فان قدر الله علي شيئاً من قضائه وقدره ، فانكم يا بني مسؤولون عن هذه الأمانة حتى تؤدوها الى صاحبها » .

بعد أن بلغ بنيه هذه الوصية ذهب مسافراً بمفرده قاصداً صاحب الأمانة ليخبره بها ، وعندما كان سائراً في سبيله صادفته غزاة من قبيلة شمر فوجدته لقمة سائغة فأخذت راحلته وتركت سبيله فرجع الى أهله راجلاً . والعجيب أنه لم تنثن عزيمة هذا

الأمين بل كر مرة أخرى قاصداً صاحب الأمانة ، ولكنه في عودته هذه قد احتاط لنفسه بالأمان والحماية أكثر من سفرته تلك التي أخذت راحلته بها ، ذلك أنه في هذه المرة عاد بصحبة المحمل « الشامي » <sup>(١)</sup> فاصبح الآن بحصن منيع لا خوف عليه ، ولا زال برفقة هذا الجيش حتى وصل قرية صاحب الأمانة ولست أدري هل وجد الشخص نفسه الذي أمنه « المخيط » أم أن ذلك توفاه الله ووجد ذريته ، هذا أمر لم أتأكد منه رغم اجتهادي وحرصني وإنما الرواية المؤكدة الذائعة تفيد أن الأمين بلغ صاحب القرية بما له عنده من المواشي التي نمت وتفرعت من ذلك الأصل الضئيل . وقد كان صاحب القرية قنوعاً كريماً حيث أنه رفض قبول جميع هذه الابل والافراس والغنم لنفسه ، بل انه قال للرجل المؤمن : « ان هذا الرزق قد ساقه الله بسبب نيتك الصالحة وجهودك الموفقة فعلى ذلك يجب أن نتقاسمه بينهما سوية ، فتقاسما الابل والغنم والافراس فيما بينهما » <sup>(٢)</sup>.

---

(١) « المحمل الشامي » هو كناية عن جماعة يحجون من القطر السوري ، وكانت تنزل حمايتهم الدولة العثمانية بفيالق من جيشها بحيث لا تستطيع العرب ان تمسهم بسوء حتى يؤدوا امناسكهم ويعودوا راجعين الى اهلهم .  
(٢) القصة مشهورة .

## امانة وورع

قصة عقلي<sup>(١)</sup> بن شبيب حدثت عام ١٣٣٧ - ١٣٤٣ هـ

كان لعقلي جار<sup>(٢)</sup> فرحل عنه ونسي عنده زناده<sup>(٣)</sup> فبقي محتفظاً  
بزناد جاره . وصدفة سافر ونفر من عربيه ليكتالوا من احدى  
المدن<sup>(٤)</sup> المجاورة لهم . وعندما نزلوا عن رواحلهم وشاءوا أن  
يطبخوا لأنفسهم طعاماً يقتاتون به احتاجوا للزناد ليشعلوا نارهم  
ولكنه لم يكن مع هذه القافلة زناد سوى الزناد الذي ترك شبه  
أمانه (عند عقلي بن شبيب) :

وأراد القوم أن يأخذوه من عقلي فلم يرض بصفته أمانه عنده  
فألحوا عليه لحاجتهم الماسة إليه فرفض إلا أن يشتروه منه فقبل  
القوم ذلك . فطلب عقلي أن تكون قيمة الزناد ضريبة موزعة  
عليهم أجمعين .

(١) عقلي عنزي النسب ، من قبيلة السبعة ومن فخذ القصة القاطنين شمال دمشق ،  
وصاحب الترجمة يت بصله رحم لزعيم قبيلة السبعة ونائبها في البرلمان السوري الحالي الشيخ  
وكان بن مرشد .

(٢) لم أوفق لمن يدلني على اسم جاره .

(٣) « الزناد » هو أداة تستعمل لايقاد النار وكان يقوم مقام الكبريت قبل اختراع

(٤) ربما كانت مدينة حمص إذ انها اقرب المدن لمنازل قبيلة السبعة .



وتم شراء الزناد على أن يدفع كل فرد من هذه القافلة حصة  
من طحين البر .

لقد كانت القافلة كثيرة العدد ، لهذا توفر عند عقلي كلية  
لا يستهان بها من الطحين فباعها واشترى بثمرها شاة وبارك الله  
بهذه الشاة وزاد بعد ذلك مال الأمانة حتى بلغ ستين نعجة  
وعشرين من الابل ، هذا وصاحب الأمانة لا يعرف شيئاً عما تم  
بها ، وربما كان نسي زناده ولم يخطر له ببال .

ولسكن ( عقلي ) كان أميناً ورعاً حيث ذهب يسأل عنه حتى  
وجده فسلمه الابل والغنم وذلك بعد مضي عدة سنوات من تركه  
للزناد عنده<sup>(١)</sup>



---

(١) رويتها من الشيخ مجهم بن مهيد رئيس عشيرة الفدعان حالياً وولده نواب  
العشيرة في البرلان السوري وهم النوري وتركلي .

## اسلم الامانة لاهلها وهم له اعداء

قصة غنام الشباطي<sup>(١)</sup> الغريزي حدثت عام ١٣٣٨ هـ

أودع عبدالعزيز<sup>(٢)</sup> العريفي غنماً عند الشباطي فنمت هذه الغنم وكثرت وشاء المؤمن أن يسلم الأمانة لصاحبها، ولكنه لم يتمكن من الاتصال به إذ أن بلده حائل كانت مطوقة من قبل المغفور له الملك عبد العزيز وجنوده الاخوان .

وكان الشباطي ممن يؤمن بمبدأ الاخوان فهو على هذه الحالة أصبح لا يستطيع أن يأتي للبلاد التي فيها العريفي صاحب الأمانة فحار الرجل بالأمانة لا يعرف كيف يفعل بها . وبينما كانت حيرته على أشدها هجم عليه أفراد عشيرته قاصدين نهب هذه الغنم على اعتبار أن العريفي الآن أصبح في الجبهة المعادية لعشيرته فتكون هذه الغنم على رأيهم غنيمة لهم يتقاسمونها وكل يأخذ نصيبه منها .

فلما رأى الشباطي عزيمة قومه على سلب الأمانة، لجأ إلى

(١) غنام من قبيلة شر .

(٢) عبد العزيز من سكان بلدة حائل واسرته من الأسر المشهورة في البلاد . توفي

رحمه الله عام ١٣٥٢ هـ .

الحيلة ، فلم يبد لهم أي معارضة لرأيهم بل تظاهر بأنه مستعد أن  
يسلم الغنم إليهم ليتقاسموها غنيمة كما يزعمون ، ثم أسرع فساق  
الأغنام وشخص إلى مدينة حائل ليسلم الأمانة لصاحبها . فلما دنا  
من المدينة قبض عليه جنود أمير حائل وعذبوه أشد العذاب حيث  
اتهموه بأنه جاسوس لعشيرته على إمارة الرشيد . وبعد التعذيب  
والتنكيل شفع له صاحبه العريفي من بطش الأمير الذي سجنه  
وهدده بالقتل . وبعد أن سلم أمانته لصاحبها عاد إلى عشيرته فلقى  
منهم الجفاء والهجران واتهم عندهم بالنفاق . ولكنه لم يبال بأقوال  
هؤلاء ولا أولئك وإنما كان همه أن يؤدي أمانته ليطمئن ضميره  
العفيف الورع الطاهر <sup>(١)</sup> .




---

(١) رويت هذه القصة من السفير عبد العزيز بن زيد كما حدثني بها سليمان بن  
عبد العزيز العريفي صاحب الغنم .



## ٢ - ضحى بماله دون كرامته

وقعت بين عام ١٣٤٠ و ١٣٤٥ هـ

شاء بدوي من بادية بلدة «الرياض» أن يضع أمانة من الدراهم تبلغ خمسمائة ريال فرنسي فاختار شخصاً يسمى ابراهيم البصري من أهالي «مدينة الرياض» فوضع هذا المبلغ عنده . ثم ذهب الى أهله في البادية . وبعد مضي مدة من الزمان عاد البدوي الى الرياض وذهب الى شخص بجوار دكان صاحبه يطالبه بالمبلغ معتقداً أنه هو صاحبه الذي وضع عنده الأمانة ، وهذا الشخص يسمى ( عبد الرحمن بن محمد آل الشيخ ) ، حاول ابن الشيخ أن يقنع البدوي ويوضح له غلطه ولكن البدوي يزعم أنه لا يشك أبداً بأن المبلغ عنده ورأى ابن الشيخ أن محاولته شيء يجعل البدوي يشك بأنه يحاول أن يوهمه بغير الحق ليختلس أمانته .

هناك فكر ابن الشيخ فرأى أنه بين أمرين : إما أن - يطول الجدل بينه وبين هذا البدوي وينتهي بأن يذهباً إلى - القاضي

ويتخاصم عنده وهذا شيء لا تقبله شيمة عبد الرحمن ابن محمد بصفته  
 من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد الدعوة الإسلامية ولا يليق  
 بمكانته العلمية والاجتماعية، ولا يرضى أن يتحدث عنه مجتمعه أنه  
 اتهمه بدوي بإنكار أمانته مع علمه اليقين بأنه سوف يدحض حجة  
 البدوي وذلك أن الحكم الشرعي في مثل هذه الأمور صريح  
 فالمرع عليه الصلاة والسلام يقول : « لو يعطى الناس بدعواهم  
 لادعت رجال دماء قوم وأموالهم والسكن البيضة على المدعي واليمين  
 من انكر » فعلى هذا لا يستطيع البدوي أن يثبت على ابن الشيخ  
 ما يدعيه كما أن ابن الشيخ لا يطالب بغير القسم ، ولما كان يعلم  
 من نفسه البراءة كان بإمكانه أن يقسم اليمين ويخلص نفسه من  
 هذا المأزق الحرج . ولكن نفسه الكريمة أثبت ذلك لأن فيه  
 مجالاً لأقوال الفضوليين من قيل وقال والشاعر العربي يقول :  
 قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً

فما اعتذارك من قول إذا قيل  
 إذن كان يتحتم عليه الأمر الثاني وهو أن يضحي بماله دون كرامته  
 وإن كانت كرامته عزيزة موفورة ولكن سداً للزريعة واتقاء  
 للشبهات والمرع عليه السلام يقول : « من اتقى الشبهات فقد

استبرأ لدينه وعرضه» فعلى ذلك استحسن أن يسلم البدوي خمسمائة ريال وهو طيب النفس مع العلم أن هذا المبلغ في ذلك العهد يقابل عشرات الألوف في عهدنا هذا، لأن اكتساب عشرات الألوف في عهدنا الحاضر أمر يسير خاصة في مدينة الرياض التي تضاعفت فيها أرباح التجارة إلى حد لا يسعنا التعبير عنه بحال من الأحوال، لا سيما في الأراضي والعقارات، لهذا أقول: إن هذا المبلغ الذي سلمه هذا الرجل البريء الكريم لهذا البدوي ربما يكون نصف رأسماله إن لم يكن كله.

ذهب البدوي إلى عشيرته وبقي في صحرائه سنة كاملة لم يأت بها إلى الرياض. وبعد مضي هذه المدة عاد إلى الرياض وبينما هو مار في قلب الشارع الذي يقع فيه دكان صاحبه، ناداه - صاحبه الأول وقال له: «ألست فلاناً الذي وضع عندي الأمانة في سنة كذا؟ قال البدوي: نعم. قال: ولم تتركها عندي كل هذه المدة؟ أرجو أن تستلمها مني وتريحني منها لأن مدتها طالت عندي والمرء في هذه الحياة عرضة للآفات والحوادث الطارئة وإنني أخشى أن - يأتيني أمر أو أن يحدث بهذه الأمانة شيء لا أرضاه لنفسى - كما أنك لا ترضى أن يكون مالك عرضة للخطر والحوادث المفاجئة».



دهش البدوي من حديث صاحبه ، وخرج فوراً إلى صاحب الدكان الثاني ليتحقق من خطيئته فوجد الشخص الذي أخذ منه المبلغ في العام الماضي جالساً في دكانه ، عند ذلك تيقن أنه ارتكب خطأً كبيراً بعمليته تلك وافترائه على هذا الرجل الكريم . ولكن ماذا يفعل ؟ فقد مضى الأمر وانقضى .

أخذ يبد صاحبه الأول وهو ابراهيم البصري وقال : « أرجوك أن تسلم أمانتي هذه لجارك لأنني اقترضت منه ما يقابلها » .

أخذ البصري الأمانة وسلمها لابن الشيخ وقال له : إن هذا المبلغ أمرني به البدوي فلان أن أسدّدك إياه مقابل سلفة اقترضها منك . لم يذكر ابن الشيخ أنه أقرض بدوياً هذا المبلغ ، فردّ على جاره وقال إنك مخطيء أنت والبدوي لأنني لا أذكر شيئاً من هذا القبيل .

وبينا ابن الشيخ وجاره يتداولان الحديث ، في تلك اللحظة دخل البدوي<sup>(١)</sup> عليهما وانحنى على رأس ابن الشيخ يقبله ويعتذر منه هذا والبصري لا يعلم ماهو الأمر ولكنه قد اتضح له فيما بعد .

---

(١) كنت اغنى لو عرفت اسم البدوي أو اسم عشيرته على الأقل ولكنه قد تعذر علي ذلك .

أقول : من صلاح نية عبد الرحمن بن الشيخ وتوفيقه أن قضيةه كانت مع بدوي أمين ولو لم يكن البدوي صاحب أمانة لأخذ المبلغ من البصري وسكت عليه ولاكن شاء الله أن يرد البدوي مال هذا الشريف الامين عليه ، كما شاء أن يبقى له ذكرى عمله الطيب خالداً أبداً . ومن التوفيق ايضاً أن البصري أمين ورع ولو لم يكن ذلك لسكت .

حينما ذكرت هذه القصة للشيخ عبد العزيز ابن زيد<sup>(١)</sup> اسمعني قصة من نوعها حدثت بين ضابط من ضباط الأتراك في العهد (العثماني) وبين تاجر من تجار دمشق .

دخل الضابط التركي إلى أحد الحمامات العامة ، وكان يعتقد أن في جيبه ثلاثمائة (غازي)<sup>(٢)</sup> مربوطة في منديل أحمر ، ثم نزع ألبسته وتدرع في مناشف الحمام فلما استحم وانتهى ، ذهب بعد ذلك إلى — ألبسته وأخذ يبحث قبل كل شيء عن الغوازي التي كان يظن أنه دخل الحمام وهي موجودة في جيبه . ففتش في جيوبه فلم يجد شيئاً ، فصاح في صاحب الحمام قائلاً : إني سرقت فسأله صاحب الحمام ماذا سرق منك ؟ قال : كذا مبلغاً من المال مربوطاً

(١) سفير المملكة العربية السعودية في دمشق حالياً .

(٢) الغازي في ذلك العهد هو بمثابة نصف جنيه عثماني حسب ما يقال .

في منديل أحمر . قال صاحب الحمام : اننا سفتخذ التدابير التي تمكنا  
 من إدراك ما فقد ، وهذه التدابير ، هي أن لا يخرج أحد من الحمام  
 إلا بعد التفتيش الدقيق له . ومما زاد إيمان صاحب الحمام بأن هذه  
 العملية كفيلة بالوصول إلى الغاية ، ذلك انه متأكداً أن هذا الضابط  
 من حين دخل الحمام لم يخرج من الحمام أحد كما أنه لم يدخله من  
 بعده الا رجل واحد وهو شيخ السروجية المدعو محمد سعيد ،  
 ولما خرج الشيخ السروجي من الحمام وجد عند صاحب الحمام ضجة  
 غير طبيعية . فسأل عن السبب فأفيد أن الضابط التركي سرق من  
 جيبه ثلاثمائة ( غازية ) ومن المصادفة الغريبة أن السروجي كان  
 يحمل معه نفس المبلغ فوق في نفسه ما وقع . ولكنه قال : لعل  
 أسأل الضابط عن لون المنديل الذي صرفه المبلغ . فسأله فأفاده  
 الضابط بوصفه واذا هو صورة طبق الاصل للمنديل الذي يحمله .  
 شعر السروجي بعد ذلك أنه وقع في التهمة لاسيما وهو داخل  
 بعد الضابط كما أنه نزع ألبسته بقرب ألبسته ، فلم ير بداً من أن  
 يأتي للضابط فيقول له ابشر إن دراهمك عندي وذلك إني  
 وجدت ما واقعة على الأرض فالتقطتها واحتفظت بها .  
 وسلم للضابط المبلغ صيانة لشرفه وذهب الضابط إلى ثكنته



ليضع هذا المبالغ الذي ضاع منه في مكانه .

ولكن عندما فتح صندوقه ، وجد المبلغ بمكانه كما يعهده .  
عند ذلك أدرك أنه مخطيء وأن السروجي سلم هذا المبلغ حفظاً  
لشرفه وسمعته ، فذهب فوراً إلى السروجي وسلمه ماله واعتذر منه .  
وهكذا التاريخ يعيد نفسه . ولكنني أعتقد أن حادثة عبد  
الرحمن بن محمد بن الشيخ أعظم من هذه الحادثة . وإن كانتا —  
متشابهتين من حيث المعنى ولكن الأولى تمتاز على الأخرى بشيء  
واحد وهو أن البدوي لا يستطيع أن يدين ابن الشيخ في البيئة  
الشرعية فيما لو ذهب إلى القاضي وأبدى كل منهما حجته . أما —  
السروجي المسكين فإنه مرغم على عملية هذه ؛ فإنه لو لم يفعلها  
مختاراً فإن الشارع ربما يرغمه إرغاماً بحكم القرائن التي تدنيه من  
شتى الوجوه <sup>(١)</sup> .

---

(١) أخبرني أحد الإخوان أن حفيد شيخ السروجية الذي جرت له القصة هو  
الاستاذ عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي واستاذ اللغة العربية في كلية الآداب  
وقد زرته في بيته فأكد لي القصة ورواها لي بالتفصيل كما وردت في السياق وأفادني بأن القصة  
جرت في نحو سنة (١٢٥٠ هـ) والمقام الذي جرت فيه هو حمام «السلسلة» الباقي إلى الآن  
في دمشق .

## أجرة الأجير

حدثت سنة ١٣٤٠ هـ

هذه قصة فرهود بن هنداء مع راعي غنمه «الحديدي» وفرهود هذا عنزي الأصل من «أسبعة» عرب سوريا لا سبيع عرب نجد، من فخذ يسمى «الدوام» وهذا الفخذ يتفرع من «العبد» والعبد<sup>(١)</sup> قبيلة كبيرة تتفرع منها أسبعة. وقد استأجر فرهود شاباً من عشيرة الحديدين<sup>(٢)</sup> من فخذ يسمى «الأبرز» ليرعى غنمه مدة معينة يدفع له عليها جعلاً معلوماً إما من المال أو من الماشية.

ولقد رعى الحديدي غنم فرهود مدة لا أعلم مداها من الأيام وإنما الذي علمته من الشخص الذي روى لي القصة وهو «جوال ابن وايل»<sup>(٣)</sup> : إن الأجرة التي استحصلها الحديدي من «فرهود»

---

(١) العبد : يقدرُون بألفي بيت يرأسهم ابن هديب .

(٢) الحديديون : يرأسهم ابن كرخ .

(٣) هو الذي روى قصة كلب الدهمشي مع صاحبه السبيعي . راجعها في صفحة

١٦٠ من هذا الكتاب .

عبارة عن حملين صغيرين ، وذهب الحديدي وترك هذين الحملين عند « فرهود » « عدولة » أي أمانة ومضت سنون وهذان الحملان ينموان وما زالت تتضاعف بركتها<sup>(١)</sup> مع الأيام حتى بلغ العدد سبعين نعجة وتسعة من الابل وذلك بعد مضي مدة لا تتجاوز خمسة وعشرين سنة .

فلما نمت عند « فرهود » هذه الماشية ما وسعه آنذاك إلا أن يسمى سعيًا حثيثًا للبحث عن صاحب هذه الأمانة . وظل « فرهود » ينتقب عنه وما برح يسأل بإلحاح حتى تأكد أن الشخص توفي إلى رحمة الله ، عند ذاك سأل عن ورثته فوجد لصاحبه أخًا فما كان منه إلا أن سلمه جميع الغنم والابل .

وهذه القصة تذكرنا بما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن رسول الله ﷺ : « أن ثلاثة نفر قد انطلقوا حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فأنحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار . فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم » فدعا الأول بیره بوالديه فانفجرت الصخرة

---

(١) من الواضح ان هذين الحملين لا يزيدان نمواً فيما لو تركهما « فرهود » كما هما . ولكنه كان عندما يكبر الواحد منها يبذله بشاة او يبيعه ويشترى عوضاً عنه شاة من اجل النسل والنمو وهكذا دواليك حتى وصلت الغنم إلى ما وصلت إليه من الوفرة والنمو .



شيئاً لا يستطيعون الخروج منه . ودعا الثاني بعفاه الله  
فانفجرت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها . وقال  
الثالث : « اللهم استأجرت أجراً وأعطيتهم أجراً غير رجل واحد  
ترك الذي له وذهب ، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال  
فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله أد إلي أجري فقلت : كل  
ما ترى من أجرك : من الابل والبقر والغنم والرقيق . فقال :  
يا عبد الله لا تستهزئ بي ! فقلت : لا أستهزئ بك ، فأخذه كله  
فاستاقه فلم يترك منه شيئاً . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء  
وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفجرت الصخرة فخرجوا يمشون .»  
لقد رسم رسول الله ﷺ في هذا الحديث الشريف لأصحابه  
بقصة هؤلاء الثلاثة أرفع مثل في البر والعفة والأمانة .. فما أروع  
أن يصل أحد أفراد أمته في عصر متأخر في الأمانة إلى مستوى  
ذلك المثل الرفيع <sup>(١)</sup> !



(١) رويت القصة من جوال بن وايل السيمي .

## قابل الله الطمع

وقع عام ١٣٤٨ - ١٣٤٩ هـ

يوجد قرية من قرى مدينة « حائل » اسمها « فيد » - وأكثر سكانها من بني تميم - أودع أحد السكانها حملاً من الضأن عند شخص يدعى « سامان الصل » من قبيلة عنزه من الدهامشة وقد وضع المؤتمن هذا « الحمل » ضمن غنمه ورعاه بعناية لا تقل عن عنايته بماشيته إلى أن بارك الله بهذا الحمل حتى كبر وصار كبشاً فبدل الكبش بنعجة فأنجبت هذه النعجة غنماً بلغت بركتها إلى حد أن ابتاع منها الرجل المؤتمن عدداً كثيراً ووضع مكانها « نوقاً » فتناسلت هذه النوق إلى أن بلغت خمساً وسبعين ناقة كما بلغ ثمن أوبارها وثمان بعض ما ابتاعه منها مقدار مائة وستين جنيهاً عثمانياً .

وبعد أن بلغت البركة إلى هذا الحد لم يسع هذا الأمين إلا الذهاب إلى صاحب الأمانة أي ساكن القرية حيث سلمه سبعين ناقة كما ذكرنا وخمساً وستين جنيهاً عثمانياً .

ومن المؤسف أن صاحب القرية <sup>(١)</sup> لم يعامل هذا الأمين الورع بما يستحقه من التقدير والانصاف ولم يهبه شيئاً يقابل جهوده وأمانته من هذا المال الذي أتاه وهو لا يحلم به وربما وهبه بعضاً منه .

عاد الأمين إلى أهله وبينما هو في سبيله عائدًا مر على بلدة « حائل » ودار الحديث بينه وبين أحد سكانها فقص الأمين قصته عليه فأرشده الرجل إلى أن يقيم دعوى على صاحب القرية وفعلًا رفع الأمر إلى أمير البلاد « عبد العزيز بن مساعد » والأمير بدوره أحال الدعوى إلى القاضي الشرعي وهو في ذلك العهد المرحوم « الشيخ عبد الله بن بليهد » <sup>(٢)</sup> فاستدعي صاحب القرية من قريته وجرت المحاكمة بينه وبين صاحبه الأمين فحكم القاضي بأن يأخذ البدوي الأمين نصف الابل والجنهات مقابل أتعابه ويترك النصف الأخير لصاحب القرية .

ولو أن صاحب القرية كان منصفًا قنوعًا وأعطى البدوي عشرًا من الابل والذهب لقنع لأنه في الأصل قانع ولم يخطر بباله أن يأتيه هذا المبلغ . ولكنه الطمع قاتله الله <sup>(٣)</sup> .

(١) لم أوفق لمعرفة اسم ساكن القرية .

(٢) « ابن بليهد » من علماء الجزيرة الافذاذ توفي غفر الله له عام ١٣٦٩ بمدينة الطائف .

(٣) القصة مشهورة .



## أُمَمَاتُ بَلْعِ أَجَلِهَا قَرْنٌ

في عام ١٢٥٨ هـ أودع أمير بلدة « بريده » المدعو عبد العزيز الحمد ناقة عند شخص يدعى « طلق الشعيلي » من قبيلة عنزه من نخذ يسمى السويلمات وذلك في الحين الذي كانت قبيلة « طلق » تفتن أراضي نجد وقد ات ظروف كان من شأنها أن نزلت هذه القبيلة واستوطنت الأراضي العراقية فبعدت أراضي صاحب الأمانة عن المؤتمن ، هذا والمؤتمن لا يزال معتنياً بأُمَمَاتِهِ أَشَدَّ العناية إلى أن بارك الله بها ونمي الخير منها نمواً سنذكر مقداره في آخر القصة .. وقد توفي كل من عبد العزيز صاحب الأمانة وطلق الذي أودعت عنده الناقة ، ولم يبق إلا أحفادها ، وبعد ذلك قدم أحفاد « طلق » إلى « بريده » حيث وجدوا أحد أحفاد عبد العزيز صاحب الأمانة المدعو عبد الله ابن عبد المحسن بن عبد العزيز فسلموه ثمانين ناقة وثلاثاً من الخيل الجياد ، وفي عام ١٣٥٠ هـ سلم أحفاد المؤتمن لأحفاد صاحب الأمانة عشرين ناقة وأربعين نعجة .

---

(١) بريده إحدى مدن نجد والقصة رويتها عن عبد العزيز العبد الله الحصير وهو يزعم أنها مشهورة .

## من مصادر فآآ الحديث

قصة كليب العنزي الدهمشي من فآخذ آل عياش  
مع صاحبه السديعي

هذه القصة تلقيتها مبدئياً من الشيخ « ركان<sup>(١)</sup> بن مرشد »  
في السفارة السعودية في تاريخ ١٥/٦/١٣٧٤ هـ - ٧/٢/١٩٥٥ م  
وقد كان الحديث بين السفير (عبد العزيز المحود بن زيد) وبين  
الشيخ « ركان بن مرشد » يدور حول أخلاق العرب وما يتصفون  
به من صفات سامية كالأمانة والوفاء بالعهد وحسن الجوار وما  
إلى ذلك . وقد كان السفير يروي للشيخ « ركان » قصة<sup>(٢)</sup> عنزي  
من فآخذ الدهامشة وقعت له مع (راع الحليفة<sup>(٣)</sup>) وفيها بلا شك  
ما يدل على احترام الأمانة في خلق العربي . وعندما انتهى السفير  
من رواية القصة بإيجاز ، قال الشيخ ركان : أريد أن أروي لك :

(١) ركان رئيس عشيرة السبعة ونائبها بالبرلمان السوري حالياً .

(٢) هي قصة مشهورة راجعها في هذا الفصل صفحة « ١٣٩ » .

(٣) الحليفة قرية تقع شمال المدينة المنورة .

قصة قرية العهد فأصغى السفير لاستماع ما يرويهِ الشيخ فقال  
 «ركان» : من مدة اسبوعين كنت في صحراء المملكة السعودية  
 اصطاد غزلانا على متن السيارة . وفي أثناء مسيري هذا وجدت  
 « خرجاً » مطروحاً في الصحراء فأوقفت السيارة وأمرت السائق  
 أن يأخذ هذا الخرج فأخذه وإذا به خرج بدوي فيه أشياء تافهة  
 تدل على أن هذا الخرج لفرد ما من البادية . قال ثم سرنا قليلاً  
 فوجدنا ( شداداً ) مطروحاً أيضاً في الأرض قال ثم تابعنا  
 المسير ولكن ضميري كان غير مرتاح لمسيرنا هذا لأنني خفت  
 أن يكون صاحب هذه الأشياء رجلاً طرحته مطيته في الأرض  
 كما طرحت هذا الشداد والخرج عن ظهرها . قال : فعند ذلك  
 أمرت قائد السيارة أن يعود من حيث أتى ، فلما وصلنا الموضع  
 الذي وجدنا فيه الخرج بقيت أنا ورفاقي في السيارة يعد كل فرد  
 منا بصره ونقّب عن الشخص صاحب الخرج والشداد فرأينا  
 يياضاً يلوح على البعد فلما دنونا منه وجدناه شخصاً مرمياً على قفاه  
 فاقد الشعور . قال الشيخ : فحاولنا أن نبحث معه لنعلم من هو ؟  
 ومن أي قبيلة يكون حتى نحمله ونوصله إلى عشيرته ؟ وليكن

المسكين لم يكن لديه من القوى العقلية ما يجعله يفيدنا بشيء مما نريد وذلك لشدة ما أصابه من الألم .

يقول الشيخ وبينما نحن على هذه الحال نظر إليه أحد الرفاق وهو المدعو « جوال بن وايل » وقال له أأنت فلاناً ؟ قال المنكوب بلى بصوت خافت ضئيل . يقول ركان : قلت لصاحبي : متى كانت معرفتك به ؟ فأجابني بأنه عرف هذا الرجل منذ ستة أشهر . وذلك أنه ساقه القدر ونزل ضيفاً عنده أي عند ( جوال ) وكان في أثناء ضيافته يسأل عن شخص من عرب السبعة وهو رجل كان اشترى منه عشرين من مدة تريد على ثلاثين سنة . وبعد أن دفع ثمنهما انطلقت واحدة منهما وضاعت من يد المشتري فبقيت الثانية قلقة لفقد رفيقتها . فخشي المشتري أن تضيع الأخرى وتلحق سبيل الأولى . لهذا اضطر إلى أن يترك العنزة الثانية عند صاحبيهما البائع لتكون « عدوله »<sup>(١)</sup>

لقد كان الشيخ ركان يسرد هذه الحادثة على مسمع من

---

(١) العدولة هي شبه أمانه توضع عند فرد ما من عرب البادية إما نعمة أو عنة أو أقل من ذلك أو أكثر . المقصود أن هذه الأمانة يضعها صاحبها عند الشخص الذي يكون مظنة للأمانة وهذا الشخص يحرس على حفظها وتنميتها أكثر من حرصه على ماله : والمؤمن يكون من حقه أن يتمتع باستقلال ابن رستم وصوف هذه الأمانة أبلاً كانت أو غنماً .



السفير ابن زيد وكاتب هذه الأحرف جالساً ، فالتفت إليّ السفير فأشار بقوله إن هذه الحادثة من الأمور التي يحرص على تدوينها فلان - يعني - وكنت قد أعددت الورقة والقلم لكتابة القصة لأنهم من الحوادث التي من واجبي أن أسجلها في حقل (انفس الحوادث). وعندما انتهى الشيخ ركان من رواية الحادثة طلبت منه اسم الشخصين المؤمن والمؤمن . كما طلبت منه أن يفيدني عن مقدار ما بلغ نحو هذه الأمانة في هذه المدة فأجاب الشيخ « ركان » بأنه لا يعرف عن ذلك شيئاً غير أنه أرشدني إلى الرجل الذي يعرف القصة من أساسها . وهو المسمى « جوال بن وايل »<sup>(١)</sup> المقيم حالياً بدمشق في فندق الأندلس الكبير . وبما أنني كنت شديد الشغف والحرص على تسجيل أمثال هذه الفضيلة ذهبت في الغد إلى الفندق المذكور . فوجدت به رجلاً غريباً جالساً في صالة الفندق وعلى محياه طابع الصدق والوقار . كما وجدت الشيخ ركان الذي أرشدني إلى « جوال » . فدنوت منه وسألته عن القصة فرواها لي كما رواها لنا من قبل الشيخ ركان . فعدت

---

(١) جوال هو من عشيرة عنزة من فخذ العبداء وهو رئيس عشيرة الرماح . ويبلغ عدد العرب الذين يرأسهم تسعين بيتاً .

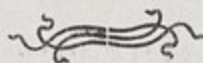
أسأله عن اسم الشخص المؤمن - أي الذي أودعت عنده العزان - قال اسمه «كليب» ولا علم لي باسم أبيه كل ما أعرفه أنه يدعى «كليب» من أصل اعنزي<sup>(١)</sup> من الدهامشة. ومن فخذ يسمى آل عياش. سألته عن عدد الماشية التي نمت وترعرعت عنده من الأصل الذي كان أساسه تينك العزان<sup>(٢)</sup>. قال جوال إن كليباً عندما ضافني كان معترفاً لي إن اتينك العنزين نمتا إلى أن بلغنا خمسين نعجة وخمسة عشر من الإبل ودراهما لا يذكر «جوال» عددها.

عدت أستفهم من «جوال» عن اسم الرجل السبيعي الذي أودع هاتين العنزين عند كليب الدهمسي قال «جوال» إنه لا يعرف اسمه لأن كليباً عندما ضافه ما استطاع أن يهتدي إليه لأن القضية كما أسلفنا لها ثلاثون سنة وكليب في الأصل ما كان يعرف اسم صاحب الأمانة وغاية ما يعرفه أنه من عرب السبعة ولديه فرس حمراء. هذا كل ما يعرفه عن صاحب الأمانة.

يقول جوال: لا أستبعد أن كليباً إلى الآن لم يهتد إلى صاحب

(٢) هي في الأصل عنزة واحدة على اعتبار أن الثانية ضاعت. ولكن يروى جوال عن كليب أن تلك العنزة لما ضاعت وجدها عند فرد من عرب قبيلة واران الذي وجدها عنده أن يبيعها لنفسه ولكن كليب ادعى أنها أمانة عنده فأخذها منه بالقوة بعد مقاومة عنيفة.

العزيرين فهو لا يملك أدلة قاطعة يستطيع على هداها أن يصل إليه .  
وقد سألت الشيخ « ركان » عن الرجل « المدعو كليياً »  
الذي وجدته ملقياً على الأرض ، سألته ماذا تم في أمره .  
قال ركان إننا حملناه معنا في السيارة حتى وضعناه عند عشيرته  
وذلك آخر العهد به :



## فائمة لم نزع البهرا

في تاريخ ١٣٧٥/٦/٧

عندما كنت في دائرة عملي في السفارة السعودية في دمشق في تمام الساعة الحادية عشر فرنجيا من التاريخ المشار اليه هناك دق جرس الهاتف فتناولت الساعة لاستوضح من هو المخبر ؟ فإذا به الأخ ( سليمان البراهيم القاضي )<sup>(١)</sup> وبعد تبادل الحديث افادني الأخ أن لديه عزيمة سفر الى مدينة « جده » في صباح الغد ، كما أبدى لي شعوره الطيب فيما إذا كان لدي حاجة هناك ، فإنه الاخ المتواضع الذي يقوم بقضاء حوائج أخوانه بضمير مطمئن ونفس متواضعة ، ولقد شكرت الأخ القاضي على نبلة وتواضعه الذي لا يستغرب منه كما أفدته بأن لا بدلي من حاجة عند شخص في (جدة) وأكدت له بأني سأمر عليه في دكانه مساء لأوضح له كنه حاجتي هناك ، وتنفيذاً للوعد ولضرورتي له ، ذهبت إليه

---

(١) سليمان من مدينة عنيزة ومن أسرة القضاة الذين نبغ منهم الشاعر الشعبي المشهور محمد العبد الله القاضي المتوفي عام ١٢٨٥ هـ وهم تميميون النسب وأسرته من أشهر الأسر العريقة في بلادها وسليمان حالياً مقيماً في دمشق يمتحن حرفة التجارة .



وسامته رسالة مفتوحة، وطلبت منه أن يقرأها ليفهم ما تحتوي عليه من الغاية ليتولى تنفيذ مضمونها فيما اذا وصل « جده » وكانت الرسالة موجهة للتاجر في جده وهو الأخ عبد الله العلي البسام الذي استوضح منه إفادتي عن قصة أمانة تستحق الذكر . كان لها صلة بين البسام وبين شخص آخر ، وحيث أن الشخص الذي رويت عنه القصة غير ملم بها من الناحية التاريخية ولا عن تفاصيلها . لهذا رأيت أن استفسر من البسام بحكم علاقته المباشرة بالقصة حسب ما رويتها من الراوي .

عندما قرأ القاضي رسالتي وفهم ما فيها من غاية أصبو إليها ، انحرف اليّ وقال : « إني أحدثك عن قصة قريبة العهد . وفيها من الأدلة الناصعة والبراهين الواضحة على امانة فأعلها شيء الذي يسترعي الانتباه ويجدر بالسكاتب ان يسجلها بمداد من الذهب ، ثم استرسل القاضي وقال : وإن لدي من الوثائق الخطية ما يؤكد صحة القصة من الناحيتين التاريخية والواقعية .

هذا وقد كنت أصغي لاستماع حديثه بكل لهف وشوق فقال : القاضي ثمة شخص يدعى « سليمان محمد الخليف »<sup>(١)</sup>

---

(١) سليمان من مدينة عنيزة وهو لا زال على قيد الحياة .

كان يتعامل على مهنة التجارة بين المملكة العربية وبين بادية سوريا ،  
وقد ذهب بتجارته الى قبيلة السبعة<sup>(١)</sup> وذلك من مدة خمسة عشر  
عاماً فحل عندهم مدة اتباع ما ابتاعه من بضاعة واشترى ما شاء  
الله أن يشتري من المواشي عوضاً عن بضاعته ثم رحل عن هؤلاء  
العرب ولم يعد اليهم بعد ذلك .

وقد نسي « منديلا » في منزله الذي رحل منه ، وبعد ذهابه  
عن المنزل أتت حرمة من نساء القبيلة فوجدت هذا المنديل  
مطروحاً في الموضع الذي رحل منه التاجر ، فايقنت اليقين القاطع  
بان هذا المنديل للتاجر الذي رحل من عندهم ، فأرادت أن تلحق به  
لتسلمه أمانته ، ولكنه قد بعد بعداً لا يمكنها الوصول اليه ،  
فأرت أن خير وسيلة تلتمسها هي أن تحتفظ بهذا المنديل كإمانة  
عندها بل إنها لم تحتفظ به كإمانة مجمدة ومعطلة عن الفائدة ، بل  
رأت أن تتصرف به وتستثمره بقدر ما تستطيع من الجهد ، لعل  
الله يبارك به وينمو ريعه وتنتثر بركته<sup>(٢)</sup> .

ولما كانت الأعمال كما ورد في معنى الحديث الشريف

(١) هذه القبيلة من عشيرة عنزة .

(٢) إشارة الى قول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح إنما الأعمال  
بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى « النح هذا الحديث يعتبره رجال السنة من أبلغ  
الأحاديث معنى .

مقرونًا بنجاحها في صدق نية صاحبها ، لهذا بقيت هذه المرأة نجاحًا  
 باهرًا في حسن تصرفها في هذا المنديل التافه ذلك أنها ذهبت به  
 وابتاعته بكمية من الصوف . ثم أخذت الصوف وغزلته ونسجته  
 حبلا . ومن بعد باعت الحبال بدراهم . وبدورها ذهبت واشترت  
 بهذه الدراهم صخلة ، عند ذلك كرست الانثى التقية جهودها نحو  
 العناية بهذه الصخلة حتى وضع الله البركة في ذرية الصخلة ، بل قل  
 في مساعي هذه الانثى الطاهرة القلب الصادقة النية ، الى أن تفرع  
 من هذا الجزء الضئيل الاصل عدد جم من الغنم <sup>(١)</sup> .

عندما روى لي القاضي هذه القصة حاولت آنذاك ان انقلها  
 منه خطيا لاخذ على كتابته كليشه لاضعها رفق الكتاب الآتي ،  
 ولكنني عذرته عندما رأيت تراكم اعماله التجارية عليه ، كما أنه  
 أيضا مهتم بالسفر وكما يقال : « أيام السفر سفر » .

لهذا عذرته . واكتفيت على أن أوافي القارئ بنص رواية  
 القاضي من ناحية المعنى وهذا هو مذهبي الذي اتجه في كتابي  
 هذا ، لاعتقادي أن الامانة من حيث هي شيء شامل مفهومه لكل

(١) للقارئ ان يرى صورة الكتاب الآتي آخره يتضح له المجموع كاملا من غنم وشي . من  
 الجمال والحمير .



نوع من الانواع الحيوية ، فلا فرق عندي بين أمانة المال وبين  
امانة نقل الحديث وروايته .

وربما تصرفت في شيء من لفظ القاضي كما تصرفت في شيء  
من لفظ بعض الرواة ولكن تصرفي هذا مقصور على تحسين  
صيغة اللفظ فقط ، ولا مساس له قطعياً في تغيير جوهر المعنى .  
وهذا الاصطلاح أجازه رجال مصطلح الحديث النبوي  
الشريف ، لقد اجازوا للراوي أن يتصرف باللفظ اذا حفظ نص  
المعنى واللفظ معاً .

واذا جاز للراوي ان يتصرف بلفظ النبي الذي هو أصدق  
كلام البشر ، فبالأحرى ان يجوز لنا أن نتصرف نحن بتحسين  
لفظ الرواة على أساس الانخرج قيد شعرة عن صميم المعنى .

هذا وقد ختم القاضي حديثه بقوله وإن لدي من الوثائق  
الخطية التي اودعها عندي ( سليمان محمد الخليف ) ما يعطينا  
دلالة واضحة على صحة القضية ، ثم استدرك الأخ القاضي فقال :  
ولكن الوثائق ليست بقريبة التناول ، الى أن قال : ربما كانت  
ضمن أوراقي ودفاتري التجارية التي في بيروت .

ولما كان كتابنا هذا قد طبع منه آنذاك مقدار أربع ملازم



من فصل الوفاء وكنت معداً فصل الامانة من بعده للطبع ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان القاضي مقررأ أن يسافر «لجده» في صباح الغد كما ذكرنا ، كل هذه العوامل كانت من الحوافز الايجابية التي جعلتني أضطر بان أخرج موقف الاخ القاضي وألح عليه على ان ينقب عن هذه الوثيقة وقد رجوته بشدة بان لايسافر الى جده حتى يؤمن لي الطريقة التي أستلم بها هذه الوثيقة . بل أكدت له بأن لدي استعداداً على أن أبعث مندوباً الى بيروت ، فيما اذا كانت الوثيقة هناك كما قال : من قبل .

فلما رأى القاضي شدة حرصي وما أبديته من رغبة في الأمر هناك كلف ابنه حمداً على ان ينقب على هذه الوثيقة لعله يجدها بدفتره التي في دمشق ، ولحسن الحظ أن (حمداً) كان واضعاً للوثيقة في قلب الصندوق التجاري ومتذكراً لموضعها الذي وضعها به .

يا لله !! كم تراني مسروراً ومبهجاً عندما تناولت هذه الوثيقة ذلك أني وان كنت لا اشك بصحة عموم القصص التي سجلتها هنا . وانما هذه القصة لديها من البينة والبرهان ما يجعلنا نزداد ايماناً لا من ناحية صحة هذه القصة بالذات ، فهذه شاهدة من نفسها على

نفسها بحكم وجود هذه الوثيقة الآتية ، وانما أزددت سروراً من  
أجل ما فيها من تأييد واضح على صحة القصص العربية التي  
أوردناها هنا ولم يتيسر لنا العثور على وثائقها كعثورنا على وثيقة  
هذه القصة وغيرها التي يطلع القارئ على نصها موضعاً .

واليك شرح الوثيقة بنفس التعبير الذي جاءت به كما نقلتها  
طبقاً للأصل :







بسم الله الرحمن الرحيم

في ٢٨ / ربيع آخر ١٣٧٣

بسم الله وحده عن بيان ما عند سالم ابن الهندي من ادوام  
السبعة لنا عدد ١٣٣ عنده ما به وثلاثة وثلاثين راس غنم منهم ثمان  
معز والباقي ما به وخمسة وعشرين ضان عدد ١٢٥ وبيان الضان  
٧٧ سبع وسبعين ضان جلايل<sup>(١)</sup> شياه<sup>(٢)</sup> فقط منهم ٥ خمس كباش  
ومن الضان ٢٦ ستة وعشرين شات جذعات<sup>(٣)</sup> ومن الضان ٢٢  
طلي<sup>(٤)</sup> جذعان قراير عدد ١٢٥ فصاح عدد الضان كما هو مذكور  
اعلاه ما به وخمسة وعشرين والمعز ٨ ثمانية منهم ٥ خمس معز كبار  
وتيسين ٢ جذعان ووحده صخله الجميع ٨ وبيان وسم الغنم ١٣٣  
وبيانهم ومعهن زمال<sup>(٥)</sup> ابيض وزماله سودا وبيان وسم الغنم  
الشلقة بالأذن اليمنى وايضا شلقة صغيرة بالأذن اليسرى من قدام هذا  
عدد الغنم واوصافه ووسمه وايضا لنا عند المذكور سالم ثلاث بعارين<sup>(٦)</sup>

(١) الجلايل : الكاملة السن .

(٢) شيان : جمع شاة .

(٣) جذعات : المرهقات .

(٤) الطلي : الذكر من الضأن الذي بسن المراهقه .

(٥) الزمال : الجماله .

(٦) اي جال .



جبل خصي اصفر وقعود<sup>(١)</sup> لقي اصفر وناقاة صفراء ويزعم سالم  
 ان لنا عند واحد من الدوام خمسين ليرة سوري قيمة شاة هذا  
 الذي عند سالم لنا وداعة ثم بعد واجهنا بامليص في ٢٦ صفر ١٣٧٢  
 طلب منا سالم انحنأ نقوم عليه الغنم ١٣٣ راس والزمايل اثنين والجمل  
 الخصي اتقومهن عليه بثمين بضاعة تكون عنده شركة<sup>(٢)</sup> عضم  
 ومنه قومنا عليه بثمين مايسون وهن ١٣٣ راس غنم وزمايل<sup>(٣)</sup>  
 والجمل الخصي في مبلغ ستمائة واربعين دينار عراقي ومنه يورد علينا  
 قيمة صوفها وسمنها وخرافيتها والذي ينباع من شيان ويورد علينا  
 ويقيد الوارد دينار حتى ان شاء الله يبلغ الوارد المذكور ستمائة  
 واربعين دينار تكون الغنم ونسله والجمل والزمايل بينا حنا وسالم  
 انصاف نسأل الله حسن النية بين الطرفين وبالله التوفيق وصلى الله  
 على سيدنا محمد وآله وصحبه . حضر سالم يقول بعد ساعات وجدنا  
 له ثلاث معز ونعجتين ثنوات وقيمة الجميع ١٩ دينار تضاف على  
 اصل القيمة بهذا حرر في ١٣٧٣/١/٢٢ والقعود والناقاة ماجرا  
 عليهن ثمين لنا عنده وداعه بعد بيعهن سالم القيمة مع خمسين ليرة  
 سوري لنا عند واحد بعد يقبضهن يسلمكن ياهن .

(١) قعود لقي : المراهق من الابل .

(٢) شركة العضم . المناصفة بين الشركاء .

(٣) يعني حمارين .

واليك نصي الوكالة حرفياً :

بسم الله وحده نعم انا كاتبه سليمان الحمد الخليف قد وكت  
الأخ المكرم سليمان ابراهيم القاضي وكالة شرعية وكتته على ما  
عند سالم ابن الهندي من ادوام السبعة وكتته على ما عنده لنا من  
غنم وبعارين وتقود عمله وكالة مفوض ماين مفتصل وما وصله  
وصول وما اجرا جاز من بيع مواشي او قبضهن نضره جاز  
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم<sup>(١)</sup>.

كاتبه بيده سليمان الحمد الخليف  
حرر في ٢٨ / ربيع آخر ١٣٧٣



---

(١) التعبير تعبيراً عاماً وفيه لمن كثير ونحن نقلناه كما هو وذلك حرصاً على  
امانة نقله الخطي .

## شرح ما تتضمنه الوثيقة

أولاً أن سليمان المحمد الخليف ، لم يعلم شيئاً عن هذا المنديل من أساسه ، ولم يحلم بأن منديله الضائع من مدة خمسة عشر عاماً قد التقطته يد أمينة وصيرت منه مئات من الغنم . هذا أمر لم يتخيله قطعياً ، ولكن الذي أخبره بذلك ابن المرأة المدعو «سالم الهندي» المذكور اسمه في الوثيقة ، فسالم هذا هو الذي أوصى أو هو كتب رسالة لعبد العزيز يوضح له مجموع ما عندهم له من المواشي وعلى ضوء هذه الاخبار قدم عبد العزيز من الجزيرة العربية ولكنه عندما وصل الى هؤلاء الامناء ووجد ما عندهم له من الغنم وبعضاً من الابل والحمر ، عند ذلك لم يكن الرجل ذا جشع ولا طمع ، بل كان عادلاً في تصرفه منصفاً لاصحابه الامناء حيث جعل مجموع المواشي شركة فيما بينه وبين ابن صاحبة المنديل سالم<sup>(١)</sup> بن الهندي ، فترى الوثيقة موضعاً بها شيئاً من ذلك والوثيقة تشير على أن عبد العزيز صاحب المنديل ، قد ابتاع قسطه بستائه واربعين ديناراً عراقياً على سالم الهندي على أساس أن سالمًا يسدد له هذا المبلغ

(١) من سياق الحديث يبدو ان المرأة قد توفت الى رحمة الله وولدت ابنتها على المال وذلك لأنني لم ار لها ذكراً في السند .



أقسطاً ، وقد دفع سالم بعضاً من المبلغ والبقية فيما بعد يدفعها سالم  
لعبد العزيز وبعد أن يتم تسديد المبلغ من سالم لعبد العزيز تكون  
المواشي ملكاً لهما جميعاً .

وهذا هو النص الذي جاء في السند

فعلى هذا التقدير يصبح مجموع قيمة الغنم وما فيها من جمال  
وحير مقدرة بالف ومائتين وثمانين ديناراً عراقياً

هذا وإنني لم استحسن من الأخ عبد العزيز الخليف كتابته  
لهذه الوثيقة على هؤلاء الامناء ، الذين لديهم من الورع والامانه  
ما يجعلهم يحتفظون بامانتهم وينمونها بدون ان تكون عليهم رقابة  
وبدون ان يكتب عليهم وثيقة بها ، مع أنني لأ أنكر أن هذه  
الوثيقة أفادني من ناحية صحة حدوث القصة وتاريخها .

ولكن ربما يكون للأخ الخليف عذر نسي فيما اذا كان هذا  
المنديل ضمن بضاعة كانت بين يديه لشخص ما ساهمها له على سبيل  
المضاربة أي نصف له ونصف للشريك وهكذا روى لي الأخ  
القاضي ، وعلى هذا الاعتبار يكون للخليف شبه عذر ، خاصة اذا  
أخبر شريكه الاسبق ، ولو أن الخليف ذكر اسم الشريك في حقل  
الوثيقة لكان ذلك أبرأ لذمته . ولكنه اكتفى باخبار القاضي  
لفظياً باسم الشريك .



## رب صرفه خير من ميعاد

في تاريخ ٥ جماد الأول ١٣٧٥

ذهبت لزيارة الأخ « ابراهيم النصار »<sup>(١)</sup> حيث وجدته في بيته وبعد مضي دقائق من جلوسي عنده ، هناك دار الحديث بيننا وكان البحث يتضمن شيئاً من القصص العربية التي نسعى لتدوينها وبصورة خاصة كان الحديث يدور حول القصص التي لها علاقة بالامانة .

وفي اثناء حديثنا هذا انتبه لي النصار وقال : « لقد خطر على ذاكرتي رسالة أتتني من مدة ثلاث سنوات من قبل شخص من قبيلة عنزه يدعى « محمد بن حجر من الدهامشة » ووصل حديثه الى أن قال : وان صاحب الرسالة ليذكرني بشيء لا أذكره فهو يشير بها بانه سبق أن اشترى مني جملاً عندما كنت اتعاطى مهنة التجارة بالابل وذلك من مدة عشر سنوات ويزعم أنه في ذلك

---

(١) ابراهيم هو من اهالي مدينة بريدة وهو تميمي النسب ومن البوعليان الذين كانت لهم اماره بلده بريدة سابقا وهو حالياً مقيم في مدينة دمشق ويعمل تاجراً فيها .

العهد تبقى لي عنده من قيمة الجمل نصف دينار عراقي ويبين أنه  
تصرف به في سبيل المصلحة ، حتى نما من أثر تصرفه جمال وبعض  
من المواشي أي « الغنم » .

عندما روى لي الأخ ابراهيم هذه القصة طلبت منه فوراً أن  
يستحصل لي على الرسالة التي اتت له من صاحبه ، ومن التوفيق  
أنه كان محتفظاً بها . لهذا ذهب فوجدها وسلمها إلي حالاً .  
وها نحن نضع شرحها بالذات بين يدي القارئ .



الى جناب الشيخ الفقيه ابراهيم  
 اسيد من احتياض الخيم  
 بعد السلام عليكم ورحمة الله  
 وبركاته انا اهل وول السعدان  
 عبد عزيز وشريف بنهما المرحوم  
 بعد يا اخي نخب جنابك من طرف  
 نفسك اذ ينار النور في قلبك  
 علينا من عند الجود صار لك  
 عندنا بغير مع مواهب  
 ولا هبة كثير غفاد يا اخي  
 والسلام اعقبك الجليل

المحب  
 الداعي محمد باين  
 محرم من اذ هـ

## شرح الرسالة

« حضرة الأخ العزيز ابراهيم السيد<sup>(١)</sup> من عقيل<sup>(٢)</sup> المحترم  
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أول السؤال عن عزيز  
خاطركم . بعد يا اخي نخبرك من طرف نصف الدينار الذي انقطع  
لك علينا من ثمن الجمل صار لك عندنا ( بعير<sup>(٣)</sup> ) ومواشي<sup>(٤)</sup> .  
ولا هن كثيرة واصلك ياخي « عَقِيلُ الجعيب<sup>(٥)</sup> » .

انجب الداعي  
« محمد بن حجر من الدهامش »  
هذه طبق الأصل

---

(١) كلمة السيد هو لقب للأخ ابراهيم .

(٢) اما قوله من عقيل فهذا الاسم يشمل كل من يمتن تجارة الابل بصورة عامة.  
من اهالي نجد وهو بصورة اخص يشمل اهالي القصيم من نجد وذلك حسب الاصطلاح .

(٣) يعني جملا .

(٤) يعني غنما .

(٥) يعني حامل الرسالة .



## ضالة وجهتها مؤخرًا

في الحين الذي كنت أصحح آخر ملزمة من فصل الأمانة، في تاريخ ١٨ جمادى الثاني ١٣٧٥ هناك وجدت هذه الضالة الآتي ذكرها عند « الدريعي بن متعب الحذب <sup>(١)</sup> »، لقد حدثني بما هو آت فقال: ثمة إمروء من قبيلة شمر يدعى «خليف بن رويشد» أودع عنده صخلة وصاحب الوداعه رجل من ساكني مدينة المشهد <sup>(٢)</sup> يدعى (أحمد بن ناجي) وذلك عام ١٣٣٥ هـ على وجه التقريب، وهذه الوداعه هي طبعاً «عدوله» وقد سبق أن شرحنا معنى العدوله بهذا الفصل، ومعناه أنه يتصرف بها المؤتمن وينميها كما يتصرف بماله وله مقابل ذلك الصوف واللبن والسمن حسب الاتفاقية. وكانت أيام غيري طويلة الأمد، وإذا المؤدع يسلم لصاحب الصخلة مائة جنيه ذهباً عثمانياً.

وبعد مضي زمن قريب سلم المؤتمن أيضاً لصاحب الصخلة خمسين جنيهاً عثمانياً وخمسة من الابل، ويزيدني الراوي تأكيده

---

(١) ادريعي من احد رؤساء قبيلة شمر .

(٢) المشهد احد مدن العراق .

إن هذه الأمانة لا زالت بركتها تدر وريعتها ينمو الى حد العام  
الماضي ١٣٧٤ هـ - هذا الوقت القريب بعث المؤتمن لصاحب  
الصنخلة ثلاثين ديناراً عراقياً ، ويوضح لي « الدريعي »<sup>(٣)</sup> ان  
هذا المبلغ الأخير قد دفعه المؤتمن بواسطة ابراهيم بن سليمان  
الجربوع ولا زال للأصل بقية حتى الآن .

---

(٣) ابراهيم من سكان مدينة بريدة وأسرته من الأسر العربية في البلاد وهو من  
قبيلة شمر نسابا .

## فصل العفو

وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ

وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا

« المتنبّي »

من ابلغ المعاني التي قالها الشعراء والحكماء من العرب بالعفو قول : شاعر الحماسة الشعبي المغفور له « محمد العوني » الذي قال بيتاً في العفو قلّ أن سبقه أحد من شعراء العرب الى معناه . وذلك في قصيدته اللامية التي يعتذر بها من الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود والد الملك عبد العزيز رحمهما الله عام ١٣٢٥ هـ .

والقصيدة أكثر من أربعين بيتاً . وهنا نأتي في البيت المناسب للموضوع الذي نحن في صددده وهو قوله :

لَوْ لَا الْحَمَالُ (١) وَمَا تَكُونُ مِنَ اللَّوْمِ

مَا كَانَ صَارَ الْعَفْوُ لَهُ سَائِلٍ سَالٍ

---

(١) الحمال هو الذنب ويقال ان فلانا غل اي ارتكب ذنباً .

## الشرح :

يقول الشاعر : إن الجرائم العظيمة التي يرتكبها المجرمون والذنوب والخطيئات الجليلة التي تبدر من المسيئين هي التي بسبب وجودها . كان لأصحاب العفو ميزة يمتازون بها . ومكانة مرموقة بين المجتمع ، والشاعر يؤكد أنه لو لم تكن ثمة جرائم تبدر من المجرمين ، لما كان للعفو واصحابه أدنى ذكر جميل في التاريخ الانساني .

واذا شئنا أن نحلل فلسفة العوني تحليلًا منطقيًا وواقعيًا .  
يحسن بنا أن نقول : إن هذه السجية أي العفو هي شيء كامن في جوهر الانسان لا يعلم أحد عنه شيئًا كبقية السجايا المثل المتوارية في معدن المرء كالشجاعة والوفاء وما أشبه ذلك ، فيخذ مثلاً الشجاع لو لم تصدف حادثة تثير هذه الجيلة الكامنة في كيان صاحبها لأصبح هذا الشجاع مجهولاً لا يعرفه أحد .

وهذا ما ذهب اليه بعض من الفلاسفة بقولهم « ان الابطال الصناديد والجنباء الرعايد لا تلهيهم الحوادث الجسام بل تكشف عنهم الغطاء حتى يراهم الناس .



## بطل يعضو عن بطل

قصة عدوان بن طوالة<sup>(١)</sup> وعقاب بن سعدون العواجي

حدثت على وجه التقريب عام ١٢٤٥ هـ

وكان الاول يقطن شرق جبلي طي بينما كان الثاني يقطن في الجنوب منهما والحرب بينهما دائماً سجّال، واجتمع الزعيمان بطريق الصدفة وقد كان هذا الاجتماع في بلدة « الرس » التي هي إحدى بلدان القصيم، حيث نزل الخصمان وقومهما ضيوفاً على امير البلدة ولا أعلم ايهما الأول، وكل ما أعلمه أنهما اجتمعا عند أمير هذه البلاد وكان الأمير كريماً فنحّر لكل منهما كبشاً وعندما اجتمع الزعيمان وجه عدوان خطابه لعقاب قائلاً « لقد اجتمعنا بغير اختيار واحد منا، وإني لأرجو أن تكون نتيجة هذا الاجتماع حسنة للطرفين فيما إذا أحسنا التصرف وتركنا الضغائن والعداوة القديمة. عقاب : « ماذا تقصد من كلامك هذا ؟ » .

عدوان : « أقصد أن نتعاهد نحن وأتم بهذه الغزوة ونشترك

---

(١) عدوان رئيس عشيرة الأسلم من شر وعقاب رئيس عشيرة ولد ساميان من عنزه .

في الغنيمة التي نكتسبها من إبل أو غنم العدو . ولا شك أنها  
إذا اجتمعت قوة غزائكم مع قوة غزائنا سوف نتصر بحول  
الله على أي قبيلة نغزوها ولنذكر في تاريخ حياتنا أن قبيلة « شمر »  
وقبيلة « عنزة » تصالحتا يوماً من الدهر وغزتا عدوها سوياً .

عقاب : « اختر لك رأياً أحسن من هذا الرأي » .

عدوان : « لا أعلم أصوب ولا أفضل من هذا الرأي » .  
عقاب : « لاشك أنك رأيت قومي أكثر من قومك عدداً ،  
ودبرت لك حيلة لتنجوا بها من هذا المأزق خشية أن نتصر عليك  
لهذا بادرتني بهذا الحديث الذي فيه من المكر والخديعة أكثر مما  
فيه من الحقيقة . وإن يكن فيه مصلحة فإنها في جانبك أكثر  
مما هي في جانبي . ولوعلمت أن قومك أكثر من قومي لما أبدت  
رأيك هذا بل . ربما كان رأيك على عكس ذلك .

عدوان : « ما هو الرأي الذي تشير إليه وتريد أن تفعله أنت  
بصفتك أكثر مني قوماً » .

عقاب : « أريد أن نتنازل نحن وأنتم بهذه الأرض الجميلة<sup>(١)</sup>  
ويتبارز أبطالنا وأبطالكم ثم واصل حديثه وقال : أليس كل من

---

(١) يشير الى ارض الرس لأنها أرض برية فسيحة لا حجر فيها ولا شجر فهي خير ما  
تكون لمبارزة الفرسان .

قومك وقومي كانا يشدان الرحال من مكان بعيد لا قصد  
للطرفين غير محبة الفوز ولذة النصر والتغلب على الخصم .

عدوان : « صحيح ما تقوله ولكن نحن الآن اجتمعنا في ناد  
واحد لهذا أرى أن الأحسن هو رأيي السابق » .

عقاب : « نعم إنه الأحسن بالنسبة لسلامتك وسلامة قومك  
أما بالنسبة لي ولقومي فلا أرى فيه شيئاً يوافق مصلحتنا »

عدوان : « إذا كان ولا بد فلتكن المبارزة في صباح الغد » .  
عقاب : وهو وكذلك .

فلما انبثق الفجر خرج عدوان مبكراً يتبعه فرسان قومه  
ومر بطريقه على عقاب وأبلغه أنه في انتظاره في المكان المعين ،  
فلما برز عدوان بقومه وقف بهم ورسم لهم الخطة الحربية بعد أن  
حرضهم على القتال حيث قال لهم : « نحن لا نريد غنيمة إلا شيئاً  
واحداً وهو رأس زعيم القوم - أي عقاب العواجي - هذا الرجل  
الذي تحدانا معتمداً على شجاعته وكثرة قومه وأكدهم قائلاً :

« إننا إذا قتلنا عقاباً أو طرحناه أرضاً فقد تم لنا النصر على قومه  
أجمعين » ثم أنه بعد ذلك قسم قومه الى فرقتين فرقة جعلها معه ويتولى  
قيادتها هو بنفسه وفرقة أخرى جعل عليها رئيساً من أفراد عشيرته  
ممن يشق بحزمهم وبطولتهم .



فأما الفرقة التي معه فقد أمرها أن لا يكون لها كفاح ولا  
مناضلة عدا شيء واحد وهو أن يوجه كل فرد منهم همه وشجاعته  
وقوته تجاه رئيس القوم الذي هو عقاب .

وأما الفرقة الأخرى فقد كلفهم أن يحاولوا ما استطاعوا أن  
يحولوا بين عقاب وقومه وأن لا يدخروا وسعاً من اشغال قومه  
عنه في الحين الذي تطوقه خيول الفرسان الآخرين الذين يقودهم  
عدوان بذاته وقد أبرموا أمرهم على هذه الخطة المحكمة .

أما غزاة عنزه فقد كان زعيمهم مهملًا الى آخر حد الإهمال  
والسبب في إهماله هذا أنه كان واثقًا ببطولته ورباطة جأشه التي  
لا تتزعزع هذا من ناحية والناحية الأخرى كان معتمداً على كثرة  
قومه وقلة أعدائه . وبعد أن بزغت الشمس وارتفعت قيد رمح  
خرج فرسان عنزه مدججين بالسيوف والرماح يقودهم البطل عقاب  
وبارز أمام قومه فذهب مسرعاً نحو الموضع الذي يعتقد أن الخصم  
ينتظره به حسب الوعد المعلن بين الخصمين . فلما دنا من المكان  
ونظر خيول عدوه هب على الفور وأطلق عنان فرسه وقومه على  
أثره فتركه عدوان وقومه حتى قرب منهم ثم أمر قومه بتنفيذ  
الخطة التي اسفرت عن فصل عقاب عن قومه حيث طوقه عدوان



بالفرقة التي يرأسها كما أن الفرقة الأخرى حالت بين عقاب وقومه  
 عن نجدتهم له فلم تستمر المعركة إلا مدة وجيزة حتى وقع عقاب  
 أسيراً بيد عدوان وطرحه أرضاً بدون أن يقتله ومن غير أن يمنعه  
 بل استلمه « شلماً لا منعاً »<sup>(١)</sup> وقد كانت التعاليم الحربية التي أخذها  
 قوم عدوان ترمي إلى أنه متى ما طرح عقاب أرضاً فإن خيل  
 الفرقتين كلها تتحد وتنصب على قوم عقاب حتى لا يستطيعون أن  
 يدافعوا عنه وهكذا نفذ عدوان هذه الخطة حتى أن فرسان عزه  
 عندما رأوا رئيسهم مطوقاً من خيول العدو حاولوا انتشاله فمجزوا،  
 هناك ضعفت عزائمهم .

هذا وقد نصر الله عدوان بن طوالة على عقاب العواجي فرأى  
 عدوان أنه من الشيمة أن يعفو عنه ويحسن إليه أيضاً ، لذلك  
 تحدث عدوان مع عقاب وقال « إني قد عفوت عنك كما إني قد  
 وهبتك فرسك » أجابه عقاب « أما إذا عفوت عني فهذه شيمة  
 العرب ولم تفعل شيئاً مستغرباً فانت تعفوا عني اليوم ونحن نعفوا  
 عنك في الغد وأما من خصوص الفرس التي تزعم أنك وهبتها  
 فإن هذه الفرس ليست من جياذ عشيرتي عزه بل ان مصدرها

(١) الشلع هو بدون عهد و«المنع» يكون الفارس استولى على عدوه بطريقة العمد  
 فالأولى يستطيع أن يقتله ولا عيب عليه عند العرب أما الثانية فلا يستطيع أن يسه بسوء .

الأساسي من خيل عشيرتكم شمر لأنني قد غنمتها العام الماضي من  
الفارس الشمري فلان » .

قال عدوان : « إذن الفرس نعيدها على أهلها شمر ونشعرهم  
بأننا أخذناها منك قهراً <sup>(١)</sup> وقوة كما أخذتها سابقاً » .

هذا وقد ذهب عقاب الى قومه ماشياً على أقدامه كما عاد  
عدوان وقومه منتصرين .

وهناك شاعر عند قبيلة شمر يسمى « مبارك التبيناوي » يعلق  
على كل حادثة تقع بين قبيلته وقبيلة أخرى بإسلوبه الشعبي بقدر .  
ما يستطيع وخذ ما قاله الشاعر :

يا حيف يا عدوان يا حيف يا حيف

اعتقت ربع عقب ما طيرهم حام  
يوجه الشاعر لومه وأسفه المكرر على رئيس غزاة شمر وهو

---

(١) ما اشد ما ينطبق معني بيت شاعر الاسلام حسان بن ثابت على هؤلاء البطالين  
عندما امتدح فريشاً في قصيدته التي مطلعها .

إن الذوائب من فخر واخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع  
الى ان قال :

لا فخران هم اصابوا من عدوم وإن اصابوا فلا خور ولا جزعوا

« فالصراع الأول الذي يقول فيه الشاعر لا فخر إن هم اصابوا من عدوم » هذا ينطبق على  
لسان حال المنتصر وهو عدوان بن طوالة ، وأما قوله وإن اصابوا فلا خور ولا جزعوا . فهذا  
ينسجم ابلغ الانسجام على واقع عقاب العواجي ولا عجب فإن هؤلاء الأبطال هم سلالة اولئك  
الأمجاد الذين غيروا مجرى التاريخ العربي وإنما ينقصهم التوجيه الصالح .

المدعو عدوان بن طوالة ويقول : أسف كل الأسف أن تعفو عن  
عقاب بعد ما أصبح أسيراً بين يديك ، ويؤخذ من معنى الشاعر  
أنه قد أسر أناساً من قوم العواجي غير الرئيس عقاب لأنه يقول :  
« اعتقت ربع عقاب ما طيرهم حام » معناه أنهم جماعة ليس بفرد  
ولكن الرواية لم تصل إلينا إلا أنه فرد . وقد روى لي هذه الحادثة  
شخص اعنزي يدعى « عيادة الحنشي » المتوفي بالرياض سنة ١٣٦٥ هـ  
وهو يحسن الرواية جيداً وموثوق به .

اعتقت ربع كللوا شذرة السيف

من يبذر الحسنى بقطاع الأرحام

يقول كيف نعتق من قد وضع السيف باعناقنا حتى تحطم  
سيفه وكل من كثرة ما قتل من قومنا .

ثم يعود الشاعر ويقول لماذا تفعل الإحسان مع شخص  
يستحق العقوبة ويزعم الشاعر أن عقاباً قاطع رحم .

لو انت يازين ألبكار المواليف

ودعت رأسه موقع منه ما قام

يرى الشاعر أن عدوان اخطأ بعفوه عن العواجي ويقول :  
لو أنك ضربت عنقه حتى نأمن من صولته علينا فيما بعد لكان



أكمل للفائدة إن الذي درس أدب هذا الشاعر يرى أن كلامه  
ينقض بعضه بعضاً : ذلك أن البطل عقاباً قتله بعض فرسان قبيلة  
شمر في معركة أخرى فبعدهما قتل ، نجد هذا الشاعر يبيدي أممفاً  
شديداً على مصرعه في قصيدة طويلة جاء منها قوله :

عقابٍ طريحٍ يوم الأفراس عجلات  
عزه من طير أكل حجر عينه  
الى أن قال :

فوات قبل مدورين الجمالات  
يا ليت عقاباً العرّب حاضرينه  
الشرح :

يقول الشاعر : في مصراع البيت الأول ، إن عقاباً قتل في  
حالة كانت ارتجالية ، وفي المصراع الأخير من نفس البيت يتظاهر  
الشاعر بحزنه وأسفه على عقاب فيقول : « عزه من طير أكل حجر  
عينه » أي أنه يتوجع ويحزن على مقتل عقاب الذي سوف  
تأكل الطيور عينيه ، وفي المصراع الأخير من البيت الثاني .  
يقول : كنت أتمنى أن عقاباً أستولى عليه رجال عقلاء حتى  
يقدرّوه ويعفوا عنه . ولكنه يزعم من معنى كلامه أن عقاباً



استولى عليه شباب طائشون لا يفكرون بذلك، وهذا الشاعر  
قريبة أخلاقه من الفرزدق الذي عبر عنه يزيد بن المهلب بن أبي  
صفرة فقال : إني لأعجب من نفسية الفرزدق يهجوني أميراً  
ويعدحني سوقه .

(١) يا حيف يا عدوان يا حيف يا حيف

أعتقت ربع عقب ما طيرهم حام

(٢) اعتقت ربع كالوا شذرة السيف

من يبذر الحسنى بقطاع الأرحام

(٣) لو انت يازين البكار المواليف

ودعت رأسه موقع منه مقام

---

(١) يا حيف : يا أسف . عقب : من بعد . طيرهم حام : اوشكت ان تأكل

لخومهم الطيور .

(٢) شذرة : حد السيف .

(٣) زين : مأوى . البكار المواليف : النوق الأبقار .

## عفو متبادل

### قصة صطام الذهبي وفصل العجاج<sup>(١)</sup>

في عهد فيصل بن تركي آل سعود بين سنة ١٢٥١ - ١٢٥٥ هـ حدث بينهما شقاق كان من نتيجته أن قتل فيصل صطاماً ثم هرب وأستجار بأحد امراء عتيبة المدعو ابن حجته وكان ابن المقتول في ذلك العهد حديث سن وبعد أن بلغ رشده ذهب الى قاتل أبيه يحاول أن يظفر به ليأخذ ثأره منه فنزل عند العرب الذين يقطن بينهم قاتل والده فبقي الشاب أجيراً يسرح يابل أحد هؤلاء العرب وقضى مدة على هذه الحالة وهو راع ولا زال يرعى الابل حتى سنحت له الفرصة التي وثب بها على خصمه فطعنه بمديته ثم فر ولكنه قبض عليه وشد وثاقه وأتى به الى فيصل (أي الجريح الذي طعنه) فسأله من أنت؟ فأخبره الشاب بأنه ابن صطام المقتول فلما علم فيصل بذلك طلب رئيس عشيرة عتيبة المدعو ابن حجته فلما حضر الأمير قال : ان هذا الشاب في جوارك وفي ذمتك لأنه لم يفعل ما هو خطأ ولا

---

(١) كلا الاثنين من قبيلة قحطان ومن فخذ اسحمه .

لوم عليه بما فعل معي وذلك أني معتد عليه بقتلي لأبيه فإن توفاني  
الله من طعنته هذه فهي نفس بنفس وإن سلمت منها فإنني سوف  
أسامه الدية ان قبلها، ثم أمر أن يسلم الشاب الذي طعنه ذلولاً  
نجية تقيه إلى أن توصله أهله وذهب الشاب إلى أهله .

أما فيصل فقد أنجاه الله من هذه الطعنة وذهب على أثر الفتى  
ليسامه دية والده ولكن الفتى كان كريم النفس ذلك أنه رفض  
قبول الدية وعفا عن قاتل والده<sup>(٢)</sup> .



---

(٢) رويت هذه القصة من حمود العماح القحطاني النسب والذي لازال ضمن حاشية  
ولي العهد الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود .

## بمفو عن من أراد أن يفتاله

قصة « عبد الله<sup>(١)</sup> بن علي بن رشيد وابو هادي »

وقعت سنة ١٢٥٩ هـ

بعد أن تأمست إمارة آل الرشيد وأمسى لها سلطان في شمال نجد وعصبية قوية تؤازرها ، هناك عظم الأمر على أمراء القصيم خاصة اميري البلدين عنيزة التي يرأسها في ذلك العهد زامل<sup>(٢)</sup> بن سليم وأمير بريدة عبد العزيز بن محمد بن عليان وقد تضاعف الخطر واشتدت العداوة أكثر من اللازم خاصة بعدم معركة « بقعا »<sup>(٣)</sup> لقد رأى أمراء القصيم أن خير الأسباب التي تقيهم شر هذا الخطر هو القضاء على المؤسس لهذه الإمارة إذ أنه بلا شك هو

---

(١) عبد الله هو المؤسس الأول لإمارة الرشيد التي ابتدأت عام ١٢٥٠ هـ و انتهت في ١٣٤٠ هـ وكان عبد الله والياً للامام فيصل بن تركي ابن سعود ولا زال مدعنا آل سعود وسامعاً ومطيعاً حتى توفاه الله عام ١٢٦٣ هـ .

(٢) هو من اشهر زعماء نجد دهاء وبطولة قتل رحمه الله سنة ١٣٠٨ وكان مصرعه في المليدا تلك المعركة الحاسمة التي وقعت بقيادة امير بريدة حسن بن مهنا ابا الحيل وامير عنيزة زامل بن سليم ضد محمد العبد الله الرشيد وقد انتهت المعركة بانتصار الرشيدي عليها .

(٣) هي قرية تقع في الشمال الشرقي لمدينة حائل ومعركة بقعا ذكرها ابن بشر في الجزء الثاني من كتابه عنوان المجند صفحة ٩١ ذكر انها وقعت في جاد الاولى عام ١٢٥٧ هـ



الدماغ المفكر لا في الأسرة الرشيدية فحسب بل في العشيرة أجمع بالرغم من أنه في ذلك العهد لم تتكون أسرة آل الرشيد ولم تبلغ ما بلغت من وفرة العدد في عهدها الأخير . وعبد الله يعتبره التاريخ المسؤول الأول من ناحية التأسيس اما الذي وطد دعائم الإمارة فهو ابنه محمد ومن بعد عبد الله شقيقه عبيد الذي هو الساعد الأيمن له ، ولا شك أن رأي هؤلاء القوم في القضاء على الأمير عبد الله كان سديداً فهم لو نجحوا في مؤامرتهم لقضي على الإمارة الرشيدية في مهدها .

وقد كانت مؤامرة أهل القصيم لقتل عبد الله مبنية على إختيار شخص يدعى « بأبي هادي » وهذا الشخص استلم من اصحاب المؤامرة مبلغاً من الريالات مقدماً كما أنهم تعهدوا له أن يساموه مبلغاً آخراً بعد قتله للأمير ، وأبو هادي هذا رجل حسب ما يبدو لي من سياق الحديث وماروي لي — أنه رجل ضعيف الإدراك بحيث أن أصحاب المؤامرة استطاعوا أن يخدعوه ويوهموه بأنه إذا قتل الأمير عبد الله فإنه سوف يهرب ولا يستطيع أحد أن يراه ولا يتمكن عدوه من القبض عليه وذلك بفضل ما يتدرع به من الطلاسم التي يحملها بعنقه وأكّد أصحاب المؤامرة لأبي هادي أن ما يحمله من الآيات

القرآنية والطلاسم الملفقة ستكون له سداً منيعاً يقيه مفعول  
السلاح لئلا يفتك بجسمه وكانت الطريقة التي تمكن أبا هادي  
من قتله للأمر ، هي أن أبا هادي يحسن الرقص بالمرح من  
الأساس كما ان حركاته وشكله وخفته كل ذلك تشفع له فيما إذا  
شاء أن يجعل نفسه مضحكاً لحفل ما من الناس سيما وهو من قبل  
كان متخذاً ذلك حرفة له أي كان يعيش من وراء هذه المهنة .

سار أبو هادي من القصيم حتى وصل مدينة حائل عاصمة  
إمارة عبد الله الرشيد آنذاك فحل ضيفاً هناك وفي حينه استعمل لعبته  
المضحكة ومن البديهي أن الغريب اذا قدم لبلد ما سيكون محطاً  
لأنظار وتفقد الناس أخلاقه ، خاصة إذا كانت البلدة قليلة السكان  
« كحائل » بذلك العهد يضاف الى ذلك أن هذا الغريب أتى للبلاد  
بحركات مضحكة تجعل أهل البلاد بطبيعة حالهم يتفرجون  
ويعجبون من هذا الغريب الذي قدم اليهم بحركات بهلوانية  
هذا وقد مضت أيام على أبي هادي وهو يرقص أمام سكان  
البلاد ويضحكون عليه وكل من رآه من ساكني البلاد يعجب  
برقصه ويأخذه الإعجاب ويذكره للذم لم يراه فلم تمض  
مدة على أبي هادي إلا وهو بمثابة النادي الذي يتخذ للتسلية

والمرح : الى ان أصبح يتفرج على لعبه ورقصه وحركاته الجم  
الفير من سكان البلاد وفي النهاية بلغ الأمير عبد الله أمر أبي  
هادي ، فانتدب رسوله ليستدعيه ليضحك عليه وجلساؤه .

وعلى الفور حضر أبو هادي وطلب منه الأمير أن يلعب  
ويرقص كما كان يفعل ، فابي طلب الأمير الذي يرى أن هذا هو  
منتهى أمنيته ، ولكن أبا هادي عندما أراد التنفيذ إختل توازنه  
وارتعشت أعصابه وارتبك ارتباكاً جعل الحاضرين يشكون في  
أمره وينتبهون له وأول من انتبه له شخص اسمه ابن نعام<sup>(١)</sup> هو الذي  
أمر للأمير عبد الله أن يأمر من يلقي عليه القبض ، فلمالقى عليه  
القبض زاد خفة وانهارت أعصابه انهياراً جعل البيئة تقوم عليه  
بغير شك . عندئذ تولى الأمير التحقيق معه فاعترف له بدون تردد  
وبعد اعترافه أطلق سراحه الأمير وعفا عنه ولم يعاقبه بأي أذية ثم  
انشد الأمير قصيدته الشعبية الخالدة فقال :

(١) لِي دِيرَةٍ مَابَهُ حَذَا الْبَرْدَ وَالْجُوعَ

لَوْلَايَ عَفِيَّتَهُ بِضَرْبِ الْهَنَادِي

(١) يقول الراوي : ان ابن نعام لمح لعبد الله بكلمة تجمل ابا هادي لا ينتبه ولا يشعر  
بمنها : فقال : كلمة عامية وهذا نصها « الحمراء كبيره يا عبد الله » أي أن رثك اكبر  
من قلبك فأنت لا تشعر بما يجيكه لك هذا الراقص .



يقول إن بلادي لم يكن فيها شيء من الإنتاج الزراعي الذي  
 يقيت ساكنيها من الجوع ولا فيها أيضاً شيء من الإنتاج  
 الصناعي والنسيج الذي يقي أهلها من ضرر البرد ، ثم يسترسل  
 البطل ويقول « ولكنني أزحت هذه العوامل واجتهدت وحمتها  
 بضرب السيف حتى أصبح لها كيان وأمست بلدة بعد ما كانت  
 قرية ويقصد بلاده حائل — وهي بلاد حاتم الطائي سابقاً المسماة  
 جبلي طي .

حَمَيْتُهَا عَنْ كُلِّ دَوَّارٍ مَطْمُوعٍ

حَيٍّ نَصَبَتْهُمْ وَحَيٍّ نَهَادِ

يقول إني حميت بلدتي من كل من أراد أن يطمع فيها ، ثم  
 يوضح ويقول :

إن حمايتي لوطني مبنية على أمرين سياسيين وهما المسالمة تارة  
 والحرب طوراً آخر فيقول إني أسالم أصحاب القوة الذين  
 لا أستطيع مقاومتهم فاذهب ألتمس رضاهم بشتى الوسائل التي لا  
 تحط من كرامتي وكرامة بني وطني وقبيلتي .

أَلْقَلْبَ مَضْمُوعٍ وَبِالْكَفِّ قَاطُوعٍ

مَا هِيَ حَكَايَا رَقَصَتِكَ يَا بُو هَادِي



يقول : أنا لست ممن يقرقع له بالشنان حتى أخاف منك  
يا أباهادي ، يقصد الذي أراد أن يفتك به ، ويؤكد أن السر الذي  
يجعله لا يخاف هو انه واثق من نفسه بأن قلبه قلب شجاع  
لا يتزحزح البتة وفي يمينه صارم ماض .

وَلَا حَيْدٍ يَطِيعُ إِلَّا لَهُ السَّيْرُ مَرْمُوعٌ

وَالَا يَضْرِبُ مُصَقَّلَاتِ الْهَنَادِي

يقول أن الناس لا يطيعون ولا يذعنون للزعيم الذي يكون  
وضعه كوضعي إلا لأمرين وهما الرغبة بالمال الذي يصدق عليه  
أو الرهبة من العقاب الذي يخشون تنفيذه منه .

(٥) فَعَمَلٌ نَوَّ الْخَيْرِ نَجْزَاهُ بِنَفْوَغْ

مِنْ مَالِنَا نِكْثِرُ عَلَيْهِ الْعَدَادِ

يقول ان الذي يسالم لنا ولا يريد منا الا الخير نبذل له الخير  
ونصدق عليه المال والفعل الجميل ما استطعنا لذلك سبيلا .

وَالشَّرُّ فَعَالَهُ إِنْجَازِيَهْ بِجَمُوعْ

أَوْزِيرِ إِلَى جَا الْفَجْرِ حُسَّهْ يُنَادِي

يقول إن الجماعة او الأفراد الذين لا ينفع معهم فعل الخير ولا  
يصلح معهم إلا فعل الشر هناك يقول : أفعل معهم من الشر الذي

ما يتصورونه واقابلهم بجيش عرمرم فأباغتهم به فجراً حتى أقضي  
على قواهم .

(٧) أَخُو عُبَيْدٍ إِلَى هَبَا كِلَ مَسْبُوعٌ

أَسْهَرِ إِلَى نَامَتِ عِيُونُ السَّرَادِي

ينتخي البطل ويمتدح نفسه ويقول أنا أخو عبيد وعبيد هذا  
— كما أسلفنا — شقيقه وساعده الأيمن ويقول أنا البطل الذي تبرز  
رجولته وشجاعته في الشدائد التي يفقد فيها رجولته الجبان ويؤكد  
أنه يسهر الليالي تلو الليالي في الحين الذي ينام فيه قاصر الهمة .

(٨) أَحَاوِلِ الدُّنْيَا بِدَاخِلٍ وَمَطْمُوعٌ

بِالْمَالِ وَالْأَ بَمُرْهَفَاتِ الْحِدَادِي

يقول اني احسن الدخول والخروج بالسياسة لقومي  
ولعدوي معاً فتارة استولي على قلوبهم بالمال الذي ابدله لهم وطوراً  
بالسيف في الحين الذي لا ينفع به المال .

(٩) كَمْ خَيْرٍ عَانٍ لَنَا شَاكٍ الْجُوعُ

حَادِيهِ مِنْ لَوَعَاتِ الْأَيَّامِ جَادٍ

(١٠) لَوْ مَا نَعَرَفُهُ رَاحَ مِنَّا بِمَطْمُوعٍ

مِنْ رَأْسِ مَالٍ نَجْمَعُهُ لِلنَّفَادِ

يقول كم إنسان كريم التجأ إلينا وشكا ما اصابه من نوائب  
 الدهر ونحن لم يسبق لنا به معرفة ذاتية ومع ذلك يقول : نسعى  
 على الفور بجبر عثرته ونهبه ما استطعنا من أموالنا التي لا نحرص  
 على جمعها إلا لننفقها في سبيل المجد والخير .

ونهاية القول أن أبا هادي بقي ساكناً بحائل حتى توفي فيها  
 وأكدي الراوي سلمان بن رشدان بأنه كان يعرف أبا هادي  
 شخصياً ولا عجب من ذلك لأن سلمان بن رشدان عمر سنين  
 طويلة وقد توفي رحمه الله سنة ١٣٦١ هـ بعد أن بلغ من العمر  
 ما ينوف على المائة سنة . والراوي من نفس بلدة حائل .

واليك القصيدة بكاملها :

(١) لي ديرة مابة حذا البرد والجوع

لؤلؤي عقيته بضرب الهنادي

(٢) حميتها عن كل دوار مطموع

حي نصبتهم وحي نهادي

(١) ديرة : بلدة . حذا : عدا . عقيته : حميتها .

(٢) دوار مطموع : طماع .

- (٣) القلب مَصْمُوعٌ وبِالْكَفِّ قَاطُوعٌ  
 مَا هِيَ حَكَايَا رَقَصَتِكَ يَا بُو هَادِي
- (٤) وَلَا حَدٌّ يَطِيعُ إِلَّا لَهُ السَّيْرُ مَرْمُوعٌ  
 وَإِلَّا بِضَرْبِ مُصَقَّلَاتِ الْهِنَادِي
- (٥) فَعَالَ نَوَّ الْخَيْرِ نَجَزَاهُ بِنَفْعٍ  
 مِنْ مَائِنَا نَكْثَرُ عَلَيْهِ الْعِـدَادُ
- (٦) وَالشَّرُّ فَعَالُهُ نَجَارِيهِ بِجَمْعٍ  
 وَزِيرٍ إِلَى جَا الْفَجْرِ حُسَّه يُنَادِي
- (٧) أَخُو عَيْنِدٍ إِلَى هَبَا كُلِّ مَسْبُوعٍ  
 أَسْهَرُ إِلَى نَامَتْ عُيُونُ السَّرَادِي
- (٨) أَحَاوُلُ الدَّيْنِ— بِدَاخِلٍ وَمَطْلُوعٍ  
 بِالْمَالِ وَإِلَّا مُرْهَقَاتُ الْحِدَادِي

(٣) مصموع اسم لا يعرف الحوف : قاطوع : السيف الماضي .

(٤) السير مرموع : أي لين الجانب .

(٥) نو : النية . نفوع : نفع .

(٦) الجموع : الجيش كناية عن الجيش المرموم : الزير هو الطبل يدهه الحاكم

القوي قبيل وقوع المعركة .

(٧) هبا : جبن . المسبوع : الرجل الجبان . السراي : الاندال .



- (٩) كَمْ خَيْرٍ عَانَ لَنَا شَاكٍ الْجُوعِ  
حَادِيهِ مِنْ لَوَعَاتِ الْآيَّامِ حَادٍ
- (١٠) لَوْ مَا نَعْرِفُهُ رَاحَ مِنَّا بِمَطْمُوعٍ  
مِنْ رَأْسِ مَالٍ نَجْمَعُهُ لِلنَّفَادِ




---

(٩) عَانَ : قاصد .  
(١٠) لو ما نعرفه : ولو لم نكن نعرفه سابقاً .

## عفو وإبادة وشمهم

وقعت الحادثة عام ١٣٠١ هـ على وجه التقريب

تعتبر من أروع حوادث العفو قصة « نيف بن حيمر بن جشعم » مع « عجب بن عجة » وكلاهما ينحدران من فخذ واحد وقبيلة واحدة يجمعهما الجد الأدنى الذي تتفرع منه هذه العشيرة وهو المدعو « جعفر » فيقال للعشيرة آل جعفر<sup>(١)</sup> ولا يقل عدد نفوسهم عن ٧٠٠٠ نسمة ويشملهم اسم قبيلة شمر « فعجب ابن عجة » وقع منه اعتداء جره الى ان قتل أخا « نيف » ثم هرب القاتل من بلاده نجد والتجأ الى رؤساء عشيرة شمر الجربان الذين يقطنون جزيرة الفرات الواقعة جنوب العراق وقد علم نيف أن صاحبه التجأ الى هذا الموضع فتبعه قاصداً أن يأخذ منه الثأر وبقي يتحين به الفرصة وقد كان القاتل حذراً جداً، ومن أساليبه التي يخادع بها عدوه هو أنه يتظاهر بأن يبني بيتاً في بيته أو في مكان ما والواقع

---

(١) الجعفر هم فخذ من عبدة من قبيلة شمر وابن عجة من فخذ يتفرع من الجعفر يسمى الخليل ونيف من فخذ يسمى الجشعم والاصل واحد .

أنه لا يبيت في بيته أبداً ولا يبيت في مكان يعرفه أحد قطعياً خوفاً من سطوة خصمه ، هذا وقد كان عدوه يسبر غوره ويتبع حركاته ليأخذ ثأره منه وفي ذات ليلة من الليالي نظر اليه عدوه عندما دخل بيته في أول الليل ، ولكنه تركه ليهمج عليه اذا نام الناس آخر الليل غير انه خدعه في عملية هذه لانه دخل من أمام البيت تمويهاً له وخرج حالاً من خلاف البيت بصورة خفية مسرعة ، اما البطل فهو لا يعلم ذلك ، فلما انتصف الليل هجم على عدوه ولكنه عندما أراد تنفيذ العمل لم يجد أحداً في البيت فاتضح له خطأه وقد انتهت زوجة القاتل وصاحت بصوتها فالتبه العرب بعد ان فر العدو هارباً اما ابن عجيبة فقد رأى أن من الحزم والحذر أن يرحل عن هؤلاء العرب الذين عرف خصمه موضعه عندهم ، لهذا نزع عنهم ونزل بجوار ابن عبيد رئيس عشيرة الدليم ولم يكن ابن عبيد أقدر على حمايته من الجرباء بل ربما أن الجرباء أعظم هيمة في نفسية « نيف » من ابن عبيد ولكن القضية أصبحت قضية تمكن من الاختفاء ، لهذا يرى ابن عجيبة انه يستطيع أن يوارى نفسه عند ابن عبيد أكثر من اختفائه عند ما كان عند الجرباء على اعتبار ان عدوه الآن سبر غوره وعرف أنه عند عرب الجرباء .

هذا وقد استعمل ابن عجيبة من الحزم والحذر على نفسه أكثر مما كان يستعمله عندما كان عند الجرباء حتى انه لا يأتي بيته الا في لحظات خفيفة معينة وإذا شاء أن يواقع زوجته لا يواقعها الا بعد حين من الدهر وإذا خطر على باله هذا الأمر دنا من حليته وهو كالطروود . وقد كانت قرينته فتاة جميلة ، وقد ذكرنا عن نفسية العربية أنها دائماً لا تنظر للرجل الا من جانب واحد وهو جانب البطولة والرجولة فإذا تخلى عن هذه الناحية زهدت به وقد كانت حليته تعرف بعلمها أنه شجاع فيما سبق ولكن حركاته الأخيرة أخلفت ظنونها به ومعرفتها إياه السابقة لهذا قالت بنفسها لا بد من أن أسأله عن السر الذي جعله جباناً الى هذا الحد ، بعد ما كان شجاعاً جريئاً . فسألت بعلمها قائلة « أراك بلغت من الحذر والخوف من سطوة عدوك الأمر الذي سوف يجعاني أزهد فيك آخر الأمر » .

كان هذا الحديث من قرينة ابن عجيبة في ساعة متأخرة من الليل وفي الحين الذي دنا منها ليواقعها ثم يهرب كالمتعاد ، أجابها بعلمها « أنا لست جباناً ولكنني اعرف شجاعة عدوي » نيف « الذي لا يبيت على الضيم ولو انك تعرفينه كمعرفتي إياه لعذرتيني



في كل ما يبدو مني من الحذر والحكمة لي بالشجاعة الخارقة ثم  
 واصل كلامه وقال: «أجل فلو لم أكن شجاعاً إلى آخر حد الشجاعة  
 لما استطعت أن أحرك غريزتي الجنسية وأنا أعلم أن نيفاً يطالبني  
 بدمي» هذا وقد كانت هذه المحادثة بين الزوجين بسمع من «نيف»  
 وقد كان مختبئاً تحت رواق البيت وهو منه قاب قوسين أو  
 أدنى، ولكن البطل عندما سمع هذا الاعتراف من خصمه له وهذا  
 الإذعان قفز من تحت الرواق وشهر سيفه وصاح بخصمه قائلاً:  
 «يا فلان أقسم لي بالله أنك قلت هذا الحديث عن اعتقاد لا عن  
 خديعة منك لي ظاناً أنني قريب منك فاردت بذلك أن تخادعني  
 لأعفو عنك فيما إذا سمعتني هذا الحديث» اندهش الرجل واقسم  
 له بالله أنه لم يتحدث إلا بما يعتقد كماً كد له منطقياً أنه ليس من  
 المعقول بأن يعرفه بهذا القرب منه ويكون عنده من الصبر والأناة  
 والتفكير ما يجعله يتكلم بهذا الكلام وأوضح له بأن ما سمعه من  
 شهادة بحقه ليس الأجواباً منه لزوجته التي تمدته وأراد أن يقنعها  
 بما هو ثابت لديه ثبوتاً واقعياً. أجابه البطل «أذهب فإنني قد  
 عفوت عنك طالما أنك معترف بيطولتي وخائف من سطوتي  
 ومحترم شخصيتي» أجابه صاحبه قائلاً «أنه من كمال عفوك أن

تقبل مني الدية حتى اكون مطمئناً على نفسي فيما بعد أي من بعض  
عشيرتك الأقربين ، لأنني اذا دفعت لك الدية اصبحت مرتاح  
الضمير من الناحية العرفية والشرعية » . أجابه نيف « اني أقبل  
منك الدية على أساس أن تطمئن وتأمين لا رغبة فيها ، والطريقة  
التي ترى بها راحة نفسك افعلها وأنا أنفذها لك فقال ابن عجيبة :  
« اريد أن تتفضل علي بقبول الدية » فدفعت الدية وانتهى الأمر  
الى العفو<sup>(١)</sup> .



---

( ١ ) القصة مشهورة .

## يعفوا وهو باسم ما يكون من الغضب

قصة خلف<sup>(١)</sup> المفرح الملقب بالضابط وقعت عام ١٢٣٨ هـ

حدث نزاع بين ابن عم خلف شقيق ابيه المدعو محمد بن مفرح وبين فرد آخر من نفس القبيلة وكانت النتيجة أن قُتل محمد ابن عم خلف بيد منازعه .

عندما شعر القاتل أن رصاصة مسدسه أصابت من محمد مقتلاً ضاقت به الأرض واسود في وجهه فضاء الدنيا خوفاً من سطوة ابن عم القاتل المدعو خلف . ولا لوم على القاتل فيما إذا دخل قلبه الرعب واشتد به الخوف فإن خلفاً ذو سطوة قوية وقناة لاتلين ، لا يهتك له جوار ولا يبيت على الضيم .

ماذا يفعل القاتل ؟ وكيف ينجو بنفسه ؟ أيستجير بأحد أبطال قبيلته ؟ هذا هو السبيل الوحيد الذي يلجأ اليه وحاول أن

---

(١) هو من قبيلة القرويين وقسم من هذه العشيرة يقطن قرية بقرب بلدة منبج التابعة لقضاء مدينة حاب في سوريا والقسم الآخر موجود بقضاء الرقة المدينة التي تقع شمال شط الفرات كما يوجد فرع من هذه العشيرة يقطن مع عشيرة الولد الفدعان الذين هم من قبيلة عنزة وخلف هذا الآن هو ساكن مع عشيرة الفدعان . ويعتبر كفرد من هذه القبيلة .

ينفذ هذا الخيال . ولكن من أين له أن يطمئن من صولة خلف  
الذي يعلم مدى إقدامه وبطولته فهو لا يأمن على نفسه أن يقتله  
خلف ولو كان عند مجيره .

لقد فكر طويلاً بالتماس المخرج فلم يجد له منفذاً . ولكن  
خطرت على باله فكرة غريبة وهي أن يلوذ بجوار خلف ذاته .

فر القاتل مسرعاً والقى نفسه في بيت خلف وتوارى في  
قاعة البيت هذا، وخلف لم يبلغه مقتل ابن عمه ولم يدر بذلك إلى أن  
دخل بيته ليلاً فوجد شقيقته تنوح وتندب بالويل والثبور<sup>(١)</sup>  
وأطفالها الأيتام لمصرع أيهم .

انزعج خلف من منظر اخته وأطفالها المحزن فصاح بأخته  
وسألها عن كمنه أمرها .

الأخت - ابن عمك قتله فلان .

خلف - أين ذهب القاتل ؟

الأخت - لا بد من أن يكون استجار بأحد زعماء العرب .

خلف - ومن الذي يستطيع أن يجيره مني ؟ أخبريني بأختي

عن هذا الشقي الذي تمادى به غروره إلى أن يجير مجرمًا قتل ابن

عمي وأثكل عمي<sup>(٢)</sup> الشيخ ؟

(١) هي شقيقته من ناحية وقرينة ابن عمه المقتول من ناحية أخرى .

(٢) لم يكن لعمه المسن ذرية ولا ولد قط غير الفتى المقتول .



كان هذا الحديث على مسمع من القاتل وكان له وقع في قلبه  
أشد من وقع السهم . هب خلف ليأخذ بندقيته وهو لا يملك من  
شعوره شيئاً ، ولم يكن نصب عينيه سوى القبض على القاتل .  
أخذ بندقيته وتوشح بعتاده وأراد أن يخرج وإذا به يطو  
بقدمه جثة شخص ملقى على الأرض .

خلف — من هذا ؟

القاتل — « امرئ لائذ في حماك لا يعلم من يجيره سواك » ..  
خلف : أنت فلان قاتل ابن عمي ؟؟

القاتل : نعم قتلته في ساعة الغضب التي كثيراً ما يفقد فيها  
المرء صوابه . وأما الآن فقد عاد إلي رشدي ، وإني لأعني أي المقتول  
لا القاتل خوفاً من صواتك وخشية من سطوتك ، لهذا ما وسعني  
أن استجير عنك بفرد من أبطال قبيلتي لعلمي أنه لن يجرنني من  
عقابك احد ، فاقضي ما أنت قاض . «

وجم خلف عن الكلام قليلاً كما لمغمى عليه ، ثم أفاق فصاح  
بمستجيره : أن اذهب فقد عفوت عنك ، وابتعد لئلا يأتينك عمي  
فيقتلك .

القاتل — لا استطيع القيام فقد خارت عزائي من شدة  
خوفي منك .

خاف - إذن سأحملك على فرسي حتى أضعك في بيت أمير  
القبيلة الشيخ مجهم بن مهيد<sup>(١)</sup>. فحمله خلف على منكبه فأركبه فرسه  
ومن ثم ذهب به حتى أدخله في بيت رئيس القبيلة ثم انصرف عائداً.  
وما يزال البطل خلف على قيد الحياة حتى هذه الساعة التي  
اسجل فيها هذه الكلمات وهو يعيش عزيزاً شامخ الأنف بين  
قومه. أما القاتل فلم تطل مدة حياته لأن الرعب عشمش وفرخ  
في مهجته من خلف الذي صارحه بعد ما وضعه في بيت زعيم  
القبيلة بقوله: «إني قد عفوت عنك الآن وعفوي هذا قد لا يدوم  
طويلاً فإن استطعت أن ترحل وتبتعد عني وعن القبيلة التي اسكن  
بين ظهرانيها فافعل فإنني لا آمن شعوري أن أراك فاقتص منك لآني  
استطعت أن أملك نفسي واسيطر عليها عندما كنت في بيتي  
لاجئاً ولكنني أخشى أن لا أستطيع ضبط عواطفني فيما إذا رأيتك  
في موضع غيره».

عندما سمع القاتل هذا الوعيد من البطل أصابه ذعر وساءت  
صحته وما زال داء الرعب يفتك به حتى فارق الدنيا وأهلها.

(١) يقص علي الشيخ النوري بن مجهم بأنه كان حاضراً عندما وضع خلف القاتل  
في بيت أبيه والنوري هو رئيس عشيرة الفدعان حالياً ونائبها في البرلمان السوري  
ورويت هذه القصة من الشيخ مجهم ابن مهيد كما رويتها مفصلاً من خليل ابن حاكم بن مهيد.

## يعفو عن قاتل شقيقه

قصة (مقعد الدهينة) وهلال ابن عمه وقعت في سنة ١٣٤٤ هـ

تزوج هلال ابنة عمه شقيقة مقعد الدهينة وقد كان زواجه لها بدون اختيارها<sup>(١)</sup> ورضاها بصفته ابن عمها المباشر حسب العادة المتبعة ولما كانت هذه الفتاة غير راضية ولا مأخوذ رأيها في اقترانها من ابن عمها لهذا ما استطاعت أن تعيش معه قطعياً ولا من طريق المجاملة بل أعلنت نشوزها عنه والتجأت الى بيت أخويها الإثنيين (غازي) وهو الأكبر ولكنه أخ لها من الأب فقط ، أما الأخ الشقيق هو « مقعد » وعندما هربت من بعلمها (هلال) الى بيت أخويها ذهب هلال يطالب أخويها بها فحاولوا أن يقنعوها لتعود الى بيته ولكنها أصرت وأبت وفضلت الموت على العودة اليه ، فلما رأيا شدة إصرارها تركا سبيلها ولم يضغطا عليها .

---

(١) مقعد هذا يعتبر من الابطال الأفاضل وهو من رؤوس الأخوان الذين حصل بينهم وبين الملك المرحوم عبد العزيز شيء من الخلاف ومن الذين نجو من عقاب الملك وهو من رؤساء عشيرة النفقة المنفرعة من قبيلة عتيبه وهو مازال على قيد الحياة .



أما قرينها هلال فقد بات في ذهنه أن أخويها هما اللذان  
شجعاها على النشوز فأضمر لهما سوءاً وذهب يلتمس الفرصة التي  
يفتك بأحدهما هذا ولم يخطر ببالهما أن ابن عمهما رسخت في  
ذهنه هذه النية السيئة لأنه لم يتظاهرا أمامهما بشيء من هذا القبيل  
واستطاع الغادر أن يوارى غيظه وحقدّه ، حتى سنحت له الفرصة  
التي وثب بها على الأخ الأكبر المسمى « غازياً » فأطلق من  
بندقية رصاصة خرقت صدره فلقى حتفه فوراً وهرب القاتل حالاً  
واستجار بيت شخص يدعى « سوارى العويل » من عشيرة  
النفعة قبيلة كلا المتخاصمين .

حدثني « مقعد » انه عندما بلغه خبر مصرع أخيه غازي فقد  
رشده واختطف بندقية ولحق بالقاتل قاصداً قتله بدون أن يفكر  
في القوانين العربية بشأن المستجير ويؤكد لي أنه قصد البيت الذي  
استجار به قاتل أخيه فلما دنا منه قابله « سوارى » الذي استجار  
به المجرم وأراد أن يحول بينه وبين هلال القاتل ولكن مقعداً  
لما رأى ذلك من « سوارى » وضع البندقية في صدره فهرب  
« سوارى » منه وشاء أن يترك سبيل مستجيره لينجو بنفسه  
لأنه نظر الى مقعد نظرة الرجل الذي لا يملك من عقله شيئاً ولكن  
« مقعداً » بهذه اللحظة أتى من خلفه وطرح أرضاً وذهب به الى بيته



وآخر الأمر انتبه من ذهوله وهدأت أعصابه وعاد اليه رشده وعلم أنه لو قتله في بيت مجيره لأصبح هو المجرم ، ومن ثم تقوم عليه الحجة فيما بعد ولا يجد من يناصره لأن قتل المستجير عند العرب ليس بالأمر السهل .

أما « هلال » فقد هرب فوراً من مستجيره والتجأ الى عشيرة الشيايين وهم من نفس قبيلة عتيبه ، وإنما هم بعيدون عن النفعه عرب « مقعد » وعندما علم « مقعد » بذلك ذهب الى أولئك العرب يحاول الفرصة التي يقضي بها على حياة القاتل ولكنه أخفق بمحاولته لأن القاتل لما علم حرص مقعد على قتله هرب وترك « نجداً » كلها وشخص نحو الكويت وبقي وقتاً متواريًا ، لا يعلم عنه شيء ، وبعد مضي مدة من الزمن علم « مقعد » أن المجرم يسكن الكويت ولكن مقعداً الآن في شغل شاغل عنه وذلك عندما كان مطالباً من قبل الملك عبد العزيز بن سعود الذي يعتبره أخل بالأمن ، وقتل جنوداً من جنود حكومة الملك بوقعة تسمى « الهبكة »<sup>(١)</sup> سنة ١٣٤٨ هـ غير أن مقعداً عندما ضاقت عليه الأرض

(١) كانت هذه الوقعة في موضع يقع شمال جبلي طلي ، ذلك أن سرية خرجت من قبيل الوالي على مدينة حائل فاصطدمت هذه السرية مع جنود الاخوان الثمردين على الحكومة الذين يرأس قسماً منهم فرحان ابن مشهور بن شعلان والقسم الثاني يرأسه مقعد صاحب الترجمة .

بما رجبت ، هناك اضطر أن يذهب الى الكويت فالعراق لينجو  
 بنفسه من بطش الملك ابن سعود فولى هارباً الى الكويت مبدئياً  
 وعندما وصلها سعى بدوره يتجسس على خصمه هلال فوجد في  
 الكويت قوماً من عشيرته الأقربين كما أنهم أيضاً أقارب لهلال  
 وهم ثلاثة رهط وهذه اسمائهم « دحيلان وعويض وغافل » هؤلاء  
 كلهم من المساعيد فخذ مقعد الدهينه القريب حدثني مقعد انه  
 عندما وجد هؤلاء الرهط قال لهم جميعاً : أنتم الان علمتم بوجودي  
 قبل أن يعلم (هلال) ولكني أقسم لكم بالله لئن غابت شمس اليوم  
 قبل أن تأتونني به لأجري عليكم العقاب الذي أنوي تنفيذه بهلال  
 قالوا له وكيف يكون ذلك ؟ قال سأتوارى في بيت أحدكم وانتم  
 تأتون به كأنه مدعو عند صاحب هذا البيت ، فتم الاتفاق  
 بينهم على أن يخذعوا الغادر<sup>(١)</sup> وفي آخر النهار أتى الثلاثة ورابعهم  
 القائل ولا زالوا يسرون سويًا حتى دنوا من البيت فلما أدخلوه من  
 الباب أشعروه بالحقيقة وأفهموه أنهم مرغمون على هذه العملية<sup>(٢)</sup>  
 فعند ذلك لا يعلم أين يذهب فلا حول له ولا طول ، فدخل

(١) اظن ان هؤلاء الجماعة الذين في الكويت اقرب عصبية لمقعد من القائل هلال  
 فلو لم يكن ذلك لما فعلوا عملتهم هذه .

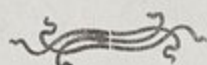
(٢) عندما وصل مقعد الكويت لم يكن بمفرده بل كان معه بعض من بقية  
 عصبته الذين حاربوا الملك معه .

على عدوه الذي لم يكن بينه وبين قتله الا رؤيته له وتمكنه منه .  
فطرح هلال نفسه بين يديه وجلس على ركبتيه ويديه ينتظر  
عدوه أن يتر عنقه ولكن عدوه كان أكرم منه نفساً وأوصل  
رحماً وأطهر قلباً وأعف يداً فعفا عنه .

أجل لقد أبت نفس مقعد العزيزة أن تقتل هذا الغادر لأنه  
رآه ميتاً بطبيعته وليس القتل بعرف الأنجاب أصحاب المروءة المثل  
هو إزهاق النفوس ومس فك الدماء بأي وسيلة كانت ، هذه  
العملية من طبيعة الوحوش أما العظماء من الرجال فهم يرون أن  
الأمر عكس ذلك ، عندما رأى هلال أن مقعداً عفا عنه طلب منه  
أن يتفضل عليه بوثيقة يكتبها له لتكون على ما يزعم شهادة له  
فيما لو أتاه فيما بعد ابن « مقعد » فأجابه ( مقعد ) لا حاجة لك  
بهذه الوثيقة لأن أخي الذي قتلته ليس له من العصبية الذين  
يطالبونك بدمه أقرب مني ، وإبني الذي لم يتجاوز الآن الستين من  
عمره . ويقول مقعد إنني اكدت له أن ابني لم يبلغ عمر الرجولة إلا  
وأنت على أحد أمرين إما أن تكون ميتاً أو تكون هرمًا على  
اعتبار أن عمرك الآن ستين سنة فأكثر فإن يكن ابني كريماً  
عندما يراك هرمًا فإنه سوف يعفو عنك ويترك سبيلك ولو لم



يكن معك مني وثيقة وإن كان ابني ديناً قاصر مروءة فلو أعطيتك  
 وثيقة من عندي فليست هذه الوثيقة منجية لك من شره ..  
 ومن الجدير بالذكر أن ابن مقعد المدعو « غازي » المسمى  
 على اسم عمه المقتول هذا الفتى قد ساقه القدر لزيارة الكويت  
 بعد مضي عشرين سنة على الحادثة فوجد هلالاً قاتل عمه في تلك  
 البلدة ، وجده شيخاً هرمًا قد انحنى ظهره وفقد بصره وبقي  
 هيكلاً أجوف ألت به شتى المصائب <sup>(١)</sup> : هرم وغربة وفقد بصر  
 وفراغ يد فلما رآه الفتى بهذه الحالة أخذته الرحمة والعاطفة  
 العصبية فأواه عنده مدة إقامته في الكويت وأحسن إليه وعندما  
 فارقه سلمه مبلغاً يستعين به على نوائب الدهر <sup>(٢)</sup> .



(١) يروي لنا التاريخ أن أحد السلف الصالح رأى شيخاً هرمًا يتكفف الناس  
 فقال : ضيع الله في شبابه فضيمه الله في هرمه فلو حفظ الله في شبابه لحفظه الله في هرمه .  
 أي لو حفظ حدود الله في صباه لحفظه الله في شيخوخته .  
 (٢) رويت هذه القصة من بطاها مقعد .



## اكرام بعد عفو

قصة عقلي بن غمور وصاحبه وقعت في سنة ١٣٥١ هـ

وشى صاحبه به عند ولاية الأمر فألقت الحكومة السعودية على عقلي القبض وسجن في الرياض وقد تأكد وهو في سجنه ان الواشي به صاحبه فلان فبعث له من سجنه يهدده بالعبارات الآتية :  
« انا لست مؤبداً في السجن وسوف أخرج ولو بعد حين ولكن بعدما أخرج فليدافع عن نفسه ما استطاع . واقسم عقلي<sup>(١)</sup> على نفسه بأنه سيبتصف منه ولا يتركه حتى ولو علم انه عندما يشفي غيظه منه بأن الحكومة ستعاقبه بالموت » .

تبليغ صاحبه هذا التهديد من عقلي فاهتم له ولكن لم يبلغ

---

(١) عقلي من قبيلة ثمر من الوبار من عبده وهو شجاع وشهم وجه المروءة الى ابعد حد ، ولقد الجأني ظروف خاصة فاضطرت ان اظن عند الوبار الذين هم فخذ الرجل واكثر شيء اعجبي من اخلاق البادية هو تقديرهم لصاحب الفضيلة ، فهم لا يقيمون وزناً لصاحب المادة اذا عري من مكارم الاخلاق مهما بلغ من الثروة ، وبما ان صاحب الترجمة رجل لا يوجد عنده من الماشية لاثاغية ولا راغية اللهم الا الشيء الذي لا يذكر ورغم اعدامه هذا فان افراد عشيرته بصورة عامة يرون له من الحرمة والتقدير الشيء الذي يشير الاعجاب ، وهذه خلة مع الأسف محروم من تنفيذها الكثير من المدنيين الذين لا يرون للانسان قيمة الا بقدر ما يناله من ثروة ملفقه ومظهر براق .

به الاهتمام الحد الأكبر وذلك بحكم سجن الحكومة الحائل بينه وبين صاحب الوعيد .

ومضت أيام واذا بالسجين يطلق سراحه بريئاً ولم يثبت لديه أي تهمة تدينه وحالما تبلغ صاحبه خروجه من السجن ضاقت عليه الدنيا بأكلها ، فلا يرى نصب عينه أرضاً تقله ولا سماء تظله وخير وسيلة يلتجئ إليها هو أنه التجأ بعقلي من سطوة عقلي فلم يشعر حتى دخل الرجل بيته ولاذ بجانب الرواق ومن ثم صرخ صائحاً أنا مستجير فأجرني يا عقلي ، فقفز عقلي والسيف مشهور بيمينه مجاباً للمستجير بهذه العبارة « ابشر فقد أجزتك من كل معتد فيجيبه المستجير أنا فلان ابن فلان هارب من سطوتك خائف من عقابك لم أجد من العرب من يحيرني عنك ولقد ضاق بي فضاء الدنيا عندما تباعدت وعيدك وها أنذا لا أئذ بجوارك خشية من سطوتك .

بعد ما سمع عقلي هذا الحديث الذي جابه به ضيفه اغرورقت عيناه من أثر هذه العبارات وندي جبينه حياء وتهلل وجهه سروراً وطر باو ذهب يقبل مستجيره ويضمه الى صدره ويلطفه بكل هدوء وبشاشة وعلى الفور ذهب واستحضر كبشاً من الظان ونحره له ودعى على شرفه كبار قومه وأعيانهم .<sup>(١)</sup>

(١) رويت القصة عن ثابت الهباس بن مرشان

## يصفو عن قاتل أبيه بعد ما تمكن منه

قصة ( مذهان بن شنان بن غافل )<sup>(١)</sup>

مع ( سمران العود الشمري )<sup>(٢)</sup>

وقعت في شهر رمضان عام ١٣٥٦ هـ

ذهب نفر من قبيلة ( الفدعان ) قاصدين غزو قبيلة ( شمير الفرات ) فانصببت غارتهم على إبل أحد فرسان القبيلة الشمرية المدعو ( العود الخريصي ) وحمي الوطيس بين الفريقين وكانت الغلبة للعود الخريصي ، فقد شاء القدر أن يُقتل « شنان بن غافل » بيد « العود » .

وكان للمقتول ابن دون العاشرة من عمره عندما قتل والده . ومضت السنون وبلغ الفتى الحلم ، وشب وهو لا يحلم بشيء سوى الأخذ بثأر أبيه . أما القاتل فقد بلغه الخبر أن مقتوله خلف

---

(١) « مذهان » من الفدعان من قبيلة عنزة وهو ابن غين الذي كان لأسرته رئاسة قبيلة الفدعان سابقا .

(٢) العود كنيته أما اسمه فهو « سمران » وهو من عشيرة الحرس المنفرعة من قبيلة شمير .

مولوداً مثلاً في البطولة والاقدام لهذا بات عنده من الحزم ما جعله  
يهم ويحرص بأن لا يدع لخصمه إليه منفذاً فيتسلل منه إليه ويغتاله  
غدرآ. ولكن كما ورد في المثل العربي « لا ينفع الحذر إذا حكم  
القدر »

لقد ظل الفتى يسبر غور قاتل أبيه ، وينقب عنه ، وما فتئ  
يتعقب حركاته وسكناته حتى ساقه القدر إليه وهو راقد في  
مضجعه . ولم يشعر القاتل حتى جثم خصمه عليه وتمكن منه بحيث  
لا يستطيع الدفاع عن نفسه .

حالما ظفر الشاب بقاتل أبيه وضع المديّة على عنقه وقبل أن  
يحرز رأسه صاح بوجه خصمه أتعرف من أنا ؟؟  
فأجابه : أأنت مذهان بن شنان ؟

الفتى — : بلى هو وإني أناشدك الله أأنت  
قاتل أبي ؟

العود — بلى . ولكن شتان بين قتلي لوالك وبين قتلك  
إياي الآن . أما والدك فقد غزاني عند أهلي وأراد نهب إيلي وقتلي  
فدافعت دون مالي ونفسي حتى قتلته وجهاً لوجه ، لم أغدره ولم أعتد  
عليه كما اعتدى علي هو وكما اعتديت علي أنت ؟ والآن ! أيها الفتى لقد



ممكنك الله مني فإن قتلتني فأني أرجو أن أكون شهيداً في شهر  
رمضان المبارك ، وإن عفوت واحسنت فإن الله لا يضيع أجر من  
أحسن عملاً .

الفتى — بل عفوت . فاذهب عتيقاً لوجه الله وأرجو أن يقبل  
الله عملي هذا كثواب لروح والدي المرحوم .

العود — أرجو أيها الفتى الكريم أن تتفضل علي بقبول  
الدية كما تفضلت علي بمفوك عن دمي .

الفتى — ليست الدية أئمن عندي من دمك فكما أنني عفوت  
عنك فمن العار أن أرضى شيئاً من المال بدلاً عن دم والدي .

ذهب الفتى إلى أهله وهو مرتاح الضمير وخال من الهم  
لاعتقاده أنه قتل خصمه . وهو فعلاً قد قتله معنوياً لأن القتل في  
عرف أصحاب النفوس الكريمة الأبية ليس هو إراقة الدم ،  
وإنما هو ما يشير إليه قول الشاعر معروف الرصافي في البيت  
الثالث من هذه الأبيات :

تزود من الحسنى بما أنت قادر

عليه ولا تقبل سوى العقل مرشداً

واحسن إلى من قد أسماء تكرماً

وإن زاد بالاحسان منك تمرداً

وحب الذي عاداك إن رمت قتله

فإني رأيت الفضل أقتل للعدى

اجل لقد قتل العنزيُّ الشمريَّ بفضلِه واحسانِه وعفوه لا  
بسيفه . ترى لو قتله الفتى وشفى غيظه وحققه أكنّا نسجل له  
في سجل شيم العرب هذه المفخرة التي ستبقى له خالدة مدى الدهر  
إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؟! إذن فقد ربح الفتى ربحاً  
معنوياً بعفوه عن خصمه .

بعدما وصل الشاب إلى أهله عائداً من مغزاه ، اقتاد الشمري  
فرساً أصيلة صفراء<sup>(١)</sup> وقدمها للفتى مذهباً الذي اعتق رقبته ،  
وذلك دلالة على بياض وجه الفتى . وهذه عادة متبعة من عادات  
العرب ؛ فإن فاعل الجميل يشاد بذكره ويعلمن مجده بعلامة تكون  
بيضاء يضاف بها على أندية العرب ومجتمعاتهم .

وهذه الفرس كل من يراها يعلم أنها عنوان مجد فعله الرجل  
المقدمة إليه . وعلى هذا الاعتبار قبلها الفتى . والجدير بالذكر أن  
من عفا ومن عفي عنه حيّان يرزقان إلى هذه الساعة التي كتبت  
فيها هذه الأسطر<sup>(٢)</sup> .

(١) أي بياض لا يقال للفرس البيضاء في اصطلاح العرب المعاصرين الا صفراء .

(٢) القصة مشهورة .

## فصل

### في عفة نساء العرب واخبارهن

#### مهداة للفتيات العرييات

قصة كنعان الطيار<sup>(١)</sup> مع ابنة عدوان بن طوالة

وقعت بين ١٢٢٢ و ١٢٣٠ هـ

كان لعدوان فتاة وهبها الله قسطاً وافراً من الحسن  
الفاتن مع جاذبية رائعة ، وكان الطيار ينظر إليها بعين  
العشق والغرام ويحرص على أن يجد الساعة التي يخلو بها ليشعرها  
بما يحتاج في نفسه من مودة لها وغرام ، ولكنه طال عليه المدة  
ولم تسنح له الفرصة التي يتمكن بها من الوصول الى هذه الفتاة  
التي سحرته بحسنها ، وما زال الطيار يتربص الفرص بها حتى تيسرت

---

(١) كنعان الطيار رئيس عشيرة ولد علي من بني وهب من قبيلة عنزة اما عدوان  
ابن طوالة فهو رئيس عشيرة الاسلام من قبيلة ثمر .

له بكل سهولة ، وذلك بعدما رحل عرب الفتاة عن منزلهم الذي كانوا يقطنونه من قبل وهم في مسيرهم هذا قاصدون المنزل الآخر الذي يكون أخصب نباتاً لماشيتهم ، هناك تذكرت الفتاة حاجة من حوائجها نسيتهما في الموضع الذي رحل عربها منه فرأت أنه بإمكانها أن تعود الى المكان وتأخذ حاجتها التي نسيتهما ، ومن ثم تلحق بعربها قبل أن يخطوا رحلهم في المكان الذي يقصدون الحلول فيه .

لقد عادت الفتاة مسرعة الى منزل أهلها السابق ، فعندما وصلت إليه أناخت راحلتها وعقلتها وذهبت تبحث عن ضالتها وفي هذه اللحظة رفعت طرفها خلفاً فرأت فارساً مدججاً بسيفه ورمحه متجهاً إليها بالذات ، فرفعت طرفها ثانية للتحقق عن هذا الرجل القاصد لها بهذا المكان الخالي . وقالت في نفسها : لعله والدها أو أحد اخوانها دفعه وازع الشفقة والغيرة فلاحق بها .

هذا ما كانت تظنه الفتاة بالفارس في أول الأمر ، ولكنه بعدما دنا منها أبصرته : وإذا هو أجنبي لا عن أسرتها فقط ، بل عن عشيرتها .

---

(١) لست ادري ماهي الاسباب والعوامل التي جمعت بين الطيار الذي يراس إحدى فئات عزة وبين ابن طوالة الشمري رئيس عشيرة الاسلم . لا بد ان هناك اسباب جمعتها ؟؟



إنه كنعان الطيار العنزي الذي لا يمت لها بأية صلة من  
صلات النسب .

الآن انقلب ظننا الحسن الى ظنون سوء ، وماهي الا لحظة  
وجيزة حتى أقبل الفارس يلقي عليها تحيته المعسولة ، وفي هذه التحية  
منتهى التغزل والغرام ، وقد بادلت الفتاة تحية كان فيها من  
الغنج والرقّة ما يلهب غرام الطيار ويزيده اشتياقاً ويجعل نفسه  
تحدثه بنيل مناه من هذه الحسناء بكل سهولة <sup>(١)</sup> فدنا منها أكثر  
مما كان . فأبدت له جانباً من اللين والهدوء والسماحة الشيء الذي  
زاده طمعاً بها .

بعد ذلك حدثها بلهجة العاشق المتفاني بغرامه ، فأبدت له  
أنها تكن له من المودة والعشق أكثر مما يتصوره ، بعد هذا  
التصريح الذي سمعه من معشوقته ، لم يبق عنده من الصبر شيء الا  
أن يقرب منها ليقبلها وتبادله بالمثل ، فدنا منها باندفاع وذ هول فلما  
رأت ذلك منه أجابته قائلة « يجب أن تعلم أنني لم اعد راجعة من  
العرب وأنفرد وحدي عن أهلي إلا من أجل مودتي وغرامي بك  
ذلك الذي جعلني اضحي بعرضي في سبيلك ، وهأنا الآن على أكل

(١) ولا غرو من اين حدثت هذه الفتاة وما ابدته من غنج لأن النساء الشرقيات  
مشهورات بلين العريكة وسلاسة اللفظ فأصبح الأمر طبيعياً لا يستغرب من النساء اللواتي  
منهن هذه الفتاة ولا سيما صاحبتنا تعمدت هذه اللباقة حتى تورم الطيار وتخدعه لتمتكن منه  
في تنفيذ مكيدتها التي حاكتها له .

الاستعداد بأن اسلمك نفسي ولاكني أخشى شيئاً واحداً هو أن  
ينظر إلينا أحد من عربنا فتكون الفضيحة على الإثنين ، وعلي أنا  
أكثر مما هي عليك ، لأن عقابي من أهلي ليس كمقابك  
والفضيحة علي ليست كالفضيحة عليك ، فأنا عقابي القتل وإن لم  
أقتل فلا أجد من يتخذني له زوجة من شباب العرب مدة حياتي  
ومعنى ذلك أقتل قتلاً معنوياً ، وهذا أخف الخطرين .

الطيار : « ما هو رأيك إذن ؟ »

الفتاة : أريد أن تركب فرسك وتمد بصرك جنوباً وشمالاً  
وشرقاً وغرباً ولا ترجع حتى ترى الصحراء خالية من النامر الخلو الذي  
يجعاني اطمئن على نفسي وعليك ، فاذهب أنت على ظهر فرسك  
وأنا ههنا أنتظرك وأنظر الى حركاتك فإن رأيت أحداً من العرب  
أقبل علينا فافعل إشارة من عندك لأركب جملي ويكون الوعد  
بينني وبينك غداً فيما اذا رحل العرب فإنني سوف أفعل لك كما  
فعلت اليوم ، وإن لم تر أحداً فعد تجدني في نتظارك .

الطيار : « هذا هو الرأي السديد »

وعلى الفور ركب فرسه وذهب ينظر الى الجهات الأربع ،  
ثم يعود كرة فينظر إليها فيجدها جالسة تتحرى الإشارة منه ،

فلما عاد بدون أن يشير إليها بشيء حسب التعاليم المتفق عليها بينهما ، عند ذلك أيقنت انه الآن لم يكن بين عينيها عدا مفاجأة ونيله من عرضها . فرأت أن تخدعه أكثر مما سبق حتى يؤمن بصحة ما تدعيه له من محبة وغرام . فبدأت تتحسن له وتكحل عينيها وتلبس أجمل ما عندها من الثياب <sup>(١)</sup>

فلما دنا منها ووجدها بهذه الصورة متجملة ولايسة ألبستها الجميلة ، لم يكن عنده الآن أدنى شك من صحة عشقها إياه ومودتها له ، فقد اعتقد انها صادقة بكل ما قالت ، وسيصدقها الآن بكل ما تقوله له ، أقبل عليها بفرسه ، كما أنها قابلته ماشية تحييه كما تحيي الوالدة الرؤوف ابنها البار ، فلما قرب منها صاحبت بشرني « يا بعد حي وميتي ويا خلف أمي وأبي » عساك مارأيت أحداً يكدر صفو عشقنا <sup>(٢)</sup> .

---

(١) ماذا يكون مصيرها لو قدم عليها أبوها أو أخوها ورأى هذا الاجنبي مقبلاً عليها وهي متجملة له ولايسة احسن ثيابها ، لاشك انها ستقع بالغفغ ومن الذي يقبل منها انها فعلت ذلك عن مكيدة وخدعة ، ولكن من اراد السر لا بد الا ان يستره الله ، لهذا نجد ان الله اضفى ستره على هذه العذراء التي ابتليت بهذا الشاب الطائش .

(٢) هذه الجملة قليلة أن ينطق بها من نساء العرب غير النساء اللواتي من قبيلة ثمر ومعنى قولها « يا بعد حي وميتي » اي فديتكم بالاحياء من عشيرتي والأموات ، وقولها « يا خلف أمي وأبي » اي جعلتكم في المحبة والوداد والمنزلة في قلبي ما يفوق محبة أمي وأبي فأنت خلف لها .



الطيار : « أبشري إنني لم أر أي انسان وإن الصحراء خالية من العرب مرة واحدة » .

الفتاة : « هذا ما أتمناه يا بعد هلي <sup>(١)</sup> » ولكني لست مطمئنة ولا هو مرتاح ضميري إلا أن اذهب بذاتي وأنظر بعيني اللتين اثق بجودة نظرهما الى أبعد حد <sup>(٢)</sup> .

الطيار : لا بأس من أن تذهبي وتنظري بنفسك لتطمئني اكثر .

الفتاة : اعتقد اني اذا ذهبت ماشية على أقدامي لا أستطيع أن أتمكن من رؤية البعيد كتمكني منه اذا كنت راكبة إما جملي أو فرسك ، ثم استدركت الحديث وقالت : لاشك انني اذا ركبت جملي لا أتمكن من العودة عليه بسرعة كتمكني فيما لو ركبت الفرس .

الطيار : بل اركبي فرسي وسأحملك على ظهرها بكل ممنونية  
الفتاة : لا أريد أن اكلفك بحملك إياي على الفرس يا نور

---

(١) اي فديتك بأهلي .

(٢) لقد كانتا عينا الفتاة يشفعان لها فيما تدعيه امام معشوقها المخدوع فهو لا يشك ان هاتين العنيتين الساحرتين يريان من المدى البعيد اكثر مما يراه بذاته ، لهذا اصبح لا يكذبها بما تدعيه من قوة نظرهما كما أنه لا يخامرہ الشك بأنها صادقة بلهجتها لأن تفنجهما له وكلماتها المعمولة وتجميلها كل ذلك كان شافعا لها بتصديقه إياها .



عيني فاني باستطاعتي أن اركب الفرس بكل سهولة<sup>(١)</sup>

الطيار : تفضلي اليك الفرس وها انا بانتظارك

تناولت الفتاة زمام الفرس فوثبت عليها ولما استقرت على صهوتها نرخت عنه قليلا ، حتى ايقنت أنه لا يستطيع أن ينالها بسوء ، هناك صرخت به « ياللفاجر الغادر » ومازالت تصب عليه وابلا من الكلام القارص .

الطيار : هذا هو ما اعتقده بك يا ابنة عدوان ، فـكوني على ثقة أنني لم آت اليك قاصداً أن أنال من عرضك كما تبادر لذهنك مني الآن .

الفتاة : وهل من المعقول أن لك قصداً آخر سوى قصدك السيئ الذي ظهر لي منك سافراً جلياً ؟ .

الطيار : نعم ان قصدي الاساسي هو امتحان عفتك . ذلك أنني مصمم على أن اخاطبك من اهلك ، واتخذك قرينة لي ، وليس الاقتران بالامر السهل : بل انه عنوان سعادة المراء في الحياة ، أو مدعاة لشقاوته وتعاسته ، ولما كنت فتاة قد توفر فيك مجد الأب وأصالة الخيال وعراقة الاسرة والحسن الكامل

---

(١) أغلب نساء العرب يحسن ركوب الخيل خاصة بذلك العهد لاسيما بنات الفرسان كهذه التي لا يتخلو بيت ايها من عشرات الجياد .

فكل هذه الامور الحيوية لاشك انها مظهر ايجابي وعنوان  
جذاب لرغبة الفتى الذي تحدّثه نفسه بالزواج من فتاة ما ، ولكن  
هذه العوامل الايجابية التي قد توفرت بذاتك ، فهي وان كانت  
مغرية لبعض من الشباب ، فاني امرؤ غيور أبي ، لا اكتفى  
بذلك فقط ، بل اني علاوة على ذلك اطلب ما هو أنبل منها الا  
وهي العفة التي هي اسمى وأشرف سجية تتصف بها الفتاة لأنها المحور  
الاساسي الذي يترتب عليه حفظ النسب ، والعفة طبعاً سجية كامنّة  
في الخلق لا تتجلى ولا تبرز الا عند الامتحان ، لهذا قلت في نفسي  
لابد من أن امتحنك ، فان وجدتك على ما أعتقد ، رضيتك لنفسي  
حليّة وخطبتك من اهلك ، فان أخلفت ظني نبذتك ، وحذرت  
عنك كل فتى يمت الي بصلة نسب أو صداقة .

الفتاة : هب أني أخلفت ظنك ، أما تخشى أن يسلط الله  
على محارمك من يهتك اعراضهن عقوبة لعملك ، ويفضحهن عند  
رجال الحي كما شئت أن تفعله معي الآن .

الطيار : لك أن تفعل معي ما شئت من التوبيخ الادبي  
فانه لا يهمني ذلك طالما اني وجدت بك ضالتي التي أصبو اليها .

الفتاة : لا حديث لك معي الآن قطعياً واني لذهابة  
إلى أهلي .

الطيار : اتقي الله لا تخزيني بين قومي

الفتاة : أقسمت بالله باني ان أتنازل عن شرفي وكرامتي  
بل اني سوف أذهب إلى أهلي وأخبرهم بما تم من أمرك معي  
وهذه فرسك شاهدة عليك ، اللهم إلا أن تركب جملي وتحمل  
مجلي في الهودج ، فان فعلت ذلك . ربما أنظر في أمرك فيما بعد «  
وأخيراً ركب الفارس جل الفتاة ودخل في وسط ظلها<sup>(١)</sup>  
لاحول له ولا طول وأعظم مصيبة عليه واكبر فضيحة له فيما لو  
مر به عابر سبيل من عربيه ونظره راكباً على جل الفتاة وهي  
راكبة على فرسه ماذا يكون موقفه ياترى ؟ وماذا يكون  
موقف الفتاة منه ؟ وهل يليق بها بأن تنزل عن الفرس وتعطيها  
صاحبها ؟ طبعاً لا إنها إن فعلت ذلك أقامت على نفسها الشبهة ،  
وكان ذلك ادعى لاتهمها ، وهي باستطاعتها أن تبعد الشبهة  
عن نفسها .

---

(١) الظة هي الهودج أي مركب يوضع فوق ظهر الجمل والمراد به مجموعة من  
المعي تخني ويحمل فوقها ستار من القماش النسائي المقصود انه مركب لا يحل فيه ولا يركبه  
لا النساء الفتيات .



إذن سيكون هو الذي يقع بالشبهة ، لا محالة ، ولكنه قد  
ستر الله عليه ، بعد أن بقي راكباً على ظهر جل الفتاة وهي على  
صهوة فرسه حتى قربت من أهلها ، عند ذلك عطفت عليه وعفت  
عنه وتركت له فرسه وأخذت رسن جملها وذهبت الى بيت أهلها  
وهي نزيهة العرض ناصعة الجبين .

ولكنها لم تعف عنه حتى رمى نفسه تحت رحمتها وبين أعجزه  
وقلة اقتداره كما أنه أعلن ثنائه عليها وأشاد بمدحه وثنائه على والدها  
ولعل الأبيات التي ارتجلها الطيار عندما كان في الهودج ، هي بلا  
شك أوضح صورة ناطقة عن واقع أمره مع هذه الفتاة فتدبر  
معي قوله :

(١) يا الله يا فراج يا وال الأفراج

يا لالي غني والناس بيا بأك محاويج

(٢) تفرج لمن كنهه بحقي من العاج

مُتَحِير ضاقت عليه المناهيج

---

(١) يا والي : يا من بيدك . محاويج : محتاجين .

(٢) الحق : الصندوق .



- (٣) عَزَى لِمَنْ خَلَّنَهُ الْبَيْضُ مَسْهَاجَ  
رَكَبَتْ جَوَادِي وَازْكَبْتَنِي هَجِيمِيحَ  
(٤) يَا بِنْتَ مَنْ هُوَ بِاللِّقَا يَلْبَسُ التَّاجَ  
إِلَى حُلِّ بِالرَّبْعِ الْمُقْفَيْنِ تَزْعِيجَ  
(٥) مَا كُوْلَهَا الْخَنْطَةُ عَلَى صَالِي الصَّاحِ  
وَمَشْرُوبَهَا دَرَّ الْبَكَارِ الْهَجَاهِيحَ

### الشرح :

قوله : (١) « يَا اللَّهُ يَا فَرَّاجَ يَا وَالِي الْأَفْرَاجِ يَا لِي غِنَى وَالنَّاسِ  
يَبَابِكَ مَحَاوِيحَ » يدعو الشاعر الله ويعترف له بالقدرة الخارقة  
على سرعة الفرج ويقول يارب أنت الغني والناس كلهم محتاجون  
لرحمتك وغفرانك .

(٢) تَفَرِّجْ لِمَنْ كَانَتْ بِحَقِّ مِنَ الْعَاجِ  
مُتَحَيِّرَ صَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَنَاهِيحُ «

(٣) عزي : ما أكبرها مصيبة . خلننه : تركنه . مسهاج . مهزلة . هجيميح :  
جمل صغير .

(٤) اللقاء : لقاء العدو . إلى : إذا . المقفين : المدبرين . تزعيج : صباح .

(٥) الصاح : صفيحة من حديد يخبز عليها . البكار الهجاهيج : النوق البكر

يقول أسألك يا الله أن ترأف بحالي وتيسر لي الطريقة التي  
 يكون لي فيها فرج من هذا المأزق الحرج ، وهو يصف نفسه  
 كأنه مسجون في قلب صندوق مقفل عليه . ثم يشرح فيقول :  
 اني الآن بأتم الخيرة من أمري ، وكل سبيل أريد أن التمسه أجده .  
 أماي ضيقاً لا مخرج لي منه . وهكذا يقصد بقوله :  
 « مِتَحَيْرٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَنَاهِجُ »

( ٣ ) « عَزَى لِمَنْ خَلَنهُ الْبَيْضُ مِسْهَاجٌ  
 رَكِبْتُ جَوَادِي وَارَكِبْتَنِي هَجِيهِيحُ »

بهذا البيت صور لنا الشاعر ابلغ التصوير عما وقع فيه من  
 مشكلته العويصة فهو عندما يقول : « عزي لمن خلنه البيض  
 مسهاج » أي ما اكبرها من مصيبة ابتليت بها حتى أن النساء  
 ضحككن علي « ومسهاج » أي معناه أن الفتاة بعدما ركبت  
 الفرس واركبته هودجها جعلت تمر امامه راكبة فرسه وهو في  
 هودجها ثم تهكم عليه وتسخر من عقله وتوبخه ، وتارة تأتيه من  
 امامه وطوراً من خلفه وأحياناً عن يمينه وساعة عن شماله ،  
 « مسهاج » أي يمر تمر من عنده وقد أوضح لنا الأمر جلياً بقوله :  
 « رَكِبْتُ جَوَادِي وَارَكِبْتَنِي هَجِيهِيحُ » يقول انها ركبت

جوادي فكأنها أصبحت الآن هي الفارس وقد ارتبني مع ذلك  
 جملها وهو يظهر أن جملها غير كبير في سنه وجسمه وذلك معنى  
 قوله « هجيميج » أي صغير، المقصود . يقول : ما أكبرها من بلية  
 على الفارس الذي من نوعه يحل محل العذراء وهي تحل محله .

(٤) « يَا بِنْتُ مَنْ هُوَ بِاللَّحْمَا يَلْبَسُ التَّاجُ

إِلَى حَلِّ رَابِعِ الْمُقَفِّينِ تَزْعِيجُ »  
 هنا بدأ الشاعر يتلطف للفتاة لأنه مرغم فهو يخشى أن تذهب  
 من عنده على فرسه ومن ثم تفضحه عند عهده وعند أهلها وما أسوأ  
 النتيجة فيما لو فعلت ذلك ، لهذا تجده يقول في المصراع الأول  
 « يَا بِنْتُ مَنْ هُوَ بِاللَّحْمَا يَلْبَسُ التَّاجُ » أي استريني يا بنت  
 الفارس المغوار الذي إذا عظمت الهيبة وحمل الوطيس لا يخفي  
 بل يشهر بنفسه ويلبس التاج ، ولا يعني بالتاج تاج الملوك وإنما  
 يقصد بالتاج الشهرة أي يلبس اللباس الذي يشتهر به بين قومه .

(٥) « مَا كُوِّلَهَا الحِنْطَةُ عَلَى صَالِي الصَّبَاحِ

وَمَشْرُوبَهَا دَرَّ الْبِكَارِ الْهَجَاهِيْجُ »  
 تمتدح الفتاة ويقول : أن غذاها كان غذاء عربياً ، فهي ما تنغذى  
 إلا بشرب لبن الناقة البكر التي لم تلد إلا مرة واحدة كما أنها



لا تستطيع الا البر المخبوز على الصاج فهو يزعم أن هذا الغذاء  
يكون ادعى لنمو صحتها وتناسق جسمها . وهنا يؤكد انها ابنة  
أمراء بقوله « مأ كوها الخنطة على صالي الصاج » لأن هذا الغذاء  
لا يتمكن عليه من البادية الا طبقات الأمراء بذلك العهد

وقد كان يترنم بهذه القصيدة على مسمع منها يقصد استرحامها  
وإطلاق سراحه وتركه وفرسه يذهب من حيث أتى .

وقد كانت عند حسن ظنه الأخير بها فهي كما اسلفنا تركته  
يذهب مستوراً لم يعلم أحد عن فعلته هذه ، وربما أن هذه القصة  
كانت جذيرة أن تموت بمهدا ولا تتسرب اليها لولا المناسبات  
والظروف الطارئة التي كانت بلا شك عاملاً أساسياً لذيوع القصة  
مع قصيدتها .

هذا وقد تضاعف غرام الطيار بهذه الفتاة وأصبح مشغوباً  
بحبها ويود أن يضحى بكل شيء ليصل إليها لا بأساليبه الأولى  
الملتوية وإنما يريد لها الآن بزواج مشروع . كما ادعى به لها مؤخراً  
والله أعلم هل كانت هذه نية الطيار من الأساس كما جاء باعترافه الأخير  
أم ان هذه النية طرأت عليه مؤخراً .

وقد حدثته نفسه أن يبذل الغالي والنفيس ويسوق المال والجاه  
حتى يحصل على هذه الفتاة الحسنة المحصنة بنكاح شرعي ،



وأعتقد انه لا يلام بمن يمته هذه حتى ولو دفع جميع ما يملك مهرآ لها فالرابع والسعيد هو . أجل : أليس المصطفى عليه السلام يقول : « تنكح المرأة لدينها<sup>(١)</sup> ولما لها ولجمالها ولحسبها الخ ... »

وعندما هم بالفتاة بطريقة شرعية كان توفيقه بالوصول اليها اجدى وأيسر بكثير مما سبق في الأول أي عندما راودها عن نفسها بتلك الأساليب الشاذة . وغاية ما كلفه الامر من استحصالها هو أن زار والد الفتاة وطلبها منه فانكحه إياها .

وما هي الا أيام قليلة وإذا بها زوجة له ، وكانت أسعد لياليه وأسرها تلك الليلة التي عقد له بها النكاح ومضت مدة طويلة والزوجان بمنتهى المرح والسرور ، ولكن الأيام لا يدوم سرورها ومن الأسباب التي كدرت صفوها وكدرت صفو الطيار بالأخص ، ذلك أن له أخاً أصغر منه ، وكان على جانب كبير من الجمال ، وهو ساكن معه في البيت وكان بدون زوجة ، وفي الحين الذي يأتي هذا الشاب لبيت أخيه كانت ترأف به زوجة أخيه وتعني به عناية كاملة ، وكانت هذه العناية والرأفة التي تبديها زوجة الطيار لأخيه الأصغر ، مما أثار الشك في نفس الزوج وبات عنده من الظن السيء ما يجعله يشك أن زوجته أغراها

---

(١) العفة هي لاشك من صميم الدين .

أخوه بجماله وشرخ شبابه ، لهذا قالت له نفسه لا بد من ان يمتحنها حتى يتجلى له الشك باليقين <sup>(١)</sup> وعندما أملت عليه نفسه هذه الخواطر ، سعى لتنفيذها فوراً ، فقد اعلن بلاغاً على عربيه بصفته أمير القبيلة ، بأنه في اليوم المعلوم سوف يذهب غازياً لقبيلة ما من القبائل المعادية له .

وعلى اثر بلاغه هذا ذهب بغزاته . وبعد أن بات ليلة وهو في طريقه مدبراً عن عربيه عند ذلك اختلق حيلة على قومه وأكدهم بأن حدث لديه أمر هام يستلزم عودته الى أهله ، وواعدهم موضعاً ينتظرونه فيه ، ثم عاد في سبيله حيث وصل عربيه آخر الليل . فقصص بيته ليتفقد زوجته فوجدها نائمة على فراشها وملتحفة به بشكل طبيعي ، ولم يجد عندها ادنى شيء يدعو الى الشك والريبة ، فتركها ، وذهب الى شقيقه فوجده أيضاً غارقاً في نومه <sup>(٢)</sup>

---

(١) لقد سبق للطيار أن امتحن حليته قبل اقترانه بها كما جاء في السياق ولكن يبدو أنه يحيا المحبة التي عبر عنها الشاعر العربي بقوله .

ولاني بها عن كل ريب لوائق

ولكن ذود الشك من زائد الحب

(٢) ربما يشكل على القارئ الأمر ويتساءل عن السبب الذي جعل هذا الشاب يتخلف عن الغزاة : فقول : إنه من الضروري أن يبقى عند عربيه ليتولى حراسة ابل اخيه ليجمها فيما لو تسلل غزاة من البدو وانتهزوا غياب اخيه وقومه فشنوا غاراتهم على ابلهم لذلك كان تأخره أمراً لا بد منه لأن الشاب لا يقل عن اخيه بطولة ، فاذا سرحت الابل ذهب برفقها على فرسه وحسب الاصطلاح يسمى هذا الفارس « جنباً » .

فأتضح عنده خطأ رأيه ، ولكنه الى الان لم يطمئن قلبه الاطمئنان  
الكافي ولم يقنع القناعة الكاملة بأن امرأته بريئة من أخيه لهذا  
صمم على أن يمتحن قرينته بصورة عملية لتكون عنده اجلى  
لأوهامه وظنونه ، فعاد كرة إليها فوجدها نائمة في مضجعها  
فدنا منها وكشف عنها الغطاء فانتبهت من نومها  
فوجدت هذا الرجل الاجنبي جالساً على طرف فراشها<sup>(١)</sup>  
فصرخت من أنت ؟<sup>(٢)</sup> أجابها بصوت منخفض « أنا فلان »  
مالك يا حبيبتى منزعجة وعلى أثر هذه الإجابة حاول أن يدنو منها  
ويمد يده إليها ، فما وسعها الا أن قفزت من فراشها ووثبت  
عليه ولطمته بذراعها على وجهه لكمة طرخته مجنولاً على الأرض ،  
وعلى أثر هذه اللكمة اتبعته بالشتائم واللعنات<sup>(٣)</sup> الحارة ثم قالت له : « لعل  
ما أسديده لك من جميل وولاء ورأفة كان ذريعة اتخذها الشيطان  
ليدخل في ذهنك أي أفعل ذلك بدافع غرام بك ، ثم واصلت  
حديثها فقالت : يجب أن تنذبه وتعلم ان ما أفعل معك من المعروف

(١) من البديهي أن تندم ولا يمكن أن تصور أنه زوجها كما أنها لا يمكنها أن  
تعرفه لأن الوقت ليل ومن المألوف عند البادية أنهم لا يستعملون الأنوار في منازلهم .

(٢) أي يقصد بأنه أخوه ليومها بذلك .

(٣) أظن ان هذه اللعنات اشد لهما من الأولى .



ليس الا من أجل قريني فلان شقيقك فلو لا مكاتته في قلبي ووفائي  
له لما نظرت إليك ، كما أنه لو لا غيرتي عليه لصرخت بصوتي  
وفضحتك بين قبيلتك ، ولـسكن تأبى نفسي أن أفعل ذلك لأن  
فضيحتك هي بلا شك فضيحة لأخيك وهذا أمر لا أرتضيه له .

الآن جمع الرجل نفسه وذهب عائداً الى غزاته ، ولا أعلم هل  
هو غزا أحداً من اعدائه أم انه تشاءم من هذه السفرة وعاد مع  
سبيله واعتقد أنه الى الثانية أقرب .

يعود بنا الحديث الى الشاب المتهم البريء ذلك أنه عندما  
أصبح الصبح ذهب الى بيت أخيه ونادى بصوته امرأة أخيه  
لتناوله فطوره كالمعتاد ولكنها لم تجبه ، فنادى ثانية وثالثة فأجابته  
بالثالثة اجابة قاسية لم يسبق له أن سميع من نوعها ، فاندesh الفتى  
من هذه الإجابة التي ما اعتاد أن اسمعته مثلها فخطا الى الامام  
خطوتين قاصداً القرب منها فقال : « لا بأس عليك يا ابنة عدوان  
كأنني ارى صوتك عليه أثر المرض او التعب خيراً أن شاء الله » .  
استغربت المرأة ان يسألها الشاب هذا السؤال وهو على ما تعتقده  
اعلم بكنهه السر الذي جعلها تحببه الإجابة الشديدة .

خرجت من خدرها اليه وهي ناوية أن توبخه وتشمه أكثر



من الشتائم واللعنات التي صبتها على صاحبها في ليلتها الماضية ولكنها  
عندما نظرت الى وجهه ابصرته خالياً من أثر تلك اللطمة العنيفة  
التي خبطت بها وجه المرء الذي فاجأها البارحة .

لقد تحيرت في أمرها ومما زادها حيرة واشكالا في الأمر ،  
هو أن الصوت الذي سمعته البارحة نفس صوت ونعمة هذا الفتى<sup>(١)</sup>  
ولكنها تراه أغر الجبين ناصع الوجه لا من ناحية الأثر فحسب  
ولكنه من ناحية الأثر المعنوي .

أجل انه مرتاح الضمير لم يعرف شيئاً يحزيه عندها حتى  
تنخفض عيناه ويسود جبينه .

هذا وقد أخذ الشاب فطوره من يد حليمة أخيه وفي نفسه  
شيء من تغير أخلاقها معه ، وأخيراً ذهب الفتى لحراسة ابله  
كالعتاد ، وبعد مضي ليلتين من الحادثة عاد زوجها من سفرته  
وهو رابط رأسه بجراحة ييضاء ، عندما رأت « الحليمة » بعلمها

---

(١) لقد فاتها التبر بانه كثيراً ما يتشابه صوت الأخ بأخيه ، ولكنها لو تبصرت  
ذلك لايمكن أن يخطر على ذهنها ان بعلمها الذي ذهب غازياً يعود من غزوته في بله ثم  
يياغتها ليمتنع عنها هذا من الأمور التي لم تخطر لها ببال لأن حليمة تعرف انه غاز هذا من  
ناحية والناحية الأخرى ، لايمكن ان تظن به الظنون السيئة لأنها تعلم انه عرف مدى  
عفتها بامتعانه لها السابق .

مجرّوحاً<sup>(١)</sup> برأسه تذكرت الحادثة فأصبح عندها من التفكير ما يجعلها تشك بان تلك القضية مؤامرة حاكمة لها حليها الماكر ثم بادرت بالسؤال « لا بأس عليك مالك رابط رأسك » فأجابها وقعت من الفرس وأصابني حجر شج جيبني قالت : اذن أخشى عليك ان « يشتم »<sup>(٢)</sup> جرحك فيجب ان أعالجه بدواء عندي أخذه من والدي واحتفظت به لحادثة مثل هذه ! فذهبت مسرعة وأتت بشيء تزعم أنه هو العلاج لهذا الجرح ، والحقيقة أنها تريد أن تنظر لهذا الجرح . وعلى الفور سمعت بنقض الحزام الذي على جرحه وتظاهرت أمامه بمزيد الشفقة والعطف ووضعت الدواء كما تزعم .

وفي معالجتها هذه تيقنت اليقين القاطع بان هذا الجرح هو من أثر لطمتها له وذلك لأنها لطمته في ذراعها وكانت آنذاك لابسة « مجولا »<sup>(٣)</sup> فرأت نصب عينها تأثير مجولها في جبينه فجعلت نفسها متجاهلة ولم تبد أي تغير أمامه ولكنها قررت القرار الحاسم أن تهرب الى أهلها ، وانما المشكلة الآن أن أهلها

(١) حاول الرجل أن يوارى هذا الجرح ويخفيه عن حليته لكي لا تنبئه بالقصة ولكن محاولته باءت بالفشل .

(٢) « يشتم » معناه يلتهب .

(٣) المجول هو السوار ولكنه اصغى حجماً .

بعيدون عنها ذلك انهم ذهبوا الى منازل قبيلتهم لأنهم كانوا قد  
 اجتمعوا هم وقبيلة عنزة عرب الطيار ولكن اجتماعهم ذلك لسبب  
 طارىء وعندما زال ذلك الحادث عاد كل منهم الى عربيه لهذا  
 أصبحت صاحبتنا غريبة بين أظهر هؤلاء القوم ، فإذا تفعل فيما لو  
 عزمت على أن تهرب من بعلمها الى عربها ؟ لابد من أن  
 يكون معها رجل قيم عليها ومن اللازم أن يكون هذا الرجل من  
 محارمها فان لم يكن أحد من عصبتها القريين فيكفي ان يكون  
 ممن يحمل اسم قبيلة شمر فانه عندها بحكم الضرورة <sup>(١)</sup> يقوم مقام  
 عصبتها الادنين ، خاصة اذا شككت له أمرها فانه سوف يكون  
 عنده من الشيمة والنجدة ما يجعله يكون لها بمنزلة الأخ الحميم .  
 هذا وقد ذهبت تسأل بخفية عن وجود شخص من عرب  
 « شمر » وبعد ان أجهدت نفسها بالسؤال عند ذلك ذكر لها انه  
 يوجد شاب « شمري » اجير عند فلان يتولى رعاية ابله باجرة معلومة  
 ولما تأكدت من ذلك قصدته على الفور فوجدته كما ذكر لها  
 فقصت عليه أمرها وشككت له حالها واستنجدت به وأثارت  
 نخوته على أن يهرب بها الى والدها وبكت عنده ، فأجابها الراعي

(١) وان كان هذا لا يجوز شرعاً وانما بحكم الضرورة والعادات وأما الاسلام فلا يقيم  
 وزناً لهذه العصبية وهذا هو مذهبي الذي أؤمن به .



بأنه على أكمل الاستعداد لتنفيذ طلبها ، فلما رأته منه ذلك شكرته وقالت يجب أن أدلك على أطيب ابله <sup>(١)</sup> النجائب التي تتمكن من الفرار عليها بصورة تجعله لو أراد أن يلحق بنا ويقتفي أثرنا لا يستطيع ذلك ، فأخذته وهدته الى أنجب إبل حليها وعندما انتصف الليل ونام زوجها تسلمت من الفراش وتركت قرينها في مضجعه ، وذهبت الى الموضع الذي واعدتها اياه راعي الإبل فوجدته بانتظارها فركبا الذلول حيث كان الرجل على مقدم الراحلة وهي على مؤخرها وادجلا المسير بشدة خوفاً من أن يلحق بهما الزوج هذا وبعلمها لم يخطر بباله شيء من ذلك حتى أصبح الصبح واستيقظ من سباته فلم ير زوجته بفراشها كالمعتاد ، فظن انها ذاهبة لقضاء حاجة ما ، وبقي ينتظر عودتها بدون أن يدخل في نفسه ريبة منها ولكنه طال انتظاره بشكل جعل الريب يدب في نفسه ، فسأل عنها فلم يجد من يفيد ، فازداد ريبة ، عند ذلك سأل أفراد عشيرته مستفسراً هل يوجد بين أظهر قومنا فرد من عشيرة شمر ؟ أجابه أعلم القوم بمثل هذه الأمور قائلاً : اني أعرف بيوت عشيرتي واحداً واحداً فلم اذكر بينهم فرداً من

---

(١) تعني إبل زوجها .



قبيلة « شمر » سوى راع عند فلان <sup>(١)</sup> فبعث رسوله يسأل عن هذا الراعي هل هو موجود عند ابله ؟ أم لا ؟ فذهب رسوله ينقب عنه فلم يجده ، عاد الرسول وأخبر الطيار بان الراعي لا وجود له عند مستأجره ، فمضاعت ظنونه وقال في نفسه لابد بان هذا الشمري هرب بزوجه وانما هو لم يتيقن اليقين القاطع الى أن ذهب الى ذلوله النجيبة من أجل أن يركبها ويلحق بأثر زوجته ليعيدها اليه قبل أن تصل أهلها ، ولكنه عندما ذهب يحاول أخذ ذلوله لم يجدها ، الآن زال الشك وحل محله اليقين الراسخ ، بان زوجته قد هرب بها هذا الراعي الشمري الى أهلها وقد كانت الذلول التي هرب عليها الشمري وحليلة الطيار سريعة الجري ولا يمكن أن يجاريها بعدوها إلا الجمل الذي هو ابو هذه الذلول فاستدنى الطيار الجمل وركبه مقتفياً أثر زوجته الهاربة ، ولكن الزوجة والراعي عملا حسابا له ، لأنهما يعلمان أنه اذا انتبه لهما لم يتركهما رحمة ولن يدخر وسعاً من جهده للاستيلاء عليهما ولا سيما الراعي فانه يعلم أن عقوبته القتل فيما لو ظفر به ، فعلى ذلك كان الطيار خاطئاً في سعيه وراءهما ولكن ربما أراد أن يعلل نفسه

---

(١) لطول الزمن الذي سبب اذياله على هذه القصة لهذا لم أستطع معرفة اسم الراعي الأجير والا اسم المستأجر .

ويعزّيها بعمله هذا ، فان هو أدركهما فقد بلغ أمنيته وإلا فيكون قد بذل الجهد ولا يلام المرء بعد الاجتهاد .

هذا وقد وصل الراعي ورفيقته عربهما ونجيا من شره .

أما الطيار بعد ما رأى انه لم يوفق بالظفر بها قبل وصولهما عشيرتهما ، فانه ذهب الى والد زوجته واخوتها وبقي يطلبهم ويتعطف اليهم بأن يردوا عليه زوجته فكان جوابهم له جواباً سلبياً يؤخذ من مضمونه أنهم لن يرغموها مطلقاً وانما اشاروا عليه أن يرضي زوجته فإذا رضيت فهو أحب اليهم ان تصاح امور الزوجين ، عندئذ طلبها زوجها ليتفاهم معها ، فقبلت ذلك ، ولكن اشترطت أن يحضر عندهما ابوها واخوتها فحضروا محادثة الزوجين .

الطيار : « أنا معترف بأن الحق لزوجتي علي ومهما طلبت مني فاني مستعد للقيام به » .

الزوجة : « لقد اخطأت علي وحاولت أن تنال من كرامتي وذلك عندما كنت بكرة وقد انجاني الله من شرك ، ثم اني سترتك وأخفيت ذلك حتى عن والدي واخوتي وعندما طلبت زواجي ووهبني اياك والدي وأيد ذلك إخوتي قبلت وكظمت غيظي ، ولم ترض نفسي ان

اعصي امرأ بت فيه والذي لآني اذا عصيته ورفضت قبول الزواج منك ، استلزم علي آنذاك ان اوضح العلة التي رفضت قبولك من اجلها ، ولهذا لم تقبل شيمتي أن أفضحك بين قومك بفعلتك تلك الشنعاء ، ومضت تلك الحادثة مستورة لم يعلم بها الا الله ، ولم تقف عند ذلك بل زدت فاتهمتي بشقيقك وذهبت تحاول أن تجدد علي ما يهتك سترى فلو صدقت ظنونك السيئة لفضحتني وطردتني الى بيت اهلي وها أنا الآن أترك الأمر لوالدي واخوتي فان ساءوا وعفوا عن حقوقهم في الأولى والثانية ، فاني لن أسمح بحقي أبداً .

لقد رأى « الطيار » أن حجته واهية ومنطقه فاشل بعد هذا الكلام الذي سمعه من زوجته فلم يكن لديه من الوسيلة الا الاعتراف بجريمته والتودد والتلطف لها ولكن كل ذلك لم يفده شيئاً عندها ، ولم يلب لها قلب .

عاد الطيار الى أهله لم يظفر بشي من أمره ، وعندما وصل عربته انشد هذه القصيدة :



(١) « يَارَا كِبٍ مِنْ فَوْقِ حُرٍ مُشْدَرٍ

مَا دَنَقَ الرِّقَاعُ يَرْقَعُ إِزْهُوْقَهُ »<sup>(١)</sup>

كثيراً ما يكون مطلع قصائد الشعراء الشعبيين بوصف  
الراحلة النجيبة . لهذا ابتداء الطيار قصيدته بوصفه للجمل الذي يركبه  
رسوله الذي انتدبه لزوجته وهماً « يارا كب من فوق حرٍ مشدر »  
أي يا أيها الوافد من عندي لقد اركبتك على جمل عريق في أصله  
من سلالة الإبل النجائب الشديد في بنيته الصلب في عضلاته  
« مشدر » أي طويل القامة .

(٢) « امه لَفَتْنَا مِنْ عِمَانٍ تَذَكَّرَ

وَأَبُوهُ مِنْ قِعْدَانٍ عِلْوَى عُموْقَهُ »

يسترسل في مدحه لهذا الجمل ويؤكد انه عريق في اصالة  
نسبه من قبل امه ومن قبل ابيه فهو ينسب هذا الجمل من ناحية  
امه فيقول : إنها من الإبل النجائب التي مقرها « عمان » ويقال  
عمانية للأنثى من الإبل كما يقال عماني الذكر ، ويذهب الشاعر

---

(١) « مادَنَق الرِّقَاعُ يَرْقَعُ لِرْهُوْقَهُ » دَنَق اي ما تَطَاطَأ الرِّقَاع « اي الخنص  
بممارسة الابل كالبيطار « رهوق » يعني الحفاء مفرداً - « رهق والجمع رهوق وحفاء وحفاء  
قعدان جمع مفرداً قومواي فم لم يكن كهلاً اخني عليه الدهر حتى اصب من كثرة استعمال  
الركاب له بالحفاء .

وينسب أبا الجمل ويقول انه من سلالة إبل علوى ، وعلوى هم  
قبيلة مطير الذين يقطنون الآن نجداً وأكثر ما تكون مساكنهم  
بين الشرق والشمال لمدينة الرياض .

(٣) « يُشْبِه ظَلِيمٌ مِنْ جَذِيبٍ تَحَدَّرَ  
وإِلَّا النَّدَاوِي يَوْمَ تَطْلُقُ سُبُوقُهُ »

يصف سرعة جري الجمل يجري الظليم « ذكر النعام » وتارة  
يقول إنه كالصقر من الطيور إذا انقض في الجو الراكد .

(٤) « يَا رَاكِبَهُ كِرْهُ لَنْجَعٍ بِالْأَجْفَرِ  
تَلْقَى عَشِيرِي كَنَّهُ الْبَدْرُ فَوْقَهُ »

يقول الطيار : اذهب ايها المندوب بكل سرعة واقصد الموضع  
الذي فيه محبوبتي وهو المكان الذي يسمى « الأجفر » والأجفر  
موضع خصب يبعد عن مدينة حائل مسافة ٨٠ كيلو متر ويقع  
في الشمال الشرقي عن حائل فيقول لا حاجة بك ان تسأل عنها  
فإنك ستجدها كالبدْر في تمام نموه أو بمعنى ادق يقول تجدها  
في شكل من الزهو والجمال مما يجعلك تظن أن البدر متلبس  
في جسدها .

(٥) « لَوْ<sup>(١)</sup> عَشِيرِي حَال دُونَهُ مُصْطَرَّ

عِيَالٍ وَاعِزِّي لِمَنْ دَارَ شَوْقَهُ »

يتألم الشاعر في فراق زوجته ويقول : إنه حال يدي وبين  
اقتрани بها رجال ابطال أفوياء ويؤكد لنا ان العاشق الذي يحاول  
أن يتصل بمعشوقته وهي في جو يحيط بها ويحرسها رجال من  
نوع هؤلاء الأبطال ! يقول : لا شك أن هذا العاشق من اسوأ  
الناس حظاً واتعسهم توفيقاً وكأنه يشير الى نفسه بهذا البيت .

(٦) حَامِينَ مِنْ فَيْدٍ<sup>(٢)</sup> إِلَى حَدِّ الْأَقْوَرِ

وَحَرِّمِينَ ضَدْمَ لَا يَذُوقُهُ

يزيد بوصفه لرجال معشوقته ويقول انهم حامون بقوة  
بأسهم وشدة نفوذهم مساحة كبيرة من الأرض الحصبة ولا يتسنى  
لأبل عدوهم ان ترعى ما في هذه الأرض من العشب والكلأ .  
فيوضح لنا ان القوم الذين استطاعوا أن يبسطوا نفوذهم ويفرضوا  
سلطانهم على الصحراء الخالية من البشر بحيث لا يرعى من  
شجرها عدا مواشيهم ، أين له أن يتمكن من أخذ ابنتهم

(١) لَوْ بفتح الواو كامة تقال للتعمر والتمني .

(٢) فيد قرية قديمة تقع جنوباً للشرق عن مدينة حائل .



باسلوب القوة وإن كانت ابنتهم هذه زوجته الشرعية ولكن مع ذلك يرى انه من المستحيل أخذها إلا بتكرم منهم وطيب نفس .  
ويبدو أن الشيخ كنعان الطيار اراد بهذا البيت أن يأتي أهل زوجته من طريق المعروف واللين وهذا هو الواقع لأن الكريم إذا أتى من طريق المعروف والتودد لان وسلم مقوده لمرتجيه .

وهذا ما ذهب اليه المتنبى بقوله :

إذا انت اكرمت الكريم ملكته

وان انت اكرمت اللئيم تمردا

(٨) « لا وَعِشِيرِي عَنْ هَوَايَه تَنَكَّرْ

شَفَتَ الْغَضَبُ يَا نَاسُ بَاغَضَاي مُوقَه »

يقول : وامصيبتاه على عشيري<sup>(١)</sup> اي زوجته ومعشوقته التي تغيرت عليه وتنكرت بعدما كان جو الألفة والوداد بينهما مليئاً بالمرح والسعادة ويقول : إني رأيت غضبها علي ظاهراً في سواد عينيها فهو يرى أن زوجته تنظر اليه بعين الغضب لا بعين الرضا التي كانت تبديها له سابقاً .

---

(١) العشير في اللغة الشعبية كلمة تشمل في معناها الرجل والأنثى فالرجل يصح ان يقول لمعشوقته عشيري والأنثى كذلك تقول عشيري .

(٩) أَبُو قُرُونٍ كِنَهَا ذَيْلُ الْأَشْقَرِ

رِيحُ الْخَضِيرِ وَالْعَنَابِ نُشُوقُهُ

يُصِفُ شَعْرَ رَأْسِ مَحْبُوبَتِهِ وَيَقُولُ أَنَّهُ أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِشَعْرِ  
« ذَيْلِ » الْحِصَانِ الْأَشْقَرِ ؛ أَيِ الْأَحْمَرِ وَيُوضِحُ بِأَنِّ جَسَدَ رَأْحَةِ  
زَوْجَتِهِ كَأَنَّهَا رَأْحَةُ الرِّيحَانِ وَالْعَنْبَرِ .

(١٠) وَجَدِي عَلَيْهَا وَجَدٌ مَطْمُونٌ الْأَبْهَرُ

أَقْفَى يَجْرَى مَسْنَجِدٍ مِنْ عُرُوقِهِ

يَقُولُ : إِنْ آلَا مِي عَلَيْهَا هِيَ أَشْبَهَ مَا تَكُونُ بِآلَامِ الرَّجُلِ  
الَّذِي طَعَنَهُ أَعْدَاؤُهُ بِرِمَحٍ أَصَابَ الْعُرُوقَ الْمُتَّصِلَةَ بِالْقَلْبِ .

(١١) أَوْوَجِدُ مِنْ هَوَا عَنْ جَوَادِهِ تَقَنَّنَظَرُ

بِغَارَةٍ عَيْتٌ تَمَدَّدُ سُبُوقُهُ

يَعُودُ ثَانِي مَرَّةً وَيُصِفُ آلَامَهُ وَوَجْدَهُ عَلَى مَحْبُوبَتِهِ وَيَقُولُ :  
إِنَّهُ وَصَلَ إِلَى وَضْعٍ مِنَ الْبُؤْسِ وَالْقَلْقِ يُشْبِهُ وَضْعَ الْفَارَسِ الَّذِي  
رَمَتْهُ فَرَسُهُ أَمَامَ أَعْدَائِهِ فِي سَاحَةِ الْوَعْيِ وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَجْرِيَ بِهِ .

(١٢) أَوْوَجِدُ مَكْتُوفٍ تَوَلَّوْهُ عَسْكَرُ

أَقْفَى بِهِ الْجَلَادُ بِسَيْفِهِ يَسُوقُهُ

يزيد الشاعر تأكيذاً لسوء حالته ، ويصف ما يعاينه من  
 الشقاء فتجده يضع نفسه بأسوأ واتعس ما يصل اليه المرء .  
 وهل أسوأ مصيراً والعياذ بالله من وضع المرء الذي حكم عليه  
 بالاعدام ومن ثم قاده الجلاد لتنفيذ الحكم عليه بالسيف ، وهكذا  
 الطيار يصف نفسه ويقول : إن وضعه الراهن يعبر ابلغ التعبير عن  
 وضع ذاك الرجل الذي قيد للموت ولم يبق بينه وبين ازهاق  
 روحه الا دقائق معدودة .

واليك القصيدة متصلة غير مقطعه مع شرح الفاظها .

(١) ياراكبٍ من فوق حُرٍّ مُشَدَّرٍ

ما دنق الرقاع يرقع رهوقه

(٢) أُمّه لَفَتْنَا من عِمانٍ تَذَكَّرُ

وابوه من قعدان علوي عموقه

(٣) يشبه ظليمٍ من جذيبٍ مُحَدَّرُ

والأ النداي يومٌ تُطْلَقُ سُبُوقُهُ

(١) حر : اصيل مشدر طويل القامة . دنق : انقى . الرقاع : الذي يصلح اخفاف  
 الابل . رهوق : الحفا . ( يصف الجمل ) .

(٢) تذكر : تنسب نسباً اكيدا . قعدان . قومود وهو الفقى من ذكور الابل  
 عموقه : عريقة النسب .

(٣) الظليم : ذكر النعام . جذيب : المكان العالي . تجدر : نزل . النداي : الصقر  
 سبوقه : قيوده .



- (٤) ياراكبه كزه لنجع بالاجفر  
تلقى عشيري كنه البدر فوقه  
(٥) لا وعشيري حال دونه مضطر  
عيال واعزي لمن دار شوقه  
(٦) حامين من فيد الى حد الأقور  
ومحرمين ضدهم لا يذوقه  
(٧) لا وعشيري عن هوايه تنكر  
شفت الغضب ياناس باغضاي موقه  
(٨) ابو قرون كنها ذيل الأشقر  
ريح الخضيرى والعنابر نشوقه

---

(٤) ياراكبه : ينادي المنتدب : كزه : ادفه : لنجع : النلة من العرب : الأجر  
اسم الموقع الذي يقطنه اهل زوجته  
(٥) لو : كلمة تقال للتوجع والتحسر والتمني عبال : جبابرة عتيدين : عزى : ما اكبر  
أتمزز له دار شوقه : ينقب عن حبيبته .  
(٦) ( فيد ) و ( الأقور ) موضعان محرمين : حارمين . ضدهم : اعداؤهم  
لا يذوقه : لا يرون منه .  
(٧) عن هواي : عن حي . باغضاي موقه : بنظرة عينها .  
(٨) أبو : صاحب : قرون : يقصد شعرها : ذيل الأشقر : اي شعر الحصان  
المسدل على فخذه . ريح : ريحتها : الخضيرى : الرمان : العنابر : مفردتها عنبر : نشوقه :  
أي تشمه .

(٩) وجددي عليها وجد مطعون الأبر

أَقْفَى يَجْرُ مَسْنَجِدٍ مِنْ عُرُوقِهِ

(١٠) أَوْ وَجَدَ مِنْهُ هُوَ عَنْ جَوَادِهِ تَقْنَطَرُ

بَغَارَةٌ عَيْتٌ تَمْدُدُ سُبُوقَهُ

(١١) أَوْ وَجَدَ مَكْتُوفٌ تَوَلَّوْهُ عَسْكَرُ

أَقْفَى بِهِ الْجِلَادُ بِسَيْفِهِ يَسُوقَهُ

يقال إن القصيدة أكثر مما ورد، وإن فيها من الإيضاح والتودد لأصهاره والترجي لزوجته وإبراز شعوره نحوها وبث شكواه واعترافه بذنبه لها ما هو أكثر من ذلك، وإنما لم يردنا إلا هذه الآيات.

هذا وقد بعث الطيار قصيدته هذه لأصهاره وزوجته، وبعد أن أيقن اليقين القاطع بأن قصيدته وصلت إليهم، هناك بات عنده من اليقين ما يجعله يعتقد بأن قصيدته سيكون لها الأثر الفعال في نفسية أصهاره وحليته وأنه سينال بغيته فيما إذا ارتقى

---

(٩) وجددي : أي ألمي : وجد مطعون : كالم المطعون : الأبر : بين الكتف والظهر أقفى : أدبر : يجر : يسحب : مسنجد : الرح .  
(١٠) جواده : أي فرسه : تقنطر : أرغم عن صوة فرسه : بغارة : في معركة عيت : ما استطاعت : تمدد : تجري : سبوقه : فرسه

على أصهاره والتجأ اليهم ، وذلك أن الشعر له مفعول محسوس في  
نفسية العرب خاصة بذلك العهد ، لذلك بادر الرجل مسرعاً وركب  
راحلته ونزل ضيفاً على أصهاره ودخل من وراء رواق البيت :  
وعند رجال البادية عادة أن المرء اذا دخل من خلف البيت معناه أنه  
سلم نفسه تسليماً بدون قيد ولا شرط ، وانه خاضع لكل ما يطلب  
منه ومذعن اذعان المغلوب على امره للغالب المنتصر ، فكان أصهاره  
على ما يظنه بهم ويعتقده منهم ، حالماً رأوا الطيار لاجئاً اليهم وماتمساً  
عطفهم بادروا باقناع ابنتهم وهي كذلك كانت المدة التي مرت  
عليها وهي معلقة عند أهلها مما خفف من شدة غضبها السابق .

وفي نهاية الامر استطاع أهلها أن يؤثروا عليها حتى رضيت  
وذهبت مع قرينها فكأنني بالطيار يرى نفسه اقترن بها من جديد .  
ولما كانت نساء العرب دائماً بدألاً يعشقن الرجل ويعجبن  
به وينظرنه بعين الاعتبار الا اذا كان على جانب كبير من  
الشجاعة ، لهذا كان الطيار لا يتمني في نفسه إلا أن تأتيه غارة من  
اعدائه ليظهر شجاعته أمام حليته لعلها تنظر إليه بعين الإعجاب  
والاحترام بعد ما حصل بينهما من سوء التفاهم . وما هي الا أيام  
قليلة وإذ بغارة عرب السردية<sup>(١)</sup> ينصبون عليه في بيته ، فرأى

---

(١) «السردية» هم عرب من بادية سورية حالياً ومنازلهم تقع شرقاً عن مدينة دمشق



الفارس انه وفق في أمنيته ، فنادى زوجته قائلاً لها : اليوم سوف  
 ترين مني الفعل الذي يرضيك ويحملك تستصغرين جميع ما صدر  
 مني من خطأ ؛ وقد طلب البطل من زوجته أن تضع هودجها على  
 ظهر جملها وتركبه ثم تلحق به لتزغرد له بصوتها الناعم المعسول  
 ففعلت ذلك ، فلما حمى الوطيس بينه وبين عرب السردية صاحت  
 مزغردة له بأعلى صوتها ، وكأن هذه الزغاريد كأْس من الخمر  
 يسكر من نغماتها أكثر بكثير مما يسكر شارب ابنة الكرم  
 وكلما طرح فارساً من هؤلاء القوم وتمكن من الاستيلاء عليه  
 صرخت زوجته بصوتها العالي مزغردة لقرينها البطل ومن  
 حسن توفيق الطيار أن لديه جواداً أصيلاً سريع الجري بحيث  
 يجعله يسيطر على قهر أعدائه بكل سهولة فاذا ما تضايق من أعدائه  
 وطوقه بخيولهم نفذ من بينهم كالسهم فلا يستطيعون الاستيلاء  
 عليه بفضل فرسه السريعة الجري ؛ كما انه إذا كره عليهم وهم هاربون  
 منه لا يستطيعون الفرار ، لأن فرسه تلحق بهم وي طرح منهم  
 ما استطاع .

وقد انتهت هذه المعركة بانتصار الطيار وهو بمفرده على  
 هؤلاء القوم الكثيرين وقد استولى على خيل منهم ، والذي

يسره أكثر من هذا كله هو أنه رأى زوجته الآن تنظر إليه بعين  
الاجلال والبطولة، لأن نساء البادية كما أسلفنا لا يرضين من بعواتهن  
أن يكون الزوج وسيماً وجيلاً في شكله كما أنه لا يهمن أيضاً  
أن يكون ثرياً، وإنما الذي يهمن العربية ويجعلها تفخر بعملها وتعجب  
به كل الاعجاب إذا كان شجاعاً حامياً للذمار لا تلين له قناة ولا تحفر له  
ذمة. هذا هو غاية ما تريده الزوجة العربية من بعليها وهي إذ تنظر  
للرجل من هذه الناحية فأنما تنظر إليه من نواحي عديدة: منها أن  
الأنثى العربية كلما رأت الرجل كاملاً برجلته كان ذلك ألد  
وأجل في حياتها الزوجية من شتى الوجوه الاجتماعية، ومنها أنها  
تتصور نفسها أمّاً لأبطال أفذاذ في الشجاعة والفروسية عندما يكون  
بعليها شجاعاً فتعجب منه مولوداً تعيش بكنفه بقية عمرها عزيزة  
مرفوعة الرأس بفضل شجاعة ابنها فيكفيها أن يقال لها: أم فلان.  
عندما عاد الطيار منتصراً على أعدائه المعتدين جادت قريحته  
بهذه الأبيات:

﴿(١) أَصْبَحْنَا وَصَبَحْنَا جُنُودٌ﴾

جُنُودٌ كَثِيرٌ سَيِّعَانِ الْجَرَادُ

(١) (سيهان): الشيء الكثير.

يقول: في الصباح الباكر هجم علي جنود كثيرين بعددهم  
ككثرة الجراد .

(٢) وَجُونِي غِلْمَةً<sup>(١)</sup> يَبْعُونُ ذَوْدِي<sup>(٢)</sup>

ونا عندهن فوق أجواد

يوضح في المصراع الأول من البيت الثاني بان القوم الذين  
باغته صباحا فتیان وأن لا قصد لهم الا أخذ إبله قهراً . وفي عجز  
البيت يقول : وانا عند ابلي وراكب لفرسي . فكأنه يقول إن  
هؤلاء الشباب يجهلون ما اتمتع به من البطولة . ولو انهم رجال  
كحال عقلاء لبلغهم عني الخبر الذي يعرفوني بأني الفارس الذي لا  
مطمع لهم عندي .

(٣) أَصِيلٌ مِنْ أَصِيلٍ بِنْتُ أَصِيلٍ

وعينيها نارٍ شبت بالحماد

يصف الشاعر فرسه ، ويؤكد بانها سلالة أفراس عريقات  
بأصلهن ، وفي عجز البيت ينعت عيني الفرس بانها كالنار التي اشعلت  
في الصحراء في ليل مد لهم .

(١) « غلّة » : فتیان .

(٢) ذودي : ( يقصد إبله ) .



(٤) وَقَوَّيْنَهَا كَعِمْدَانِ الْحَدِيدِ

وَصَدْرَهَا بَابُ رَكْبٍ بِالْبِلَادِ

في المصراع الأول ينعت فرسه بطول قوائمه وطول القوائم  
في الفرس علامة تدل على نجابتها ، وفي العجز يصف أيضاً سعة  
نحرها .

(٥) وَظَهَرَهَا شِبْرٌ مَا يَزِيدُ

سَرِيعَةً مَوْجٌ بَاهِرَهَا سَنَادٌ

يقول إن ظهر فرسه قصير وانما سرية الانحراف سهلة المقود .

(٦) وَحَارَكَهَا <sup>(١)</sup> كَمَا الذَّيْبُ الْمُؤَيَّقُ

عَلَى الرَّعِيَانِ ظَارٍ لِلْهَدَادِ

(٧) وَذَانِهَا كَمَا كَافُورٌ غَرَسٌ

ومناخرها كما كير أستاذ <sup>(٢)</sup>

والواقع ان هذا العربي الأمي الذي لا يعرف شيئاً عن الأدب  
العربي الفصيح ولكنّه بفطرته العربية وبذوقه السليم تمكن أن

(١) الحارك : رأس الكتف .

(٢) « كافور : الفرس » هو النخلات البكر والكافور هو ثمرة النخلة أول

ما تنمر وهو اشبه ما يكون برأس القلم .

يصف فرسه ، وينعتها باجمل وصف وصفت الخيل به حكما  
العرب وشعراؤهم من نثرونظم .

فخذ من النثر ما قاله أحد خبراء العرب في الخيل وهو  
« صمصعة بن صوحان » الذي طلب منه معاوية بن أبي سفيان  
بان يخبره أي الخيل أفضل فقال : الطويل الثلاث القصير الثلاث  
العريض الثلاث الصافي الثلاث : قال فسر لنا ؟ قال : أما الطويل  
الثلاث فالأذن والعنق والحزام ؟ وأما القصير الثلاث فالصلب  
والمسيب والقضيب ؟ وأما العريض الثلاث : فالجبهة والمنخر  
والورك ؛ وأما الصافي الثلاث فالأديم والعين والحافر ؛ هذا ما وصفت  
به الخيل نثراً أما ما وصفها الشعراء به فهو كثير وإنما تأتي بشيء من  
بعض الايات المتفقة مع وصف الطيار كقول : عدي بن الرقاع :

يخرجن من فرجات النقع دامية

كأن آذانها أطراف أقلام

فهنا نجد الطيار وصف أذن فرسه بنفس هذا الوصف .

وقد قال البحتري في قصيدة له طويلة يصف فيها الفرس جاء  
منها قوله :

وعريض أعلا المتن لوعليته بالزئبق المنهل لم يترجرج

ويقول : امرؤ القيس بن حَجْرٍ في حصانه :

له أَيْطَلًا ظلي وساقا نعمة

وارخاء سرحان وتقريبٌ تَتَقَلُّ<sup>(١)</sup>

ليس بالغريب أن يكون وصف الطيار لفرسه صورة طبق الأصل عما جاء به وصف العرب القدامى للخيـل من نثر وشعر فالطيار فرع من ذلك الأصل ، والاصول لا تتغير سوء أطلال الزمان او قصر .

ومنطق الطيار وواقعه يقول : إنه لا عذر له البتة عن القتال والكفاح . ما دام أن لديه فرسا توفرت فيها جميع صفات الخيل الطيبة ويضيف إلى ذلك قوله :

ونور العين عند الابل ترغرد

تثير بزغروده مكنون الفواد

نور العين يقصد زوجته أنها كانت ترغرد له الزغرودة تلو الزغرودة ويزعم أن هذه الزغاريد من زوجته له كانت من أهم الدوافع التي ألهمت شعوره وأذكت شعله الحماسة والشجاعة في كيانه أما تراه يقول : في عجز البيت « تثير بزغرودة مكنون

(١) السرحان الذئب : والتتقل : ولد الثعلب : أي ان حصانه سريع الانحراف كالغراف ولد الثعلب وكشدة عدو الذئب .



الفؤاد» ولا شك أن هذا الصوت الناعم السلس كان له أعمق  
الأثر في نفسية الطيار وربما كان نجاحه على أعدائه مبنياً مائة  
بالمائة بسبب صوت هذه الحسنة . ولهذا تراه يقول :

لما راحت<sup>(١)</sup> بالبواسل<sup>(٢)</sup> هرب<sup>(٣)</sup>

يشبه السيل حاديه<sup>(٤)</sup> الحشاد<sup>(٥)</sup>

يقول البطل : إنه على كثرة أعدائه الذين هم كما ذكر أشبه  
ما يكونون بكثرة الجراد مع ذلك فإنه استطاع أن يحمي إبله  
ويهزم الأعداء والفضل يعود بذلك لفرسه الأصيلة ولزوجته التي  
شحذت همته وصقلت حاسة البطولة فيه وقد عاد منتصراً وكأني  
به يردد قول عنتره ابن شداد مخاطباً زوجته عبلة :

أثني علي بما علمت فإنني ستمح<sup>(١)</sup> مخالطتي إذا لم اظلم  
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل<sup>(٢)</sup> مر مذاقته كطعم العلقم<sup>(٣)</sup>



(١) « راحت » يقصد خيل أعدائه (٢) « هرب » أي هاربات يعني افراس  
الاعداء الذين هجموا عليه (٣) « حادية » يدفعه (٤) (٥) « الحشاد »  
الموضع الضيق .

## مظهر رجل في حقيقة أنثى

قصة « بشير بن ضبيعان »<sup>(١)</sup>

مع ضيفه علي بل ضيفته المدعوة « غتره »

وهي فتاة توفي والدها بين عام ١٣٢٣ - ١٣٢٧ وكانت في عنفوان شبابها وليس لها من يعولها ، فخشيت على نفسها من وصمة العار فاضطرت إلى أن تترك عرب عشيرتها الذين يعرفونها جيداً وتذهب إلى عرب من عشيرتها نفسها ولسكنهم لا يعرفونها بالذات ، وهي عندما ذهبت إلى هؤلاء العرب لم تذهب بصفة أنها أنثى . كما هو واقع أمرها وإنما ذهبت متنكرة كأنها ذكر . وكان لها من طول القامة ما يشفع لها فيما تدعيه ، يضاف إلى ذلك أن فيها من الجسارة والثقة بالنفس في أي عمل من أعمال الرجال ما يجعلها

---

(١) كل من بشير وغتره كلاهما من قبيلة الشرارات بادية المقاطعة الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية .

تضارع الرجل في المظهر ، ولهذا تمكنت أن تتصف بصفة الفتى  
 فذهبت وظلت كضيف عند بشير بن ضبيعان<sup>(١)</sup> ، ولا زالت متكرة  
 لا يعرف عنها الا أنها شاب من خيرة الشباب البواسل وقد سمت  
 نفسها علياً ، وبقيت عند بشير مدة طويلة ، وهي مسلحة بالبندقية  
 ولا يمكن أن تدعها من يدها قطعياً الا في ساعات الفراغ ، وكانت  
 تحسن الرماية وإذا غزا عربها العدو غزت معهم وهي في طليعة  
 الشجعان في ساحات القتال ، ولم يظن أحد أن علياً هذا انثى ، هذا  
 أمر لا يخطر على البال . وكان علي هذا فتى وقوراً لا يزح مع أحد  
 ولا يستطيع أن يزح معه أحد لشدة هيئته ووقاره ، ولكن  
 الحقائق مهما توارت عن الأعين لا بد من أن تبرز عند أية مناسبة  
 من المناسبات الطارئة ، ومن ثم يعود كل شيء الى أصله كما قال ذو  
 الأصبع العدواني :

كل امرئ صائر يوماً لشيمته وإن تخلق اخلاقاً الى حين  
 وأخيراً طال الزمن على « علي » وهو يخادع نفسه ويخادع  
 الناس . فاضطر أخيراً الأمر أن يميظ اللثام ويوضح الحقيقة . ولكنه  
 لا يسعه ذلك حتى يختار لنفسه الشخص الذي يطمئن إليه ويشق  
 برجلته ، وقد كانت إقامته بين أظهر هؤلاء القوم كافية بأن تعطيه

(١) بشير من شخصيات عرب الشرارات البارزين .



خبرة ودراسة لأخلاقهم وتحليلاً لشخصياتهم ، لهذا وقع نظر  
 علي علي الشخص الذي هو ضيف في بيته ، ورأى أنه خير من  
 يختاره ليفشي اليه سره ويكشف له حقيقة أمره ، ولكن  
 علياً الآن طال عليه الأمد وشاء أن يعود الى ما خلق له  
 من المتعة الجنسية ، فلا بد إذن من أن يكون علي « غترة » الفتاة  
 لا علي الفتى المزيف فإذا عادت « غترة » الى جوهرها الاساسي  
 أصبحت ملزمة بقرين ينكحها وقد كان القرين الذي رشحته لنفسها  
 معلوماً لديها هو بشير بن ضبيعان الذي حلت ضيفة عنده كل هذه  
 المدة ؛ وانما المشكل عليها أنها لا تعلم هل يقبلها بشير زوجة له ام لا ،  
 وانما هي على كلتا الحالتين مرغمة أن تصارحه بحقيقة أمرها فإن قبلها  
 زوجة له فهذا هو منتهى امنيتها ، وإن لم يقبلها فهي تأخذ منه عهداً  
 على أن يسترها ولا يفشي سرها لفرد من البشر ، وعندما سنحت  
 الفرصة واختل بشير وضيفه ، هنالك شرح الثاني للأول أمره بوضوح  
 وأعرب له عن رغبته فيه كزوج شرعي ، وذلك بعد أن أخذ منه  
 ميثاقاً على أن يستر القضية حتى ينتهي عقد النكاح ؛ اي اذا وافق  
 بشير ورغب الزواج ، فإن لم يوافق على النكاح فيكون الامر مستوراً  
 لا يعلم عنه أحد الا الله . هذا وقد كان الخبر بالنسبة لبشير مفاجأة عظيمة

لأنه اندهش اندهاسا بالغا غير أنه في النهاية كان مسرورا للغاية  
بتيسير الله له هذه الزوجة التي توفر لها عقل الرجل وشجاعته مع  
انوثة المرأة المحصنة العفيفة وجمالها وفي النهاية وافق بشير على رغبة  
ضيغه ، ومن ثم عقد النكاح الشرعي بصورة سرية ، ولم يشعر  
العرب الا وعلي الشجاع الباسل قد انقلب امرأة لبشير بن ضبيعان وفي  
تاريخ ١٢٧٤/٧ هـ اجتمعت بالأمير<sup>(١)</sup> عبدالعزيز بن احمد السديري  
الذي هو أمير بلدة القريات والمفتش للحدود الشمالية الغربية التي  
يقطنها عرب الشرارات الذين منهم بشير وزوجته وسأله عنها  
فقال الأمير انهما على قيد الحياة جميعهما وأنهما في سن الشيخوخة  
كما أفادني أنهما أصبحا يعولان اسرة كبيرة من البنين والبنات .



(١) توفي غفر الله له في أحد الربيعين عام ١٣٥٧ هـ وذلك بعد ان تولى وزارة  
الزراعة وقد كان رحمه الله ملها باخبار العرب غاية الالام كما كان على جانب كبير من الدهاء  
والرزانة . وقد رويت عنه قصتين سأوردهما في الجزء الثاني ان شاء الله .

## نطاع بالقوة

يتبعه عفو وتسامح

قصة « غريب <sup>(١)</sup> بن معقل الشلاقي الشمري » مع معشوقته « وديدة » <sup>(٢)</sup>

حدثت بين عامي ١٣٢٥ و ١٣٣٠ هـ

لقد أتاحت لغريب الفرصة التي جعلته يرحل عن عشيرته  
« شمر » وينزل عند عشيرة ( الرولة ) <sup>(٣)</sup> وفي أثناء إقامته هذه  
اشغف قلبه بحب الفتاة « وديدة » كما ان الفتاة بادلت به بالمثل وربما  
كانت أكثر غراماً به إلا ان الانثى عادة تحفي من المحبة أكثر من  
الغرام الذي يجاهر به الرجل ، وهذا شيء مألوف ولكن المشكلة

---

(١) غريب هو احد الشلقان الذين حملوا رقيقهم الجريح على اكتافهم وسندكر  
القصة في الجزء الثاني في موضعها وهو شجاع وشاعر ، توفي رحمه الله في المدينة المنورة سنة  
١٣٥٤ هـ .

(٢) اما مخطوبته وديدة فهي من فخذ « القطاعي » من قبيلة الرولة . وحتى الآن  
لم اجد من يفيدني عن اسم والد الفتاة وغاية ما وصلت اليه روايتي هو معرفة اسم الفتاة واسم  
عشيرتها وفخذها الذي تنسب اليه .

(٣) لا بد ان هناك سبباً من الاسباب الطارئة التي جعلت غريباً يترك عربيه ويقطن  
عند الرولة ولكنني اجهل العلم بهذا السبب .



العويصة أنه على الرغم من الود والمحبة المتبادلة بين الطرفين ، مع هذا كله فإن هناك قيوداً تحول دون تحقيق أمانهما فيما لو أراد غريب أن يخاطب وديده من أهلها <sup>(١)</sup> .

هذا وقد طالت المدة على العاشقين ولم يزل غرامهما ينمو ويزداد ، وأعظم الأمور التي جمعت غرام كل منهما يتضاعف هو أن غريباً قرأ أن يعود الى عشيرته « شمر » وذلك مما خلق في نفسية الاثنين ألماً لأن الاجتماع أصبح بين الطرفين شبه متعذر حيث إن كل واحد منهما ينتسب الى قبيلة معادية للأخرى ، ولكن هذا كله لم يمنع « غريباً » ومعشوقته من أن يدبرا لهما حيلة يبلغان بها أمنيتهما . وهذه الحيلة هي أن غريباً أعطى معشوقته وعداً أكيداً بأنه بعد مضي تسعين ليلة من تاريخ ذهابه فسوف يأتيها في منتصف الليل ويختطفها لا محالة ، وعندما أعطى (غريب) هذا الوعد الذي لا بد له من تنفيذه ، بعد ذلك عاد العاشق إلى عشيرته وبقيت معشوقته تنتظر أمام الوعد بفارغ الصبر . ولا زالت تعد ليالي الدهر ليلة ليلة ، وهي واثقة كل الوثوق بأن معشوقها سوف ينفذ وعده إلا أن فاجأه القدر بلمة طارئة ، وقد كان هذا الرجاء خير

---

(١) أغلب الظن ان تكون معشوقته « بحيرة » لابن عمها وقد شرحنا معنى

البحيرة راجعاً في صفحة ( ٢ ) من هذا الجزء )

معلل لهما ، فلما انصرم من الوقت تسع وثمانون ليلة ولم يبق الا هذه الليلة التي هي آخر ليلة من ليالي الوعد ، عند ذلك أعدت جميع أمتعتها الخاصة وأدرجتها في كيس وشدت وثاقه وبقيت ترقب مجيء خطيبها ، وعندما انتصف الليل وهجع الناس أتاها معشوقها حسب الوعد المعين بينهما واختطفها من أهلها وأردفها خلفه على ظهر ذلوله ، فلما وصل أهله أعطاها مهرأ معادلاً لمهرها فيما لو كانت عند أهلها ، وبعد أن سلم لها المهر عقد عليها النكاح عقداً شرعياً<sup>(١)</sup> أما أهل الفتاة فانهم لم يفقدوها الا بعد أن ارتفعت الشمس من صباح الغد ، والسري في ذلك يعود لأختها التي هي أصغر منها المسماة « ضحية » ؛ وضحية هذه هي التي اسرت لها أختها وديدة وأوصتها أن تفعل ما استطاعت أن تفعله من الأمور التي تجعل أهلها في غفلة عنها بحيث أن لا يتمكنوا من أن يفقدوها حتى يسفر الصباح لتكون أبعد مسافة عن عربها فيما لو سعوا لإدراكها : وقد كانت « ضحية » منفذة لوصية أختها فهي عندما هربت أختها مع غريب قامت « ضحية » وادخلت في قلب فراش أختها شيئاً من الامتعة البيتية وهذا الشيء هو الذي

(١) اعتمد ان مثل هذا النكاح الذي بغير اذن من ولي الفتاة يكون فيه شيء

من عدم صحته في بعض المذاهب اما ابو حنيفة فهو لا يرى مانعاً من صحته .

أولهم أهل وديدة بأنها لا تزال نائمة بفراسها إلى أن بزغت الشمس وأهلها يعتقدون أن ابنتهم لازالت في سهادها ، وليكنهم عندما قرب أن يشتد الضحى والفتاة لازالت في لحافها كما يعتقدون ، اضطر والد الفتاة أن ينزع الغطاء عن فتاته لتقوم بمهمتها البيتية ، وذلك بعد أن صوت لها عدة مرات ليوقظها من مرقدها هناك على نزع الغطاء عنها وعندما نزع الغطاء ولم يجد داخل الفراش إلا أمتعة جوفاء ، الآن انتبه والد الفتاة وأهلها وأيقنوا أن الأمر ليس طبيعياً فافتنوا أثرها فوجدوا أثر<sup>(١)</sup> جارهم السابق غريب كما وجدوا أثر ذلوله النجبية التي أقلت الاثنين فعادوا دون جدوى وبعد مضي وقت غير طويل ، غزا أبو البنت قبيلة شمر هو وثلة من أسرته ، كما أنه في ذات الوقت غزا غريب قبيلة الرولة فصادف أن اصطدمت غزاة شمر الذين يرأسهم غريب بالغزاة الآخرين الذين هم غزاة قبيلة الرولة ، ولأعلم هل يرأسهم أبو الفتاة أم الرئاسة كانت لغيره ، المقصود أن هؤلاء الغزاة هم عشيرته الأقربون فلما دنا القوم من القوم تبادلوا الحديث فعلم كل فريق منهم بخصمه، فحامي آنذاك الوطيس بين الخصمين وكانت غزاة « شمر » أكثر من

(١) لبعض العرب مهارة خارقة في معرفة الأثر .



غزاة « الرولة » <sup>(١)</sup> بالعدد والعدة لهذا كانت الغلبة لهم على عدوهم ولكن هذه الغلبة ليست غلبة مطلقة بدون قيد ولا شرط بل إن الرولة لما رأوا قلتهم وكثرة أعدائهم اضطروا أن ينزلوا لعدوهم بعهد يحفظ دماءهم فقط ويتركوا لعدوهم نجاتهم وأسلحتهم كما هو العرف الجاري عند العرب ؛ وذلك عندما تشعر قبيلة بضعفها وقوة خصمها تفعل هكذا ، ولاند نزل الرولة على العهد لشمر وأظن انهم عندما نزلوا على العهد ما علموا قطعياً أن رئيس هؤلاء الغزاة « غريب » الذي اختطف ابنتهم من عهد قريب بدون اختيارهم وأعتقد أنهم لو تأكدوا من ذلك لقاتلوا قتال المستميت حتى ينجوا أو يفنوا عن آخرهم ، لانه شيء لا تطيقه شيمهم أن يسلموا أنفسهم مقهورين ذليلين لرجل تزوج ابنتهم بغير رضاهم ويزيد على ذلك أن يأخذهم قهراً .

وعلى اي شكل يكون سواء علموا او لم يعلموا . فإن غزاة غريب استولوا عليهم بواسطة كثرتهم ، وقلة عدد خصمهم وكما قال المثل العربي : ضعيفان يغلبان قوياً .

وبحكم سلطان القوة نزل قوم الفتاة نزول المقهور تاركين

---

(١) - مدني حاتم اللاحقي الشمري الذي هو احد الغزاة الذين كانوا بقيادة غريب واكد لي ان عدد غزاة قبيلة شمر يفوقون غزاة الرولة بثلاث مرات .

أسلحتهم وامتعتهم خلفهم ، وغاية ما هنالك أنهم يعتبرون سلامة  
دمائهم هي المكسب . وفي الفترة التي تسلمت أسلحتهم منهم  
وبقوا عزلاً ، هناك أبرز غريب نفسه وراح يسلم عليهم واحداً  
واحداً ، فلم يروا عليهم مصيبة أكبر من ذلك . أما هو فلم تمر عليه  
ساعة أسعد من هذه الساعة ، وقد رأى « غريب » أنه من كمال  
انتصاره أن يحسن و يفضّل عليهم ويظهر لهم من الولاء والمحبة  
ما يخالف الشيء الذي يضررونه له ، وذلك أنه جمع قومه وطلبهم  
أن يهب كل فرد منهم ما ناله من الغنيمة من نجائبهم وأسلحتهم  
وامتعتهم ؛ وقد كانت مطالبته لقومه مبنية على شيء من العفة  
والإنصاف ، وبشكل يجعلهم تحت أمر واقع فقد قال لهم :  
« يا قومي ان هؤلاء القوم الذين أصبحوا أسارى بأيدينا فانه كان  
لهم علي يد بيضاء سابقاً عندما كنت غريباً عندهم ومستجيراً بحماهم  
كما أنه أصبح الآن بيني وبينهم رحم ، وشاء الله أن تأتي ظروف  
تجعلني أسير اليهم بنظرهم وقد كنت أسأل الله أن يتيح لي الفرصة  
التي تمكنني من فعل الجليل معهم وبذل الإحسان والمعروف لهم  
لعلي أحو أثر ما يتوهّمونه من الخطيئة التي اقترفتها <sup>(١)</sup> والآن قد

(١) يشير غريب الى قوله ليلي « احو ما يتوهّمونه من خطيئة » بقصد إخطافه ابنتهم  
فهو يزعم انه ليس مخطئاً لأنه لم يخطفها الا بعد ان رأى غرامها الشديد به كما انه لم يخطفها  
وهو بنوي ان يتمتع بها فاذا قضى وطره منها اهلها ليس ذلك وانما اخذها ومن ثم عقد عليها  
النكاح المشروع ، فهو يرى انه ليس مخطئاً .

يسر الله لي السبيل الذي يجعلني أفعل معهم ما استطعت من الخير»  
فأجابه رفقاًؤه وقالوا « ماذا تقصد أن تفعله الان ؟ » قال أريد  
أن أشتري منكم جميع ما غنتموه من هؤلاء الأسارى على أن  
يعلمني كل فرد منكم الثمن الذي يستحقه الى أن نعود سوياً الى  
أهلنا . وقد كان جواب قومه مفعماً بالمرورة والكرم حيث قالوا  
« بل نهب جميع غنائمنا لك وأنت تفعل بها ما تشاء » وكان هذا  
جوابهم اجمعين ، عدا فرد منهم فإنه أبى أن يهب سهمه وكان نصيبه  
ذلولاً من أنجب رواحل الأسارى ، وهذا الشخص ليس من عشيرة  
غريب الأقربين كبقية قومه ولكن غريباً ورفقاءه استطاعوا أن  
يؤثروا عليه بشئ الأسباب حتى أقنعوه وترك الذلول الغريب وبعد  
أن جمع غريب كل ما اغتنمه هو وقومه من اصهاره ، عند ذلك سلمه  
لهم وطلب منهم أن يصفحوا له عما سلف . وقد صفحوا له عن  
طيب نفس وانشرح صدر وعاد كل من الفريقين الى أهله ، هذا  
وقد عثرت على بيتين لغريب يتغزل بهما بمعشوقته وديدة التي  
اصبحت الان ام أولاده والبيتان يفهم من معنهما أن الشاعر  
قالهما في أيام عشقه الأول لوديده أي قبل أن يتمكن من اختطافها  
من أهلها لهذا تراه يقول :



(١) « هَلَا هَلَا فِيكَ يَا ضَحِيَّةُ

يَا لَيْتَ أَخِيَّتِكَ مِنْ حَيِّي <sup>(١)</sup> »

يُحْيِي وَيَرْحُب تَرْحِيباً مَكْرُراً فِي « ضَحِيَّة » وَضَحِيَّة هِيَ اخْت  
مَعشوقته الصغرى فهو يؤكد ترحيبه ويكرر سلامه عليها تقديرًا  
لأختمها وديدة، ويقول أتمنى أن اختك وديدة من اسرتي حتى  
يكون زواجي منها شيئاً متيسراً .

(٢) « وِدِي وَدِيدَهُ إِشْلَاقِيَّة <sup>(٢)</sup>

وِدِي وَلَا الْوَدَّ مِثْبِي <sup>(٣)</sup> »

في هذا البيت الثاني يشرح لنا بوضوح معنى البيت الذي  
قبله فيقول : أتمنى أن « وديده » تكون من عصبتى القريبة ولكن  
يقول : ما كل ما يتمناه الإنسان بهذه الحياة الفانية يمكنه الوصول  
إليه وهذا البيت لغريب فيه من المعنى ما هو منسجم مع قول  
أبي الطيب المتنبي :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

(١) حبي ودي : أي ليتها تكون من اسرتي .

(٢) إشلاقية : يقصد فخذ قبيلته الإدني المدعو بالشلقان .

(٣) مِثْبِي : أي متيسر .

(٤) القصة مشهورة

## الحب لا يعقل ولا يرسم

حادثة جديدة ان تسترعي انتباه القارىء  
وتذكرنا بالعشق العربي البريء النزيه السليم الصادق

وأتى كان فيهما من الروعة والدهشة ما يشير اعجاب القارىء  
في بدايتها فانها تخلق في نفس ذي الشعور الرقيق والاحساس  
الرفيف والعاطفة اللينة أثراً عميقاً في نهايتها .

ثمّة فتاة من قبيلة شمر تدعى (بالعفري) <sup>(١)</sup> ابنة (مغير بن  
زويل) حسب ما نعتها لي راوي الحادثة <sup>(٢)</sup> وشخصها التشخيص  
الشامل لجأها وحيويتها واعتدال عضلاتها الناعمة وعينيها  
الساحرتين . جعلني أتصور بأن الشاعر العربي كأنه ينعتها حينما  
قال :

«حجازية العينين نجدية الحشا عراقية الأطراف شامية الدم»  
ان هذا البيت جدير ان يكون منسجماً وملائماً لها مثل الملاءمة .

---

(١) العفري هو اسم معروف من اسماء الغزال فالذكر يقال له الأعفر والأنثى  
يقال لها العفراء .

(٢) راوي القصة هو حاشم اللاحقي من نفس قبيلة الغنّة .

هكذا كانت صاحبة الترجمة . فكان من المنتظر ان يكون  
هذا الجمال الفاتن المغربي مدعاة لتنافس الشباب عليها ومطام  
لأنظارهم لاسيما أبناء عمها الذين هم أحق بنكاحها . ولكنه حسب  
العرف المتبع لا يمكن أن يخاطبها أحد مادام يوجد لها أبناء عم  
شقيق ، فان لم يكن فالأقرب من أبناء عمها .

ولن تستطيع الزواج من أجنبي الا باذن منهم . وان زوجها  
أبوها دون رضاهم يصبح مهدداً منهم بالعقاب لاحالة .

وقد كان للفتاة الفاتنة ابنا عم وهما اقرب ما يكون لها فهي  
بحكم العادات زوجة لأحدهما لاحالة وهما « فهد السراي بن زويل »  
وأخوه « محمد » ؛ كل فرد منهما شجاع ورئيس لفخذة وعلى جانب كبير  
من جمال الرجال . وهما في شرح الشباب آنذاك وقد توفرت فيهما  
جميع الشروط التي تريدها الفتاة العربية من بعلا . ولم يخطر ببال  
أحدهما او ببال أحد من عربهما أن ترفض « العفري » القران  
بواحد منهما ولئن كان من المعقول أن ترفض القران بمحمد  
فانه ليس من المعقول ابدأ أن لا تقبل « فهداً » لها بعلا ، اذ أن  
فهداً مثال في الرجولة والشهامة والمظهر الحسن ايضاً الذي كثيراً  
ما يغري الفتيات سيما المتحضرات منهن أما الأعرابية فقلمما تعشق



الرجل لمظهره او لماله وانما لمركزه الاجتماعي بين قومه  
وبالرغم من المزايا المتوفرة بفهد اولاً وبأخيه ثانياً فإن  
«العفري» لم تقبلهما ، ومن الأصول المتبعة أن ابن العم إذا رفضت  
ابنة عمه الزواج منه فإنه لا يرغمها على نفسه ، خاصة إذا كان ابن  
العم ذا شتم وأنفة ، فإنه لا يقبل النكاح من فتاة تعلن رأيها  
بصراحة بعدم قبولها إياه ، ولكن حسب التقاليد ، يكون عندهم  
لابن العم الحق ألا تتزوج هذه الفتاة إلا برضاه ، وابن العم إذا  
اشتبه أن ابنة عمه تعشق شخصاً آخر هناك له أن يصرح بأن لها  
الحق أن تتزوج بمن تشاء إلا فلاناً أي الشخص المتهم بغرامها  
به وذلك نكايته بها .

وقد كان (فهد) وأخوه من ذوى الشهامة حيث تركا ابنة  
عمهما بدون أن يجبرها أحد منهما على الزواج ، والذي أخلف  
ظنون ولدي عمها بل عشيرتها جمعاء أنه لا يعلم ذكر ولا انثى أن  
لها خطيباً تهواه ، فقضت الفتاة مدة وهي على هذه الحالة ، وكل  
فتى معجب بفتوته يحاول أن تمنحه لحظة من اللحظات العابرة .  
عنه يحدث نفسه بخطبتها ، ولكن كانت محاولات فتیان عربها  
ضرباً من العبث .

حارت القبيلة بأسرها في أمر الفتاة ، ولما كانت الأم هي

أقرب الناس الى ابنتها ، وهي أجدر من تفشي اليها سرها  
ومكنون فؤادها ، لذلك ذهبت الأم تستنطق الفتاة تارة وتارة  
تسبر غورها لتنظر من هو الذي تميل عواطفها وشعورها نحوه من  
الفتيان ، لقد كانت الأم شديدة الحرص على أن تعرف خطيب  
ابنتها ، ولكن أعياء الأمر بعد التعب الشديد .

ظلت العفري ثماني سنوات على هذه الحال . وهناك شاعت  
شائعة خفية تفيد أن العفري نظرت تتحدث مع شاب يدعى  
« هطيل »<sup>(١)</sup> بن مشاري بن زويل « والذي شاهد هذا المنظر هو  
(مرعيد) أخو هطيل .

وقبل كل شيء يجب أن نسأل عن هطيل من الناحية  
الاجتماعية والمادية ومن ناحية المظهر ايضاً ، أما الناحية الاجتماعية  
والمادية فهو شاب خامل الذكر فقير الحال لا يملك من المال الا  
ما يحصل عليه من عمه الذي يسرح يابله فيقبض أجراً زهيداً  
مقابل حراسته لها ، وهي أجرة سنوية . هذا من الناحية الاجتماعية  
والمادية ، أما من ناحية خلقته فحسبك ما روي لي « حاشم » أنه  
فتى قصير القامة دميم الخلقة قبيح السحنة مجعد الوجه . ولهذا

---

(١) هطيل من أبناء عمها البعدين وليس له من الحق ما يخوله النكاح من الفتاة  
ما لأبني عمها الاقربين « فهد ، ومحمد » وذلك حسب قوانينهم المتبعة .

السبب لم يخطر ببال أخيه (مرعيد) أن حديثه مع ملكة جمال  
عربها وراءه ما وراءه من العشق والغرام ، هذا لا يمكن أن  
يتصوره مرعيد لأنه يعلم أن أخاه أحقر من أن تقبله « العفري »  
رجلا لها فهي ترفض أبطال قبيلتها وصناديدهم وأثرياءهم فكيف  
تقبل هطيل الصعلوك القبيح ؟ ولكن هذا لا يمنع مرعيداً أن  
يسأل أخاه عن أسباب وقوفه مع (العفري) .

سأل (مرعيد) أخاه فلم يجبه فألح عليه ثانية فلم يجب بحرف  
واحد وانما دموع عينه كانت أسرع اجابة من حديثه وأفصح  
نطقاً من لسانه ، حاول الفتى أن يخفي عبراته ولكن عينه خاتته  
وفضحت أمره .

انصرف أخوه عنه وهو يسخر من عقلية أخيه الذي يعشق  
فتاة رفضت الزواج من خيرة شباب عربها كلهم ، وذهب يحدث  
نفسه قائلاً ما أسخفك يا أخى أتوسوس لك نفسك بغرام هذه  
الفتاة التي هي أبعد عنك من الأموات ؟

أما الفتى هطيل فقد أدرك أن أخاه سينتقده ويستخف به  
ولكنه كان واثقاً بأن الفتاة زاهدة في كل بني البشر إلا فيه .  
لهذا اضطر هطيل الى أن يشرح لأخيه حقيقة الأمر ، ويؤكد



له أن « العفري » لا تريد من بني الانسان سواه ويوضح له أن بينه وبين الفتاة محبة راسخة منذ نعومة أظفارها وأنها قد أعطته عهداً ألا تقبل بعلاً في الدنيا سواه ، كما أنه أعطها عهداً من نوعه . وفعلاً أبلغ أخاه هذا الأمر وشرحه له بوضوح .

استغرب « مرعيد » هذا الخبر الذي هو أشبه ما يكون بالخيال والحلم ، غير أن أخاه يحدثه بلهجة الصدوق الواثق من نفسه . ولهجة الصدق لها طابع خاص تعرف به ولو كان هذا الصدق فيه شيء من الغرابة ومما يدعو إلى الاستنكار .

ذهب « مرعيد » إلى ابني عم الفتاة الأدينين وطلبها منهما لأخيه فأجابا بالموافقة دون أن يبديا أدنى تردد لاعتقادهما ان ابنة عمهما التي رفضت النكاح منهما ومن يضارعهما أيضاً ليس من المعقول أن تقبل « بهطيل » ذلك الفتى الحقير في خلقته ، الفقير بماله ، الخامل الذكر في مجتمعه ، هذا ليس من المعقول من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا يريان مانعاً ، من نكاحها من مثل هطيل فيما إذا صح المستحيل ، ورضيت ( العفري ) بهطيل قريناً لها . فمثل ( هطيل ) لا يجعلهما يحسدانه عليها ، لاعتقادهما أنه ليس ممن يحسد على أمر من أمور الحياة ، لهذا وهباها له عن طيب نفس فلم يبق الا ان غير قبول الفتاة .

ذهبت الأم الى الفتاة لتأخذ رأيها بهطيل فسألتها الأم وهي مستبعدة كل الاستبعاد قبول ابنتها قائلة : أي بنيتي لقد خطبك « مرعيد » لأخيه « هطيل » وقد رضي أبناء عمك بذلك وسمحا فهل تقبلينه ؟؟ تكلمها الأم بهذه الكلمات وهي تضحك ضحك الساخر المتعجب .

الفتاة — ولن أقبل في الدنيا بعلا سواه .

الأم — ويحك أتقبأين هطيلاً الفتى الصلوك الدميم الخامل وترفضين ابني عمك فهداً ومحمداً اللذين هما أجل منه خلقة وأنبه صيتاً وأكثر مالا ؟!

الفتاة — إن القضية قضية مودة يضعها الله في القلب كيف يشاء وليست هي باختيار الأم والأب ولا باختياري وإنما هي قوة خارقة فوق طاقة العقل وحرية الاختيار .

الأم — هذا شيء يا بنيتي لا يخفى علي وإنما أبدي رأيي لك بأن تترشي لعل نفسك تنصرف عنه إلى من هو أوسم منه خلقة وأنبه ذكراً وأوفر مالا ، لأن « هطيلاً » هذا لا اعتقد أن بين رجال العشيرة أقبح منه خلقة ولا أفرغ منه يدأ ولا أخجل منه ذكراً .  
الفتاة — « اسمحي لي يا والدتي أن أجيبك على كل جملة من حديثك هذا » .

الأم - تفضلي وهاتي ما عندك .

الفتاة - « أما قولك اصبري وتأتي لعل نفسك تنصرف عنه إلى من هو أوسم منه خلقه وأنبه ذكرأ وأوفر مالا الخ ... فإني أؤكد لك أنني منذ بلغت الرابعة عشرة من العمر حتى الآن حيث بلغت اثنين وعشرين عاماً ومودة « هطيل » لا تزال تنمو في نفسي وتغرس جذورها في مهجتي ولا زال عقلي من ذلك العهد يجاهد نفسي على أن أقطع عن مودته وانصرف إلى من هو أوسم منه وأثرى وأعلا شأننا كما تشيرين يا أم ولكن هيهات لقد أعياني ذلك . إذ أن الهوى له سلطان فوق نواميس الطبيعة فهو لا يعقل ولا يرحم ، هذا من ناحية<sup>(١)</sup> ، والناحية الأخرى يا والدتي يجب ألا تجعلي أن الفتاة الحرة لا تنخدع بالفتى بمظهره وترضاه زوجاً من أجل وسامته وكثرة ماله إذ أن الوسامة والجمال للمرأة لا للرجل . أما الرجل فجماله عمله . وأما وفرة المال فهذا عارض ربما يذهب عند أدنى حادثة من حوادث الدهر المفاجئة . »

الأم - ولم اجبتي على بعض جملي وتجاهات الاجابة على ناحية رئيسية من النواحي التي تتوق إليها نفسية الفتاة العربية وهي

(١) منطلق هذه الفتاة ينطبق وقول الشاعر البارودي :

وما الحب الا حاكم غير عادل      اذا رام أمراً لم يجد من يصده  
له من لفيف الفيد جيش ملاحه      تغير على منوى الفائز جنده



ظاهرة من الظواهر الایجابیة ولا اعلم هل تجهلینها أم أنك  
أهملت الإجابة عنها لعلمك أن معشوقك عار منها ؟

الفتاة — ما هي هذه الظاهرة التي تشيرين إليها ؟  
الأم — أعني نباهة الصیت وعلو الشأن في المجتمع فإن هطیلا  
محروم منها ولا وزن له بین قومه وليس له ماض جميل يعرف  
ويقدر به .

الفتاة — يجب أن تعلمي يا والدتي ان هطیلا لا زال فتی  
والمستقبل فسیح امامه ، ولا يمكن أن نحكم علیه بشيء من الأمور  
الحيوية التي تبرز بها اخلاق الرجال إلا بعد ان تفاجئه الحوادث  
والملمات ، فاذا خاض معركة أوجابته مامة ولم تبرز رجولته  
وكفاءته عند ذلك يحق لك ان تلوميني ان رغبته لي زوجاً، وما دمت  
ترين ان مواهبه كامنة ولم تأت الحادثة التي تكشف عن مواهبه  
الغطاء فليس لك حق أن تدميه إلا بعد التجربة <sup>(١)</sup> .

الام — بارک الله لك فيه ، والأیام بیننا ، وسنتنظر هطیلا  
عسى ان يكون مستقبله أحسن من حاضره .

الفتاة — هذا ما أظنه واعتقده ولولا أملی الطیب فيه لما  
رضيته لنفسی قریناً

---

(١) كأن الفتاة تقصد ما اشار اليه المعري بقوله :

وقد یعمل الانسان في عنقوانه وبنیه من بعد النبی فیسود

بعد ذلك ذهبت الأم إلى ابني هـ الفتاة. واخبرتهما بما تم بينها وبين ابنتها من الكلام، وما انتهى الأمر إليه، وفي مساء الغد عقد نكاح هطيل على معشوقته « العفري » وتم قرانهما في مساء ١٥ رمضان عام ١٣٣٣ هـ ومضت ليالي رمضان الباقية من الشهر، والزوجان في أكل ما يكون من السعادة والزهو والسرور، ولم يبق في نفس (هطيل) وقرينته « العفري » من الأمنيات إلا شيء واحد هو أن يقدر الله حادثة عظيمة حتى يتمكن هطيل من إبراز مواهبه المكبوتة لكي تكون له مكانة مرموقة في مجتمعه. ولتقنع به حليته القناعة الكاملة.

وفي أول يوم من صباح عيد الفطر أتيحت له الفرصة المناسبة التي يحلم الزوجان بها، وذلك أن غزاة من قبيلة مطير قد صبت غارتها على عرب الزوجين برئاسة أحد زعماء القبيلة المدعو (مدباج أبو شويربات)، وقد كانت المعركة في موضع يدعى (بالديفة) لقد سر هطيل وقرينته بهؤلاء الغزاة الذين هجموا على عربيه في عقر بيوتهم، وسيكون القتال الآن أمام النساء والرجال وهذا هو أقصى أمنية الزوجين، وخاصة الفتى « هطيل » الذي تهمل وجهه طرباً و سروراً. لماذا؟؟ ليقاتل قتال الأبطال وليبدي

شجاعة خارقة كي يححو عن نفسه آثار الحول والانزواء الذين مصدرهما الجبن ، لأنه يرى رجال قبيلته ونساءها يغمزونه ويامزونه به بل ويزدرونه ويحتقرونه ويرون أنه ليس بأهل أن تعشقه فتاة تعتبر من أنبل فتيات القبيلة لا يجالها الساحر الفاتن فحسب بل برزانتها وعفتها وعراقة حسنها واصالة نسبها .

ان إحساس الفتى وشعوره بهذا النقص ، خلق في نفسه باعثاً قوياً نحو الطموح وذبوع الصيت ليكون انساناً بارز الشخصية في الحياة أو يموت فيريح نفسه من استهتار رجال قبيلته<sup>(١)</sup> به ، والشيء الذي هو أدهى عنده وأمر ، ذلك انه يعتقد جازماً أن قرينته « العفري » التي عشقته وطمحت له بالأمس سوف تعزف نفسها عنه فيما إذا خاض المعركة ولم يظهر بسالة خارقة ، لقد وثق هطيل بان معشوقته ستنشز عنه وتستبدل به من هو أنجب منه وأنبل من فتیان عشيرتها ان لم يحقق ظنها به .

كل هذه العوامل الحية خلقت في نفس الفتى دافعاً جعله يقرر مصيره الذي أشار إليه أبو الطيب المتنبي بقوله :

« ١ » كاني بنفسه الطامحة تحدته بقول البارودي :

على ما يعيش المرء في الدهر خاملاً      ايفرح في الدنيا بيوم يمهده  
ومن ذلّ خوف الموت كانت حياته      أضر عليه من حمام يؤده



إذا لم تجد ما يبتز الفقر جالساً

فقم واطلب الشيء الذي يبتز العمرا

هما خلتان ثروة أو منية

لعلك ان تبقي بوحدة ذكرا

وعندما انهالت الغارة على أهل الفتى ، اختطف بندقته

مسرعاً ثم نادى قرينته قائلاً : « اليوم يا ابنة العم سوف ترين من

ابن عمك العمل الذي سيجعلك مرفوعة الرأس ، وناصعة الجبين

بين رجال عشيرتك ونسائها ، هذا إن أسعدني الجد ونجوت من

عاقبة هذه المعركة التي سأكون بطلها الفذ أو ألاقى حتفي فيها .

كأنه يقصد ما أشار إليه محمد بن المقرئ الاحسائي :

فإما حياة لا تَذُمُّ ، حميدة يحدث عنها من أغار وأنجد

أنال المني فيها والا منية تريح فؤاداً أج<sup>(١)</sup> من علة الصدا

اغرورقت عينا الفتاة ثم أجابته بهذه الجملة ودمعها كالسيل المنهمر :

« ان هذا هو ما اعتقده فيك ولولا أمني الوطيد بفتوتك وإيماني

الراسخ برجولتك وشجاعتك لما اخترتك على فتيان القبيلة بأسرها .

ثم دنا منها الفتى بمد هذا الحديث فقبلها فضمته إلى صدرها بشغف

فكادت أن تتحطم ضلوعهما من شدة دوافع المودة والحب ، ثم

(١) أج : مأخوذ من أجمع النار ؛ على ما ورد في نرح الدبوان .

قالت له : « ارجو ان لا يكون هذا آخر العهد بك يا قرة العين »  
 فأجابها الفتى : « لا يهمني ان تكون هذه الساعة هي آخر العهد أو لا  
 تكون ، وإنما الذي يهمني هو أن نقرأ قبلته لا يقبله ذكر من بعدي »  
 فأجابته الفتاة : وهي تكفكف الدمع قائلة : « ثق واطمئن ان  
 حياتي مرهونة بحياتك ولئن قدر الله عليك شيئاً فلن أحيا بالدنيا  
 بعدك ساعة واحدة »

الفتى — هذا هو ما أظنه بك واعتقد .

ثم انطلق الفتى نحو العدو وقرينته على أثره تزغرد له وكأنها  
 تسقيه كأساً من الخمر فازداد اندفاعاً وشجاعة من سماعه لصوت  
 محبوبته المعسول ، وما حمي الوطيس واشتدت الهيجاء إلا وهطيل  
 من أبطال المعركة المغاوير المهاجمين ، بل كان في طليعة المناضلين  
 والمحسمين لقومه فاتجهت بنادق العدو نحوه ، فأصيب بسهم  
 خرق قلبه ؛ فكان أول قتيل من قومه وكان مصرعه رحمه الله في  
 صباح عيد الفطر عام ١٣٣٣ هـ<sup>(١)</sup> وكان بالقرب من منازل عربيه ،  
 وحالما صرع أخته قرينته « العفري » فطرحته نفسها على جثمانه  
 وشبكت يديها من وراء ظهره فأصابها ذهول أفقدها رشدها ،

(١) هذه الحادثة الوحيدة التي استطعت ان اعرف تاريخ اليوم الذي وقعت فيه  
 والسبب ان راوي القصة الذي هو حاشم الاحقي اكد لي أنها حدثت في نفس العام الذي  
 وقعت فيه معركة جراب المشهور لدينا تاريخها كما انه اكد ان زواجها كان في الخامس عشر  
 من شهر رمضان وكان مصرع الزوج وانتحار الفتاة في صباح عيد الفطر ولهذا كان الأمر  
 علي متيسراً بسبب علمي بتاريخ معركة جراب الواقعة في ٧ ربيع الاول سنة ١٣٣٣ هـ .

وبقي الزوجان متشابكين كالجسد الواحد .

هذا والوطيس حام بين الغازي والمغزو ، وقومهما في شغل شاغل عنهما . وبعد ان انتهت المعركة عاد رجال القبيلة فاطلقوا يدي الفتاة من بعلمها المقتول ، وحفروا له قبراً ليواروه فيه ، هناك هجمت الفتاة على حفرة القبر وناشدتهم بالله ان يفسحوا حفرة القبر ليواروها فيه مع قرينها المقتول ، فلم يجد من يجيب لها النداء فأكدت لهم بانها ميتة لا محالة وانها لن تبقى ساعة بعده .

كل هذا الحديث من الفتاة كان كالهذيان بنظر رجال الحي ونسائه ، فلما رأت ان لا محيب لندائها عند ذلك خاطبتهم ثانية قائلة : اذن احفروا قبراً لي بجواره وليكن قريباً منه جنباً لجنب . فلم يجد ايضاً محيباً ولا سامعاً فتركت القوم يعتنون بقبر المقتول وذهبت إلى بيت أمها تنقب عن «سم»<sup>(١)</sup> موضوع في قلب صرة تعلم جيداً مكانه الذي وضع فيه فلما وجدته ابتلعتة ، وحالما جرعتة تغفل في جسمها ، فشعر عربها بأمرها ، وقد كان العرب يستعملون علاجاً عربياً « للسم » وهو صوف يغسل ويستقى المسموم ماءه ، وحالما يشرب المسموم هذا الماء يخرج من جوفه قيء فيموت المرض بخروج هذا القيء الذي يكون السم خارجاً به .

(١) لا يخلو بيت أي عربي من السم لأن فيه علاجاً جيداً لمرض الجرب الذي يصيب الابل دائماً .



يقول لي راوي الحادثة «حاشم اللاحقي» الذي هو من العشيرة نفسها والمتصل بأهل الفتاة اتصالاً مباشراً: إنه بعد مضي يومين من وقوع الحادثة أتى عشيرته فوجدهم بحزن من أثرها المفجع، واكد لي (حاشم) ان الفتاة عندما أراد أهلها ان يسقوها ماء الصوف كعلاج لها، أبت ورفضت ان تشربه وقد وضعت يدها على فيها وعضت على اسنانها تحاول الا تدخل قطرة من العلاج إلى جوفها .

كانت تفعل ذلك وهي في غرغرة الموت حتى توفها الله ، وفي اللحظة التي انتهى من مواراة قبر قرينها فاضت روحها فحفر قبرها بجانبه ودفنت بجواره فوراً . كما وعدت قومها واكدت لهم بان هذا هو مصيرها النهائي .

كانت هذه الحادثة راسخاً اصلها في ذهني من سنين عديدة . ولكنني نسيت تفاصيلها وفروعها ، ومن عاداتي التي سرت عليها في كتابتي هذه الا أضع قصة حتى اكون متقناً لها من الناحية التاريخية ، ومن ناحية صحتها التي هي الاساس عندي ، وكذلك من ناحية تفاصيلها وكنت اذكر أن خير من يفيدني عن هذه

القصة بصورة واضحة شخص من قبيلة شمر ومن الفخذ الموالي لأسرة الفتاة، وهو آنف الذكر «حاشم اللاهقي»<sup>(١)</sup> وفي تاريخ ١٨ صفر ١٣٧٥ هـ ذهبت الى بيروت على سبيل المصادفة فوجدت «مثل التميّاط»<sup>(٢)</sup> مريضاً في مستشفى الجامعة الاميركية فسألته عن الحادثة فلم أجد عنده لها تفاصيل كافية فسألته عن حاشم أين هو؟ لعلمي أنه لم بالقصة فأفادني أن الرجل في بيروت قدم للعلاج من مدة قريبة فقلت في نفسي: إنها مناسبة ازور بها الشخص وأعوده فان وجدته معافى ولديه استعداد للبحث بحثت معه والا اكتفيت باليادة وزرته فيما بعد في فرصة تكون النسب من هذه الفرصة، فذهبت اليه فوجدته قد شفاه الله نسبياً وتبادلنا الحديث حتى وصل البحث الى الغاية التي أستهدفها، فشرح لي القصة كما أوردتها آنفاً ووجدت نفسي لم أزد عن جوهرها الاساسي ولم انقص شيئاً عن أصلها، اللهم إلا أن البحوث التي دارت بين الفتاة وأمها عند الخطبة، وكذلك

(١) شخص صدوق وثقة وميزته التي برز بها هي المهارة والخبرة بمعرفة ودلالة الصحراء وهو خبير بهذه الناحية خبرة قل أن يضارعه فيها أحد. وقد استعمله الملك المغفور له عبد العزيز عندما افتتح طريقاً للسيارات من جهة نجد الشمالية وهو الآن من خواص الأمير محمد بن عبد العزيز وحالياً أصيب بشلل خفيف الم به وهو على وشك ان يبرأ منه. وحق كتابة هذه الأحرف وهو مقيم في بيروت من أجل العلاج.

(٢) مثل رئيس فخذ يدعى (بالتومان) من قبيلة شمر.

البحث النهائي بين الزوجين عندما كان الفتي عازماً على إلقاءه للعدو  
باقدام وبطولة أقول : ربما شرحت معنى حديثهما الشعبي الذي دار  
بينهما كما اني عادة اشرح معنى الشعر الشعبي وذلك بدون أن  
أخرج عن جوهر المعنى الاساسي .





## قلب فارس

في جسد فتاة

قصة « طخة ابنة ابن عزيز<sup>(١)</sup> » وقعت على وجه التقريب بين

عام ١٣٠٠ - ١٣٠٥ هـ

كان الاجدر بهذه القصة أن تكون بعد قصة كنعان الطيار مع بنت عدوان بن طوالة مباشرة . ليكون ذلك أنسب لسياق القصة من ناحية تسلسلها من الوجهة التاريخية وهذا هو السبيل الذي انتهجته في كتابي هذا وحيث أن قصتنا هذه لم أستفسر عن تفاصيلها إلا مؤخراً ، لهذا السبب جاءت أخيراً .

لقد كنت أعرف كنه القصة من حيث صحتها وإنما نسيت تفاصيلها وتاريخها واسم صاحبة الترجمة ونسبها كما نسيت اسم زوجها ، لهذا ما استسغنت أن اضمها في كتابي حتى أكون ملماً بها من شتى الوجوه ، وقد سألت غير واحد ممن أظن أن له علماً في القصة ، ولكنني لم أوفق رغم ما بذلته من الجهد ، وفي تاريخ

---

(١) ابن عزيز شيخ عشيرة البعيج في العراق

١٣٧٥/٦/٢٨ سنحت لي فرصة الاتصال بالأخ « عبد الله المشاري  
ابن سعدون<sup>(١)</sup> » حيث افادني مفصلاً بصفته ممن يعرف القصة  
بحكم صلاته المباشرة باصحابها ، فجاءت روايته متممة لمعلوماتي  
السابقة . التي أوافي بها القارئ بما يلي :

كان ابن عزيز رجلاً لم يهبه الله ذرية وفي منتصف حياته  
رزق بنتاً فحدثته نفسه أن يربّيها تربية خشنة عليها تقوم عنده  
بالعبء الذي يقوم به الفتى ، وعلى أساس هذا التفكير ذهب  
يتولى العناية بها والتوجيه بنفسه فعلمها ركوب الخيل والرماية  
وعموم الامور الحيوية التي هي من اختصاص الرجل الفارس ولم  
تبلغ الفتاة الحلم ، حتى كان لديها من الاستعداد ما يؤهلها لأي  
عمل يقوم به أشجع الفتيان وأبسلهم ، ولم يقف بوالدها الحد ان  
يوجهها توجيهاً خشناً سلبياً ، بل رأى أن يمتحن فتاته بالاعمال  
الحربية ، فغزت بمعيتها مرة فابدت بطولة خارقة ، وأخيراً بلغت  
الفتاة من البطولة حداً جعل الرعب يدخل قلوب افاذاذ الابطال  
المعادين لأبيها فسار مخبر بطولتها الركبان وبعد أن كان اسمها

---

(١) عبد الله من السعدون الذين هم رؤساء قبيلة المنتفق في العراق وهو الآن يقيم

في مدينة الرياض وكان اجتماعي به في مدينة دمشق .

« طخّة » أصبحت تدعى طخاخاً ولا زالت هيبة « طخاخ » في قلوب الفرسان تنمو وشهرته تزداد الى أن بلغت الذروة القصوى واعتبر « طخاخ » من افذاذ الفرسان البارزين .

و شاء الله أن يتوفي والد « طخاخ » ويتولى من بعده رئاسة عشيرته ، ويكون له من الوقار وقوة الشخصية وهيبة الأعداء لجانبه ما يفوق والده .

لقد طالت الأيام على صاحب الترجمة وهو على هذه الحالة . وآخر الأمر فرغ صبر « طخاخ » وظل في حيرة من نفسه التي ينازعها عاملان متباينان عامل اكتسابي وعامل طبيعي . فالأول يحدوه على أن يبقى على ما هو عليه باسم الفتى « طخاخ » الذي أُرهب الفرسان ببطولته وساد العشيرة بقوة شخصيته : ويكتفي من الدنيا بما تمتع به نفسه من لذات المجد وذبوع الصيت وه ظهر الفارس المرهوب ومحبة الزعامة والنفوذ ، وهذه الأمور الحيوية لاشك أن فيها لذة للنفس التي تذوقت طعم المجد ولكن « طخاخا » يرى أنه رغم ما في هذه المعاني المجيدة من لذة ممتعة ، فإنها لذة مجازية لأنه لا يصل إليها إلا بشيء من التكلف الذي يخالف ما فطرت عليه نفسه من سجية أساسية راسخة في جوهره الطبيعي



وعلى هذا الاساس سينقاد مرغماً لقول المتني :

وأسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شيء في طباعك ضده  
إذن فهو مضطر أن يلبي صوت العامل الثاني الذي ينسأديه  
ويأمره بالتمتع باللذة التي هي شيء طبيعي بالنسبة إليه بل إليها  
الآن لأنها ستعود منقاداً لهذا الأمر الواقعي ، وقد قررت ألا  
تجابه الحقيقة بل ترجع إلى أساسها الطبيعي . ذلك أن دافع لذة  
الغريزة الجنسية كان أقوى من الدافع الأسبق فالأول فيه تكلف  
وعناء ، أما الأخير فهو شيء طبيعي لا تكلف فيه .

وعلى هذا الاعتبار أصبح « طخاخ » مضطراً ليعود إلى  
أساسه الأسبق فتكون « طخة »<sup>(١)</sup> الفتاة ، فإذا عادت إلى أنوثتها  
ملزمة على أن تنقب على زوج ينكحها ، ولا يمكنها أن ترضى أن  
يتزوجها بل إلا بعد أن تؤمن ببطولته ولا يكفيها إيمان السماع به  
والشهرة ، بل يجب أن ترى ما يديه من بطولة رؤية العين ولا  
يهمها سواء كان هذا الفارس من الأعداء أم الأصدقاء ؟

هذا وقد شاع هذا الخبر عند الفرسان فحرص كل فارس من  
فرسان أعدائها واصدقائها أن يبدي أمامها بطولة خارقة لعلمها تهواه

(١) كلمة « طخ » في اللغة الشعبية هي بمعنى « ضرب » فطخاخ يكون بمعنى ضراب .

وترضاه لها بعلا ، ومصادفة وقع بين عشيرتها وقوم يقال لهم  
« الجشم »<sup>(١)</sup> معركة دامية فكانت النتيجة أن تصادمت صاحبة  
الترجمة هي وفارس من أبطال المعركة يدعى « جاسر بن جشم »  
ولا أعلم أيهما الذي استولى على صاحبه<sup>(٢)</sup> والمقصود أنها أعجبت  
بالشجاعة التي أبداه « جاسر » وعلى أثر هذه البطولة التي رآتها  
منه : طاب لها أن ينكحها « جاسر » فخطبها أو هي خطبته  
وتم القران بينهما ورجعت « طخة » إلى ما خلقت له وأنجبت من  
« جاسر » بنين منهم عقل الذي لا زال موجوداً في الرياض وهو  
يناهز الستين من العمر .

وسمعت أن أحد أبناءها غضبت عليه عندما كان صغيراً  
فضربته ضربة ذهب بحياته . فكانها متأثرة بنزعها الأساسية  
لهذا تضاعل عندها عطف الأم وحنانها على أبنائها .



(١) الجشم فخذ من الجعفر المتفرع من قبيلة شمر .

(٢) من مدة عشرة سنوات سبق لي أن اجتمعت مع عقل بن جشم الذي هو  
ابن للزوجين . واغلب ظني أنه قال ان والدته هي التي طرحت والده . اما الرواية التي  
تلقيتها من ابن سعدون تقييدان كلا منهما طرح صاحبه ارضا .

## نهاية الجزء الأول من شيم العرب

انتهت طباعته في العاشر من شهر رجب عام ١٣٧٥ هـ  
٢٢ شباط عام ١٩٥٦ م ويليه الجزء الثاني الذي سيصدر قريباً بحول الله  
وهو يحتوي على فصول لا تقل فائدتها عما في هذا الجزء . منها :  
حماية الجار وإكرامه ، والوفاء مع الرفيق ، وإكرام الضيف ،  
واصطناع المعروف والمكافأة عليه ، والشجاعة العقلية والأدبية  
والحرية ، والصبر على حوادث الدهر ، وبر الوالدين ، وتنبؤات  
العقلاء . وربما نختتم بقيته بفصل يحتوي على حوادث متنوعة .

هذا وإني أكرر ثانية ما جاء في المقدمة من الجملة التي  
رجوت بها القاريء الكريم الصفح عما يبدو من الغلطات المطبعية  
أو الأخرى التي سبق القلم بها وفاتني استدراكه . والله أسأل أن  
يلهمنا الصواب ويهدينا سواء السبيل .



# الفهرس

الصفحة

٣

الإهداء

٥

المقدمة

١٦

## فصل الوفاء

١٧

القصة العالمية — المهادي والسبيعي

٦٣

بتر قدم صديقه وفاء بعهد — الحثري والتجفيف

١٠١

وفاء بالعهد اضطره ان يقتل أخاه — نهار وصالح الاحمدى

١٠٨

وفاء وتضحية في المال والجاه والاهل — عجمي السعدون وكوكس

١١٧

من اروع امثلة الوفاء بالعهد — رفاع بن ركب وجذيل بن لغيصم

١٢٣

## فصل الأمانة

١٢٦

ضحى بماله دون كرامة رفاقه — عايد التميمي وابن الشتيوي

١٣٠

وفاء وامانة — صالح المجراد

١٣٤

امانة ورباطة جأش — التميمي والعسافي

|     |                               |                       |
|-----|-------------------------------|-----------------------|
| ١٣٩ | — ابن جيليدان وابن لویشان     | امانة متناهية         |
| ١٤٣ | — عقلا بن شبيب                | امانة وورع            |
| ١٤٥ | — الشباطي والعريفي            | سلم الامانة لأعداءه   |
| ١٤٧ | — عبد الرحمن بن محمد آل الشيخ | ضحى بماله دون كرامته  |
| ١٥٤ | — فرهود بن هنداء              | اجرة الأجير           |
| ١٥٧ | — سلمان الصل                  | قاتل الله الطمع       |
| ١٥٩ | — عبد العزيز الحمد والشعبي    | امانة بلغ اجلها قرناً |
| ١٦٠ | — كليب الدهمسي والسبيعي       | من مصادقات الحديث     |
| ١٦٦ | — ابن خليف والهندي            | فائدة لم نسعى اليها   |
| ١٧٩ | — ابن نصار ومحمد الدهمسي      | رب صدفة خير من ميعاد  |
| ١٨٣ | — ابن رويشد وابن ناجي         | ضالة وجدتها مؤخرأ     |

## ١٨٥ فصل العفو

|     |                              |                           |
|-----|------------------------------|---------------------------|
| ١٨٧ | — ابن طوالة والعواجي         | بطل يعفو عن بطل           |
| ١٩٦ | — الذهبي والماج              | عفو متبادل                |
| ١٩٨ | — عبد الله بن رشيد وابو هادي | يعفو عن من اراد ان يغفاله |
| ٢٠٨ | — ابن جشعم وابن عجب          | عفو واباءة وشمم           |
| ٢١٣ | — خلف المفرح                 | يعفو وهو بأشد الغضب       |
| ٢١٧ | — مقعد الدهينة وابن عمه      | يعفو عن قاتل شقيقه        |

|     |                       |                   |
|-----|-----------------------|-------------------|
| ٢٢٣ | — عقلا بن غمور وصاحبه | إكرام بعد عفو     |
| ٢٢٥ | — مذهب بن غافل والعود | يعفو عن قاتل ابيه |

## ٢٢٩ فصل في عفة نساء العرب

|     |                                |
|-----|--------------------------------|
| ٢٢٩ | — كنعان الطيار وابنة ابن طواله |
| ٢٧٠ | — ابن ضبيعان وغتره             |
| ٢٧٤ | — غريب بن معيقل ومعشوقته       |
| ٢٨٢ | — العفري ومعشوقها هطيل         |
| ٢٩٩ | — طخة ابنة ابن عزيز وابن جشعم  |
| ٣٠٤ | نهاية الجزء الاول              |





| الخطأ              | الصواب          | السطر | الصفحة |
|--------------------|-----------------|-------|--------|
| مفرج               | مفرجاً          | ١٣    | ١٩     |
| مفرج               | السيبيعي        | ١٦    | ١٩     |
| مشهورة             | مشهور           | ٩     | ٢٥     |
| مفرج               | مفرجاً          | ٨     | ٣٣     |
| عليهم              | عليهما          | ٦     | ٣٤     |
| حاشيتهم            | حاشيتهما        | ٦     | ٣٤     |
| يحيكها             | يحوكها          | ١١    | ٤٤     |
| وافر متراكم        | وافراً متراكماً | ١٢    | ٧٤     |
| شكى                | يشكو            | ١٧    | ٧٦     |
| «بلاد قديمة مجاورة | تعرف قديماً     | ١٧    | ٨٥     |
| لدومة الجندل «     | بدومة الجندل    |       |        |
| عمرو               | عمرأ            | ١٦    | ٨٩     |
| شجاع               | شجاعاً          | ١٠    | ٩٤     |
| شمم                | شمما            | ١٥    | ٩٩     |
| شجاع               | شجاعاً          | ٤     | ١٠٢    |
| نهار اخو           | نهاراً اخا      | ١١    | ١٠٣    |
| وعما               | عما             | ١٤    | ١١٢    |
| عمر بن الابطالة    | عمرو الاطنابة   | ١١    | ١١٦    |
| طلب                | رام             | ٢٣    | ١١٦    |

| الخطأ    | الصواب  | السطر | الصفحة |
|----------|---------|-------|--------|
| اولج     | ادلج    | ٢     | ١٢٨    |
| اخوة     | اخوة    | ١٧    | ١٣٠    |
| محمد     | محمدًا  | ٦     | ١٣٢    |
| قبل      | بعد     | ١١    | ١٣٢    |
| يتولى    | يتولَّى | ٤     | ١٣٣    |
| دنانيرًا | دنانير  | ١١    | ١٣٧    |
| صخلة     | سحلة    | ١     | ١٤٠    |
| رعيتان   | رعيتين  | ٣     | ١٤٠    |
| ثلاثون   | ثلاثين  | ٤     | ١٤٠    |
| خمس      | خمسة    | ٤     | ١٤٠    |
| بغرات    | بغزاة   | ١١    | ١٤١    |
| كلية     | كمية    | ٣     | ١٤٤    |
| للبلاد   | البلاد  | ٧     | ١٤٥    |
| تسعة     | تسعا    | ٤     | ١٥٥    |
| لسكانها  | سكانها  | ٢     | ١٥٧    |
| قرن      | قرناً   | ١     | ١٥٩    |
| العنزة   | العنز   | ١٣    | ١٦٢    |
| العزاف   | العززين | ٥     | ١٦٤    |
| درهماً   | دراهم   | ٨     | ١٦٤    |

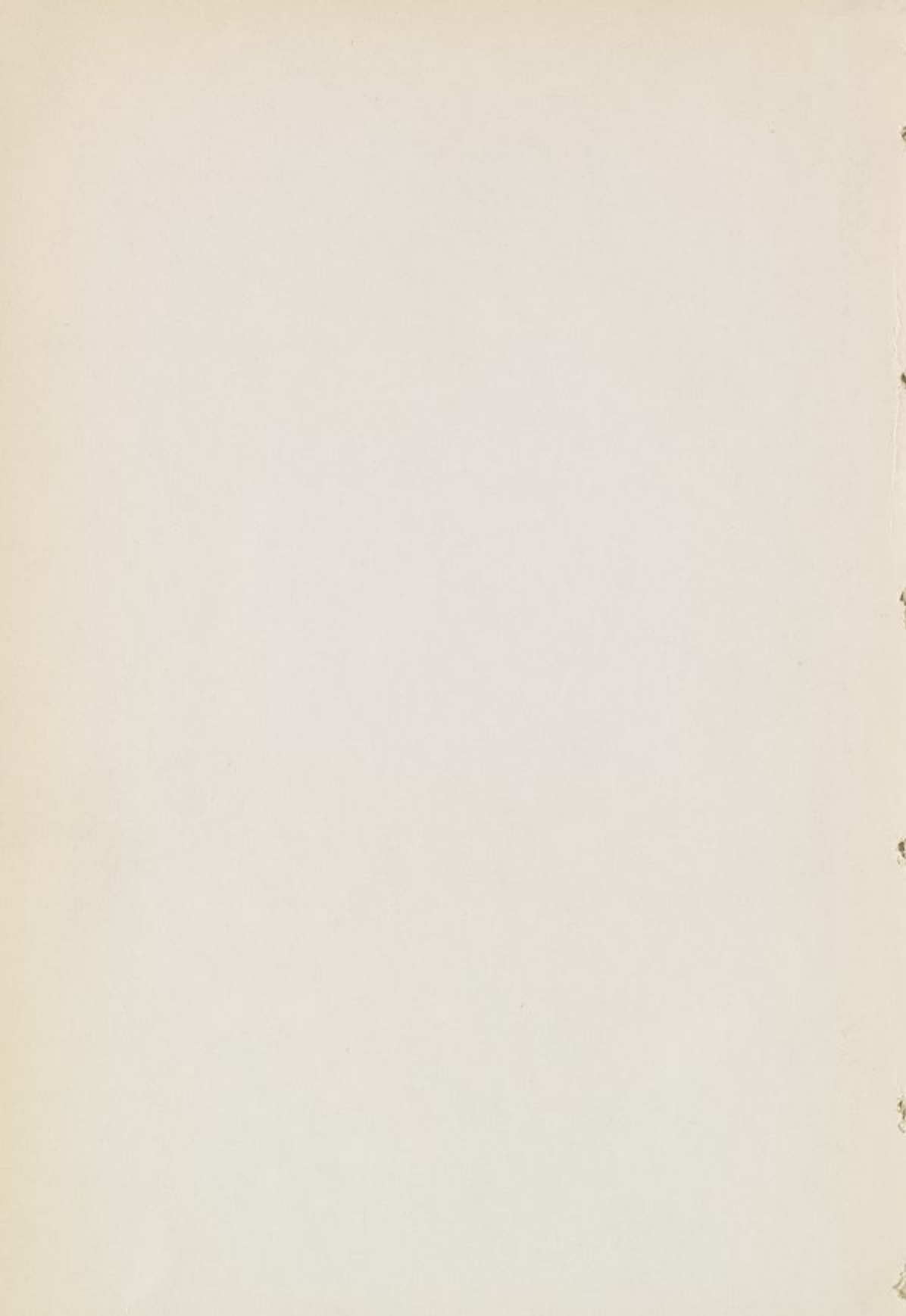
| الخطأ                 | الصواب             | السطر | الصفحة |
|-----------------------|--------------------|-------|--------|
| ملقاً                 | ملقى               | ٣     | ١٦٥    |
| مقياً                 | مقيم               | ١٤    | ١٦٦    |
| تميمون                | تميمو              | ١٣    | ١٦٦    |
| الصخلة                | السخلة             | ٦     | ١٦٩    |
| على                   | عن                 | ١٠    | ١٧١    |
| التعبير تعبيراً عاماً | يعبر تعبيراً عاماً | ٨     | ١٧٦    |
| جماد الاول            | جمادي الاول        | ١     | ١٧٩    |
| الدهامش               | الدهامشه           | ٧     | ١٨٢    |
| غيري                  | غير                | ١٠    | ١٨٣    |
| خسة                   | خساً               | ١٣    | ١٨٣    |
| كانا يشدان            | كانوا يشدون        | ١     | ١٨٩    |
| شيء واحد              | شيئاً واحداً       | ٢     | ١٩٠    |
| هؤلاء                 | هذين               | ١٣    | ١٩٢    |
| جزعوا                 | جزع                | ١٥    | ١٩٢    |
| يعفوا                 | يعفو               | ١     | ٢١٣    |
| امرىء                 | امرؤ               | ٧     | ٢١٥    |
| يجرني                 | يجبرني             | ١٢    | ٢١٥    |
| فاقضي                 | فاقض               | ١٣    | ٢١٥    |
| لا لا                 | لثلا               | ١٥    | ٢١٥    |

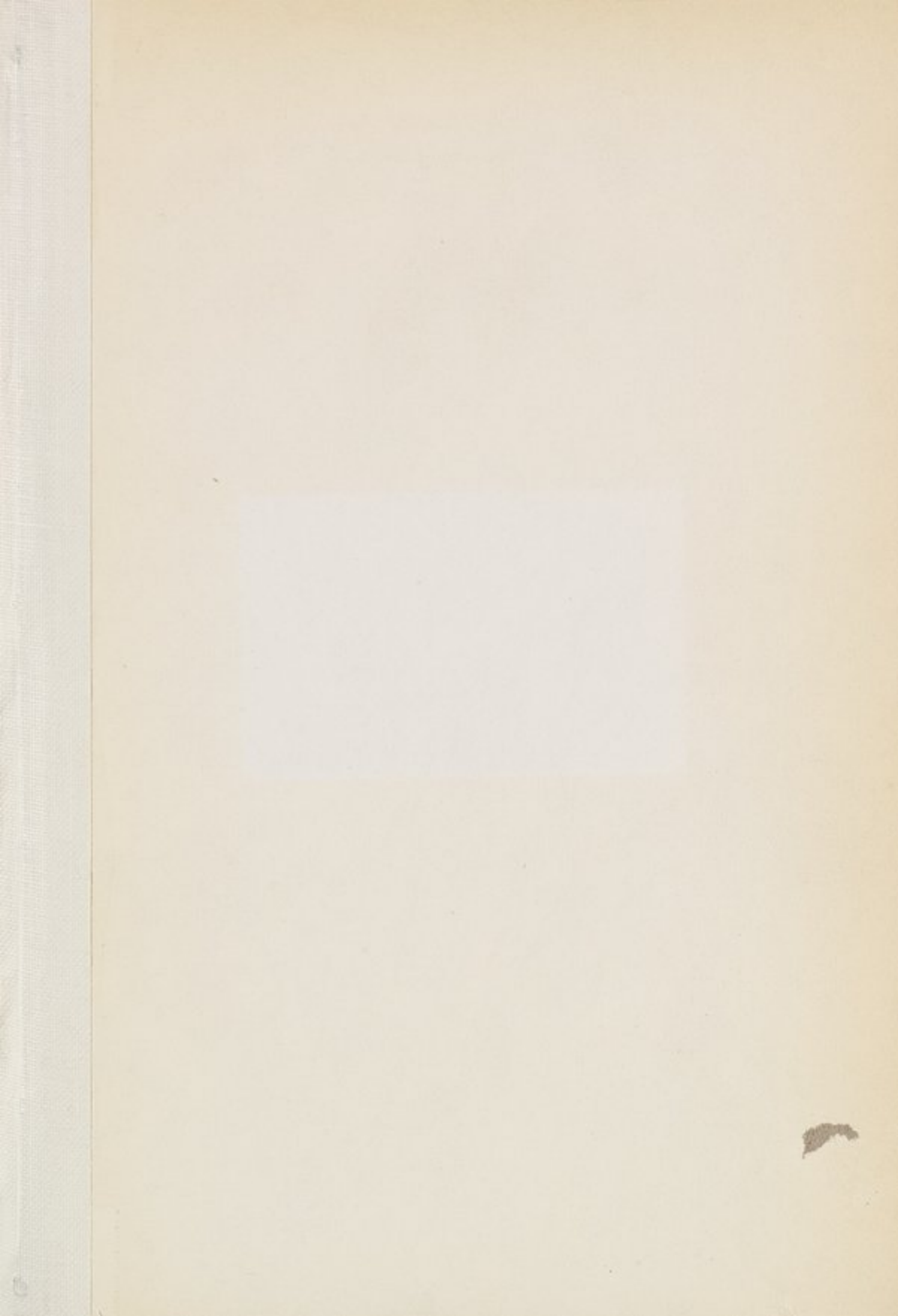


| الخطأ   | الصواب  | السطر | الصفحة |
|---------|---------|-------|--------|
| النفقة  | النفقة  | ١٤    | ٢١٧    |
| ستين    | ستون    | ١٦    | ٢٢١    |
| أي      | أية     | ٤     | ٢٢٤    |
| الظان   | الضان   | ١٦    | ٢٢٤    |
| نحره    | ذبحه    | ١٦    | ٢٢٤    |
| ذود     | زود     | ١٥    | ٢٤٤    |
| نجيا    | نَجَوَا | ٣     | ٢٥٢    |
| فتجنب   | فتجنب   | ١١    | ٢٦٤    |
| حادية   | حاديه   | ١٤    | ٢٦٩    |
| على نزع | نزع     | ٦     | ٢٧٧    |



| Year | Month | Day | Page |
|------|-------|-----|------|
| 1880 | Jan   | 1   | 177  |
| 1880 | Jan   | 2   | 177  |
| 1880 | Jan   | 3   | 177  |
| 1880 | Jan   | 4   | 177  |
| 1880 | Jan   | 5   | 177  |
| 1880 | Jan   | 6   | 177  |
| 1880 | Jan   | 7   | 177  |
| 1880 | Jan   | 8   | 177  |
| 1880 | Jan   | 9   | 177  |
| 1880 | Jan   | 10  | 177  |
| 1880 | Jan   | 11  | 177  |
| 1880 | Jan   | 12  | 177  |
| 1880 | Jan   | 13  | 177  |
| 1880 | Jan   | 14  | 177  |
| 1880 | Jan   | 15  | 177  |
| 1880 | Jan   | 16  | 177  |
| 1880 | Jan   | 17  | 177  |
| 1880 | Jan   | 18  | 177  |
| 1880 | Jan   | 19  | 177  |
| 1880 | Jan   | 20  | 177  |
| 1880 | Jan   | 21  | 177  |
| 1880 | Jan   | 22  | 177  |
| 1880 | Jan   | 23  | 177  |
| 1880 | Jan   | 24  | 177  |
| 1880 | Jan   | 25  | 177  |
| 1880 | Jan   | 26  | 177  |
| 1880 | Jan   | 27  | 177  |
| 1880 | Jan   | 28  | 177  |
| 1880 | Jan   | 29  | 177  |
| 1880 | Jan   | 30  | 177  |
| 1880 | Jan   | 31  | 177  |







LIBRARY  
OF  
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 059434124